وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة -بوزريعة-

العلامة الشيخ مبارك بن مُحَّد الميلي

دور أهل الذّمّة في الحياة العلمية في المشرق الإسلامي

في القرنين الثاني والثالث الهجريين الثامن والتاسع الميلاديين

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب:	إشراف الأستاذ الدكتور:
مُحَّد الصديق محمودي	خالد كبير علال

السنة الجامعية 1439-1440هـ/2018-2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا وَكَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ فَأَنَا حَجِيجُهُ»

وقال ﷺ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»

كلمة شكر

قال رسول الله ﷺ:((لا يشكر الله من لا يشكر الناس)) رواه أبو داود.

الحمد لله حمدا يليق بجلاله لما وفقني ويسر لي أمري وأعانني على إتمام هذا البحث وجميع شأني.

وأقدم شكري لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور: خالد كبير علال بداية من قبوله الإشراف على هذا البحث، والصبر علي وتوجيهاته القيمة طوال سنوات دراستي التي كلّلت بهذا البحث، وأسأل الله أن يجازيه خير الجزاء على ذلك كله.

كما أقدم جزيل شكري إلى والدي الفاضل الذي حرص منذ سنواتي الأولى على أن أسلك طريق العلم و توفيره كل ما يلزم لذلك.

وأقدم شكري إلى كل من ساعدني على القيام بهذا البحث ويسر لي عملي من قريب أو بعيد و خاصة موظفي مكتبة المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة وعلى رأسهم مديرها النذير وقاص.

المقدمـــــــــة

المقدمة

تكتسي الحياة العلمية في التاريخ الإسلاميّ أهمية كبيرة جدا، وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى العناية الخاصة التي أولاها الإسلام للعلم وأهله، وآيات القرآن الكريم وسنّة المصطفى ﷺ شاهدة على هذا الطرح الجلي، لهذا كان لها أثر بالغ في الحياة العامة في بلاد الإسلام عامة، خاصة في قرون الإسلام الأولى، يوم كان العلم خاصة الشرعيّ هو الهدف الأسمى لكل فرد مسلم، ويوم كان العلماء عند كثيرين أكرم من كثير من الخلفاء، وكانت العلاقة بين الفئتين يحكمها التعاون والمشورة، ويوم كان الخلفاء أكبر المشجعين لطلب العلم والميسّرين لشؤونه، كل هذا وغيره أدى إلى ازدهار النشاط العلمي (الازدهار نقصد به الكثرة والكم وليس النوع فبعض أسباب ونتائج هذا الازدهار كانت سلبية) في مختلف المجالات والفروع، خاصة بعد ظهور المذاهب الفقهية (الحنفية، المالكية، الشافعية، الحنابلة)، والطوائف المذهبية (الشيعة والخوارج) والفرق الكلامية (الجهمية، القدرية، المعتزلة...الخ) واتساع رقعة بلاد الإسلام واكتساحه لعدة حضارات وديانات وأجناس، حيث احتدم الجدل بين أهل المذاهب والديانات، وكثرت المناظرات، ولم تقصر النشاطات العلمية على العلوم الشرعية فحسب، بل تعدّته إلى العلوم العقلية خاصة الطب، كما لم تقتصر ممارسة النشاط العلمي على العلماء المسلمين فقط، بل مارسه بقوة أهل الديانات الأخرى في البلاد الإسلامية، وهم أهل الذّمّة، هذه الفئة التي وجدت في ممارسة النشاط العلمي منفذا لإثبات وجودها بين المسلمين، وتمرير أفكارها وسلما للوصول إلى بلاط الحكام، كما كان الشأن مع أطبائها، فاستطاعت بذلك ترك أثر كبير في الحياة العلمية في التاريخ الإسلاميّ، هذا ما دفعنا لاختيار نشاطها العلمي كموضوع بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط.

واقتصرنا على القرنين الثاني والثالث الهجريين لضبط الموضوع بشكل دقيق، وللتمكن منه وكون هذه الفترة شهدت نشاطا علميا كبيرا كان لأهل الذمة فيه أثر بالغ كالترجمة التي ازدهرت في هذه الفترة وبدأت في الأفول مع بداية القرن الرابع الهجري التاسع الميلادي.

وقد جعلناه تحت عنوان: **دور أهل الذّمّة في الحياة العلمية في المشرق الإسلاميّ في القرنين الثاني والثالث الهجريين الثامن والتاسع الميلاديين.**

وتكمن أهمية الموضوع في عدة جوانب:

يبيّن جانبا من حياتهم العامة في بلاد الإسلام وما تمتعوا به من تسامح منقطع النظير، حتى سمح لهم بولوج مختلف الميادين وممارسة مختلف النشاطات.

ويجلّي نشاطهم في الحياة العلمية، ونشاطهم الكبير في حركة الترجمة وإن كان هذا النشاط قد أخذ بالدراسة والتحليل وكتب وقيل عنه كثيرا من الأفكار، فمن جانبنا سنحاول تبيين العلوم التي اهتموا بترجمتها وأعطوها عناية خاصة ليظهر لنا ما لهم وما عليهم في هذه الحركة المهمة جدا في تاريخ العلوم عند المسلمين.

إضافة إلى ذكر وحصر إنتاجهم العلمي خاصة في مجال الطب ومختلف العلوم العقلية.

كما نبيّن بإذن الله تعالى نشاطهم الخفي في مقاومة الشريعة الإسلامية ودورهم في الحياة المذهبية وموقفهم من الإسلام عموما، هذا النشاط الخطير الذي كان له أثر كبير في تاريخ الإسلام، فأهل الذّمّة حتى وإن كانوا بعيدين عن مركز القرار والسلطة في بلاد الإسلام خاصة في القرنين قيد الدراسة إلّا أنّه كان لهم تأثير جد كبير وخطير في الحياة العامة في بلاد الإسلام.

وبالنسبة لإشكالية البحث فتتمحور حول إسهامات أهل الذّمّة في الحياة العلمية عند المسلمين ورأينا أن تكون على النحو التالي: **كيف كانت حياة أهل الذّمّة وما هو دورهم وإسهاماتهم في مختلف جوانب الحياة العلمية في المشرق الإسلاميّ في القرنين الثاني والثالث الهجريين الثامن والتاسع الميلاديين؟.**

وتأتي تحت هذه الإشكالية الرئيسية عدة إشكاليات فرعية هي: من هم أهل الذّمّة؟ وما هي إسهاماتهم في حركة الترجمة؟، وما هي إسهاماتهم في مختلف العلوم؟ما هي العلوم التي اهتموا بترجمتها؟ وأعطوها عناية خاصة دون غيرها؟، ولماذا؟، وما هو حجم نشاطهم وإنتاجهم في العلوم العقلية خاصة الطب؟، وأثر ذلك في الحياة العامة خاصة الدينية والسياسية؟ وكيف كان موقفهم من الإسلام؟ وكيف أثّر نشاطهم العلمي في الحياة الدينية والسياسية؟، وما هو دورهم في الحياة المذهبية؟، وما هو دورهم في محاربة الشريعة الإسلامية؟، وكيف كان موقف المسلمين من ذلك؟.

أما المنهج الذي اعتمدناه في إنجاز هذه الدراسة فهو:

المنهج الإستردادي لاسترجاع المعارف التاريخية المرتبطة بالموضوع والاقتباس من المصادر المهمّة خاصة التي احتوت مادة قيّمة في الدراسة والاستدلال بها في التحليل، والمنهج الوصفي في تبيين الأوضاع العامة التي أحاطت بالموضوع، والمنهج التحليلي فيما تعلق بتضارب تفسيرات الموضوع المختلفة واستنتاج الأفكار المهمة المجيبة عن الإشكالية المطروحة.

وبالنسبة لخطة البحث فقد جعلناها على الشكل التالي: مقدمة وأربعة فصول:

فتحدثنا في المقدمة عن أهمية البحث، ومغزى اختياره، والإشكالية التي يتمحور حولها البحث، والمنهج الذي وظّفناه في معالجته، وخطته والصعوبات التي واجهناها في دراسته وأهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها.

فالفصل الأول جاء مدخلا للبحث بعنوان أهل الذّمّة وإسهاماتهم العلمية في المشرق الإسلاميّ في (النصف الثاني من ق 1هـ/ نهاية ق 7 وبداية 8م) بدأناه بتعريف أهل الذّمّة وذكر طوائفهم وأوضاعهم بين المسلمين ثم إسهاماتهم في الحياة العلمية في النصف الثاني من القرن الأول الهجري.

والفصل الثاني كان تحت عنوان دور أهل الذّمّة في حركة الترجمة ذكرنا فيه ظهور الترجمة ومجالاتها و كبار المترجمين ونتائج حركة الترجمة.

أما الفصل الثالث عنوناه بإسهامات أهل الذّمّة في العلوم بذكر إسهاماتهم في العملية العلمية ودورهم في العلوم العقلية والنقلية.

وجاء الفصل الرابع بعنوان موقف أهل الذّمّة من الإسلام والمسلمين بينا فيه موقفهم من الأصول والشريعة الإسلامية ودورهم في الحياة المذهبية وموقف المسلمين من ذلك.

وانتهينا إلى الخاتمة والتي بيّنا فيها خلاصة ما توصلنا إليه في بحثنا هذا، وما رأيناه من اقتراحات بنيناها حسب نتائج البحث.

أما بالنسبة للدراسات السابقة فإنّنا لم نقف فيما وصلنا إليه من دراسات على أبحاث ركّزت على الدور العلمي لأهل الذّمّة وما بُحث تناول الحياة العامة منها: "دور أهل الذّمّة في الدولة الإسلامية في العصر العباسيّ من (132-447هـ/749-1055م)" للباحث طبي سمير تحت إشراف الدكتور كمال بن مارس، بجامعة الحاج لخضر باتنة، وهي رسالة ماجستير، وبحث الماجستير الموسوم بـ: "أهل الذّمّة في بلاد الشام خلال العهد العثمانيّ (923-1111هـ/1516-1699م)" تحت إشراف الدكتورة الواليش فتيحة بجامعة الجزائر 02 سنة 2014م، ورسالة الماجستير الموسومة بـ: "اليهود والنصارى بالأندلس من الفتح إلى نهاية الوجود الموحديّ (92-609هـ/710-1212م)" إعداد الباحث ولدان مُحَمَّد أمين تحت إشراف الدكتور بوباية عبد القادر بجامعة أحمد بن بلة وهران، وكما يظهر فإنّها رسائل ماجستير درست إشكالية أهل الذّمّة بشكل عام، فقد ركّزت على كل الجوانب دون تخصيص ميدان معين بما فيها الميدان العلمي الذي خصصناه بالبحث في موضوعنا هذا.

واستقينا المادة العلمية المعتمد عليها في موضوع البحث من عدة مصادر ككتب التفسير والعقيدة والفقه والتاريخ العام والطبقات والتراجم وكل مجموعة مصادر لها قيمتها الخاصة في البحث.

فمن كتب التفسير تفسير "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير" للجزائريّ أبو بكر (ت1439هـ/2018م) جابر رحمه الله تعالى وهو تفسير ممتاز وميسّر ومختصر دون إخلال يسهل الاعتماد عليه إذ يركّز على معنى المفردات، ثم المعنى العام والأحكام المستفادة، ومستندا على الأحاديث الصحيحة والحسنة فأفادنا في تفسير الآيات التي اعتمد عليها بحثنا الذي يضم جانبا دينيا مهما.

وبالنسبة لكتب الفقه والتي أفادتنا في التعريف بأهل الذّمّة وأقسامهم وأحكامهم منها "أحكام أهل الذّمّة " للإمام ابن قيم الجوزية (ت751هـ/1350م)، والذي نهلنا منه كثيرا خاصة فيما تعلق بأصناف أهل الذّمّة وحقوقهم وواجباتهم حيث تناول الأمر بإسهاب كبير وممتاز معتمدا على ما جاء في القرآن والسنة وإجماع الصحابة وفتاوى جمهور العلماء، كما تطرق إلى أحوال أهل الذّمّة في خلافة بعض الخلفاء في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وما زاد في أهمية الكتاب وقيمته تحقيقه وتخريج أحاديثه من قبل محققيه يوسف بن أحمد البكريّ وشاكر العاروريّ، وقد فصلا في تحقيق أحاديث الكتاب وعلّقا على صاحب الكتاب تعليقات جيدة أفادتنا في البحث.

وكتاب "الأحكام السلطانية" للماورديّ (ت450هـ/1058م) الذي تناول النظم الإسلامية بالتفصيل، بدءا بالإمامة وختمها بالحسبة، واستفدنا منه في بابه الثالث عشر الجزية والخراج حيث تناولهما بالتفصيل خاصة الجزية التي أسهب في تفصيلها، كما تطرق إلى أهل الذّمّة وعلاقتهم بالمسلمين، كما أخذنا منه في بابه الأول الإمامة حيث تطرق فيه إلى مهام إمام المسلمين ومنها ما تعلق بعقد الذّمّة.

ومصنف "شرح السّير الكبير" للفقيه مُحَّد بن أحمد السرخسيّ الحنفيّ (ت490هـ/1097م) وهو شرح لكتاب السير الكبير للفقيه الحنفيّ مُحَّد بن الحسن الشيبانيّ (ت189هـ/805م) تلميذ الإمامين أبي حنيفة (ت150هـ/767م) ومالك بن أنس (ت179هـ/795م) والكتاب في فقه العلاقات الدولية في الإسلام، حيث يعتبر أقدم كتاب فقه في هذا الباب تناول فيه أحكام الجهاد والحرب، وأحكام الصلح والمعاهدات، وأحكام الأمان، وسياسة المسلمين في تنظيم الحرب وما تعلق بأهل الذّمّة والجزية، وقد شرحه السرخسيّ شرحا وافرا زاد في قيمة الكتاب.

ومن الكتب الأصولية المهمة كتاب "ذم الكلام وأهله" للعلامة الهرويّ أبي إسماعيل عبد الله بن مُحَّد الأنصاريّ (ت481هـ/1088م) تحقيق عبد الرحمن الشبل طبعة مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة سنة 1998م، بيّن فيه حكم علم الكلام وموقف الصحابة والتابعين ﷺ وعلماء الأمة الأفاضل منه مع شذرات لبداياته وأعلامه وقد أورد أحكامه مسندة وفق منهج المحدّثين مما قوّى مصداقية المصنف.

وكتاب "الرد على المنطقيين" لابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحنبليّ الحرانيّ الدمشقيّ (ت728هـ/1328م) والمعروف أيضا بـ: "نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان" تحقيق عبد الصمد الكتبيّ، وهو من أعظم المصنفات في الرد على المنطق الأرسطيّ اليونانيّ الذي كان لشيخ الإسلام قصب السبق في الرد عليه، عالج فيه المنطق من تعريفه ثم أصوله التي يقوم عليها والرد على هذه الأصول والمقالات بالتفصيل المبني على الأدلة النقلية والعقلية التي دحض بها شبه المنطق، وقد استقينا منه الكثير في هذه الأبواب المذكورة.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية أيضا: "مجموع الفتاوى" تحقيق عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم الذي جمع فيه شيخ الإسلام أصول وفروع الإسلام مبتدءا بالعقيدة ثم التفسير وأصول الفقه والفقه وقد نهلنا منه كثيرا من الدرر خاصة في الأجزاء الأولى المتعلقة بالعقيدة فاستفدنا منه الكثير.

ومن الكتب المهمة أيضا في هذا الجانب التي كانت لها بصمة في بحثنا كتاب "صون المنطق" للعلامة السيوطيّ جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ/1505م)، تحقيق علي سامي النشار وسعاد علي عبد الرزاق، وهو كتاب ممتاز نادر في فنه، تطرق فيه إلى المنطق الأرسطيّ عند المسلمين مستهّلا من سبب تأليفه للكتاب وموقف أهل السنة من المنطق، ومبدأ دخوله إلى علوم المسلمين وحامل لواء ذلك، وما يتعلق بهذا العلم عند المسلمين بإسهاب جيّد مدعّما آراءه بالأدلّة، وناقلا لنصوص وأقوال من كتب عديدة على رأسها كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وكتاب "الفرق بين الفرق وبيان الفرقة النّاجية" للبغداديّ عبد القاهر بن طاهر بن مُحَمَّد التميميّ الاسفراييني (ت429هـ/1038م) الذي يعد من أهم وأقدم كتب الفرق والملل والنحل حيث تناولها باختصار دون إخلال، باختصار يسهّل الاستفادة منه فاستفدنا منه في معرفة مختلف النحل والمذاهب وأصولها وموقف الإسلام منها.

أما كتب التاريخ فمنها كتاب "فتوح البلدان" للمؤرخ البلاذريّ أبي جعفر أحمد بن يحيى (ت279هـ/892م) وتكمن أهميته في قرب عهده بالفتوحات وإسناد أخباره المهمة التي بيّنت كثيرا من التفاصيل كمعاملة أهل البلاد المفتوحة وأخبار الجزية والخراج.

وكتاب "الفهرست" للأديب ابن النديم البغداديّ (ق4هـ/10م)، والذي يختص بذكر التراث العلمي في الحضارة الإسلامية بترجمة كبار المؤلفين ومؤلفاتهم، ويعتبر من المصادر النادرة في فنه لتطرقه لمختلف العلوم والعلماء ولكون ابن النديم عاش في فترة متقدمة من التاريخ الإسلامي، فحفظ لنا أسماء

كثير من المؤلفات التي ضاعت من خزائن الكتب لاحقا، واستفدنا منه في معرفة علماء أهل الذّمّة ومترجميهم وما تركوه من إسهامات وما لعبوه من دور في الحضارة الإسلامية.

وكتاب "إخبار العلماء بأخبار الحكماء" للمؤرخ جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطيّ (ت646هـ/1248م) الذي ترجم فيه لكثير من الأعلام من أهل الذّمّة الذين كان لهم صيت في الحضارة الإسلامية كما تطرق لحركة الترجمة عند العباسيين، وبيت الحكمة ودوره في هذه الحركة.

إضافة إلى مصنف "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" للطبيب والمؤرخ موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم الخزرجيّ المعروف بابن أبي أصيبعة (ت668هـ/1296م)، الذي اختص بترجمة الأطباء منذ القدم إلى عهده، كما تطرق أيضا إلى حركة الترجمة ومن اهتم بها وقد استفدنا منه استفادة كبيرة فيما يتعلق بأطباء أهل الذّمّة ومترجميهم، وإسهاماتهم العلمية ويعتبر من أبرز تراجم الأطباء، والمؤرخون من بعده عيال عليه.

والمصنف المهم "طبقات الأطباء والحكماء" لابن جلجل أبي داود سليمان بن حسان الأندلسيّ (ت383هـ/994م) تحقيق فؤاد سيد، وهو كتاب ممتاز في فنّه فقد ترجم لكثير من الأطباء والعلماء من مختلف الأديان، وانفرد ببعض الأخبار المهمة، وقد استقينا منه عدة تراجم ومعلومات قيمة خدمت البحث.

وكتب التاريخ العام على رأسها كتاب "تاريخ الرسل والملوك" للعلامة المؤرخ الطبريّ أبو جعفر مُحَّد بن جرير (ت310هـ/923م)، ويعد مصدرا مهما للبحث، بفعل غزارة مادته التاريخية وشموليته لكل جوانب الحياة العامة في العالم الإسلاميّ خاصة المشرق، وتزيد أهميته لكونه عاصر فترة طويلة من الفترة قيد الدراسة، حيث عاش ما بين سنتي (224-310هـ/839-923م)، فأخذنا منه أحوال أهل الذّمّة العامة وبعض إسهاماتهم وأدوارهم في المشرق الإسلاميّ.

ومن كتب الأدب اعتمدنا بشكل كبير على كتب الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر الكنانيّ (ت255هـ/869م) وعلى رأسها "رسائل الجاحظ"، تحقيق وشرح عبد السلام مُحَّد هارون، حيث رجعنا إلى رسالته حول النصارى التي بيّن فيها منهج حياتهم بين المسلمين وأساليبهم في التغلغل والخداع في الحياة العلمية وكتاب "المختار في الرد على النصارى" وهما موضوعان ذوا صلة مباشرة بالبحث زكّتهما أيضا فترة حياة الجاحظ التي تدخل في الفترة قيد البحث فاستفدنا منهما استفادة كبيرة.

وكتاب "المقدمة" لابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن مُحَّد (ت808هـ/1406م) الذي اعتنى به هيثم جمعة هلال وهي طبعة جيدة مشكلة ومشروحة سهّلت فهم لغة ابن خلدون المتينة في مقدمته

هذه، والتي نهلنا منها في تصنيف العلوم، والتعريف بها وبتاريخها وواقعها عند المسلمين من ابتداء أمرهم إلى عصر ابن خلدون.

ومن المراجع المهمة التي اعتمدنا عليها كتاب "أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام" للعلامة الأصوليّ عبد الكريم زيدان (ت1435ﻫ/2014م)، حيث أخذنا منه ما تعلق بأحكام أهل الذّمّة وواقعهم في ظل الإسلام كونه أسهب في تبيين أحكامهم وكيف عاشوا في كنف المسلمين، وما يزيد في أهمية الكتاب تخصص صاحبه في الأصول ودرايته الكبيرة بالفقه.

وكتاب "خزائن الكتب العربية في الخافقين" للأديب والمؤرخ اللبنانيّ فيليب دي طرازي (ت1375ﻫ/1956م) الذي تناول المكتبات العربية في الشرق والغرب منذ أقدم العصور، وتطرق إلى كل ما تعلق بالكتب والكتابة كالتّأليف والنسخ والترجمة وجمع الكتب وحركتها بين الحضارات وأبرز المكتبات في القديم والحديث، وهو كتاب ممتاز حاز قصب السبق في كثير من المعلومات حول الموضوع، كونه مختص في هذا الجانب وعمل في هذا الميدان العلمي (المكتبات) لمدة طويلة، زيادة على كونه نصرانيّ مشرقيّ ساعده هذا على الاطلاع على تراث أبناء نحلته، فاستقينا منه معلومات وافية عن أهم المكتبات وعن حركة الترجمة وأهم المهتمين من أهل الذّمّة خاصة النصارى بالعلوم المختلفة ومساهماتهم فيها.

إضافة إلى الكتاب القيم "تاريخ التراث العربي" للباحث والمؤرخ الكبير فؤاد سزكين التركيّ (ت1439ﻫ/2018م) والذي اختصّ بالعلوم العربية منذ القدم إلى العصر الإسلامي، مترجما لأكثر المؤلفين وذاكرا ومحصيا لعدد هائل من الكتب التي صنّفت في مختلف العلوم التي اهتم بها المسلمون مفردا كل علم من العلوم في جزء خاص، وقد استفدنا منه الكثير حيث حوى معلومات كثيرة ودقيقة عن العديد من المؤلفين والمؤلفات المهمة التي أُلّفت في العهد الإسلاميّ وقبله واستفاد منها المسلمون.

وقد رجعنا إلى بعض البحوث والمقالات المنشورة في الدوريات والمجلات العلمية العربية، كالمؤرخ العربيّ والمورد والمجمع العلمي العراقيّ، فهذه هي أبرز المصادر والمراجع التي استفدنا منها في إثراء البحث وليست الوحيدة لأنّ هناك مصنفات أخرى اكتفينا بتبيينها في هوامش البحث وقائمة الببلوغرافيا.

أمّا بالنسبة للمشاكل والصعوبات التي واجهتنا فتتمثّل في قلّة المادة العلمية المتعلقة بإسهامات أهل الذّمّة في بعض العلوم بفعل تركيز المؤرخين على علوم بعينها كالطب، وكذلك موقف أهل الذّمّة من الإسلام وأهله، لأنّ أكثر ذلك كان خفيّا غير جليّ اعتمد فيه الذميون على الدسائس والمؤامرات والتغلغل الخفي بين المذاهب، إضافة إلى تضارب المادة العلمية وتحليلات بعض الباحثين للدور العلمي

الحقيقي لأهل الذّمّة في الدولة الإسلامية، فكثير ممن وقف موقف الناقم من دورهم العلمي خاصة على العقيدة (وإن كان الموقف صحيحا بفعل المعطيات الجلية كالتشابه الفكري والنتائج...الخ) اعتمدوا في بعض تحليلاتهم لموضوع ربط الفرق الإسلامية المنحرفة بغير المسلمين على التخمينات والتعميم دون أدلة قوية (رغم وجودها) مستعملين مصطلحات وأحكام غير علمية ولا تصلح في علم التاريخ فهو برهان وليس بهتان وعرفان، منها على سبيل المثال لا الحصر: يظهر، ربما، ولا شك...الخ، والأسوأ من ذلك إعطاء أحكام لا يعلمها إلّا الله تعالى كالحكم بأنّ البعض دخل الإسلام نفاقا أو دخله دون التخلي عن عقيدته السابقة، فلماذا لا يكون بعض هؤلاء المنحرفين من المسلمين والزنادقة استمدوا تلك الأفكار دون الرجوع إلى أصحابها أو مساعدة منهم؟ وما أدرانا بقلوب القوم؟ إن لم يفصحوا عن عقيدتهم ولم يظهر ما يبيّنها بشكل ظاهر.

وفي الختام أجدد شكري لأستاذي المشرف على جهده معي في إنجاز البحث وعدم بخله عليّ بالتوجيهات العلمية الأكاديمية النافعة وتيسيره لكل ما رأيته معيقا حتى تمّ هذا البحث الذي ما فيه من صواب إليه يرجع وما فيه من خطأ إلي يعود.

الفصل الأول: أهل الذّمّة وإسهاماتهم العلمية في المشرق الإسلامي في (النصف الثاني من ق 1هـ/ نهاية ق 7 وبداية 8م):

1- تعريف أهل الذّمّة.

2- طوائف أهل الذّمّة.

3- أوضاع أهل الذّمّة.

4- إسهامات أهل الذّمّة في الحياة العلمية في المشرق الإسلامي في (النصف الثاني من ق1هـ/نهاية ق7 وبداية 8م).

الفصل الأول: أهل الذّمّة وإسهاماتهم العلمية في المشرق الإسلاميّ في (النصف الثاني من ق 1هـ/نهاية ق 7 وبداية 8م):

شغل أهل الذّمّة مكانا بارزا ومهما في التاريخ الإسلامي، فقد عاشوا بأمان بين المسلمين وهذا بفعل الأحكام الكثيرة والمهمة التي شرّعها الإسلام، حيث ضبط حدود معاملتهم والتعامل معهم، زيادة على التأثير الذي أحدثوه في الحياة العامة في الأمصار الإسلامية التي ولجوها، ونحن في موضوعنا هذا سنبحث في جانب مهم من جوانب حياة أهل الذّمّة في المشرق الإسلاميّ وهو دورهم في الحياة العلمية وذلك في العصر الوسيط عهد تفوّق المسلمين وازدهارهم، وسنقتصر على القرنين (2-3هـ/8-9م) وسنبدأ بحثنا بتبيين الأوضاع العلمية في المشرق الإسلاميّ في النصف الثاني من القرن (1هـ/7م) ودور أهل الذّمّة فيها بعد التعريف بالذّمّيين وذكر من يدخل ضمن هذه الفئة، وهذا كي تتشكل لدينا صورة لها تسهّل علينا الآتي من البحث.

المبحث الأول: التعريف بأهل الذّمّة:

أولا_ أهل الذّمّة لغة وشرعا:

قبل التعريف بهذه الفئة غير المسلمة في أرض الإسلام، علينا أن نبيّن أولا أنّ بحثنا يعالجها في المشرق الإسلامي، بعدما صار الحكم فيه للمسلمين وأصبح دار إسلام، هذه الدار التي عرّفها جمهور علماء المسلمين بأنّها: "التي نزلها المسلمون وجرت عليها أحكام الإسلام"[1]، ولم تشترط فيها الوحدة، فحتى ولو لم تكن أرض الإسلام موحدة في العصر الإسلاميّ فإنّ المسلم يتمتع في أي مصر من أمصارها بحق المواطنة[2]، فالأصل في أرض الإسلام أن يوجد بها المسلمون والغلبة والكلمة العليا فيها لهم[3]، ولا ضير في وجود طائفة تدين بغير الإسلام وتتمتع بحق المواطنة[4] وهي ما أطلق عليه في الشريعة الإسلامية أهل الذّمّة، فما هي الشروط المفروضة لدخول غير المسلمين في طائفة أهل الذّمّة وتمتعهم بحق

---

(1)- ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، تحقيق وتعليق: يوسف بن أحمد البكري وشاكر العاروري ، ط1، رمادي للنشر، السعودية، 1997، ج1، ص 728.

(2)- علي منصور: الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1971، ص 93؛ عبد العزيز الأحمدي: إختلاف الدارين وآثاره في أحكام الشريعة الإسلامية، ط1، الجامعة الإسلامية، السعودية، 2004، ج1، ص 130.

(3)- عبد العزيز الأحمدي: المرجع السابق، ج1، ص 118.

(4)- وزارة الأوقاف الكويتية: الموسوعة الفقهية، ط2، ذات السلاسل، الكويت، 1976، ج7، ص 125؛ عبد الكريم زيدان: أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982، ص 19.

المواطنة، وهل هذا الحق يجعلها كالمسلمين في الحقوق والواجبات أم لها أحكامها الخاصة بها، وكيف كانت حياتها في ظل الإسلام وهل كان لها دور علمي في أيام الإسلام الأولى؟.

الذّمّة في اللّغة: الذِّمَّةُ بكسر الذال وهي العَهْدُ[1] قال الله عزوجل: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ التوبة 08؛ فالإلّ القرابة والعقد والحلف، والذِّمَّة العهد[2] والكفالة، قال الشاعر الأمويّ الأخطل التغلبيّ (ت92هـ/710م)[3]:

فلاَ تَنْشُدُونَا من أَخِيكم ذِمامةً   ويُسْلِم أَصداءَ العَوِيرِ كَفِيلُها

وقال الصحابي الجليل الشاعر المخضرم أسامة الهذليّ (ق1هـ/7م):

يُغَرِّدُ بالأَسْحارِ في كُلِّ سُدْفَةٍ   كَمَا ناشَدَ الذِّمَّ الكفيلَ المعاهَدُ[4]

وهي الضّمان فيقال: هو في ذِمتي أي هو في ضماني، وبه سمي أهل الذِّمَّة، لأنّهم في ضمان المسلمين[5]، والأمان[6] وفي الحديث قال ﷺ: «وَذِمَّةُ المسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ»[7]؛ فالذّمّة هنا بمعنى الأمان[8] الأمان[8] وعقد الصلح والمهادنة والحق والحرمة[9]، وجمعها الذِّمامُ[10]، وأذَمَّهُ أي أجارَه[11] وسمي الذِّمّي

---

[1]- ابن بطال: شرح صحيح البخاري، علّق عليه: ياسر بن إبراهيم، ط2، مكتبة الرشد، الرياض، 2003، ج5، ص 338؛ وزارة الأوقاف الكويتية: المرجع السابق، ج7، ص 120.

[2]- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمّد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ج4، ص 101؛ رشيد رضا: تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990، ج10، ص 166.

[3]- مرتضى الزّبيدي: تاج العروس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الإسكندرية، (د ت)، ج32، ص 206.

[4]- ابن سيده المرسي: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ج10، ص 58-59؛ ينظر ابن منظور: لسان العرب، ط2، دار صادر، بيروت، 1994، ج12، ص 221؛ سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، ط2، دار الفكر، دمشق، 1988، ص 138.

[5]– ابن الأزهري الهروي: تهذيب اللغة، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001، ج 14، ص 300.

[6]- مرتضى الزّبيدي: المصدر السابق، ج32، ص 206؛ وزارة الأوقاف الكويتية: المرجع السابق، ج7، ص 120.

[7]- ابن بطال: المصدر السابق، حديث صحيح، كتاب: الجزية، باب: ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، ح978، ج5، ص 350.

[8]- زين الدين الرازي: مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمّد، ط5، المكتبة العصرية، بيروت، 1999، ج1، ص 113؛ ابن بطال: المصدر السابق، حديث صحيح، كتاب: الجزية، باب: ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، ح978، ج5، ص 351.

[9]- سعدي أبو حبيب: المرجع السابق، ص 138.

[10]- ابن منظور: المصدر السابقق، ج12، ص 221؛ مرتضى الزّبيدي: المصدر السابق، ج32، ص 206.

[11]- الجوهري الفارابي: الصحاح، تحقيق: أحمد عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ج5، ص 1926.

كونه يدخل في أمان المسلمين ومعاهداتهم، حيث يعطي عهدا يأمن به على نفسه وماله وعرضه ودينه[1].

والذّمّة شرعا: في اصطلاح الفقهاء هي العهد والضمان والأمان لغير المسلمين في أرض الإسلام[2].

الإسلام[2].

يتجلى لنا من كل هذا أنّ أهل الذّمّة هم غير المسلمين في أرض الإسلام الذين لهم عهد وضمان، يأمنون بموجبه على حياتهم وحريتهم وأعراضهم وأموالهم ودينهم بكل رحمة وسماحة، حيث يُقَرّون على كفرهم بالإسلام ويدافع عنهم كباقي الرعايا المسلمين مقابل دفع الجزية[3] للدولة الإسلامية، وبذلك وبذلك أصبحوا أهل ذمّة[4]، يقول المستشرق الفرنسي هنري دي كاستري (ت1345هـ/1927م): "ومن الخطأ الفاحش استعمال لفظة الذمي في معنى الخسّة والدناءة، لأنّ معناها الحقيقي: المؤمَّن"[5]، وهم اليهود والنصارى والمجوس والصابئة (سنأتي إلى تبيين طوائفهم لاحقا في موضعه إن شاء الله تعالى).

ثانيا_ طوائف غير المسلمين وعلاقتهم بالمسلمين:

ينقسم غير المسلمين إلى ثلاثة أقسام ولكل أحكامه وهم المحاربون والمحايدون والمعاهدون:

1_ **المحاربون:** أو أهل الحرب وهم من لم يكن للمسلمين عهد معهم[6] وقد تكون معهم حرب أو يكونون محايدين ولهم أحكام خاصة بهم.

2_ **المحايدون:** هو الكيان غير المشترك في حرب بين فريقين أحدهما مسلم، ويحتفظ بعلاقاته السلمية وحياده مع الفريقين المتحاربين، والحياد قد يكون مؤقت أو دائم[1] وله أحكام عدة في الفقه الإسلامي.

---

[1]- سعدي أبو حبيب: المرجع السابق، ص 138.

[2]- سيد سابق: فقه السنة، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1977، ج2، ص 662.

[3]- الجزية: الجزية مشتقة من الجزاء وهي مقدار من المال يفرض على من دخل في ذمّة المسلمين وعهدهم، تجبى بحلول الحول تبقى بالكفر وتسقط بالإسلام، ومقابلها حقان أولهما الكف عنهم وثانيهما حمايتهم فيكونون آمنين محروسين؛ ينظر: أبو يوسف يعقوب: كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت، 1979، ص 122؛ الماوردي: الأحكام السلطانية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، ط1، مكتبة ابن قتيبة، الكويت، 1989، ص 181-182.

[4]- علاء الدين الكاساني: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986، ص 110؛ عثمان جمعة ضميرية: أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام محمّد بن الحسن الشيباني دراسة فقهية مقارنة، ط1، دار المعالي، الأردن، 1999، ج1، ص 434؛ سيد سابق: المرجع السابق، ج2، ص 662.

[5]- هنري دي كاستري: الإسلام خاطر وسوانح، ترجمة: أحمد فتحي زغلول، ط1، دار طيبة، مصر، 2008، ص 73.

[6]- وزارة الأوقاف الكويتية: المرجع السابق، ج7، ص 121.

3_ **المعاهدون**: وهم من كان لهم عهد في بلاد الإسلام أو خارجها، وعلى رأسهم أهل الذّمّة كما ذكرنا سالفا، وأصناف أخرى تتداخل تسمياتها وخصائصها وأحكامها الشرعية مع أهل الذّمّة وهي:

أ _ أهل الأمان (المستأمنون):

وهم من دخل دار الإسلام على أمان مؤقت من قِبل الإمام أو أحد المسلمين، والفرق بينهم وبين أهل الذّمّة أنّ الأمان لأهل الذّمّة مؤبّد[2]، وللمستأمنين مؤقت[3].

ب _ أهل الهدنة:

وهم الكفار الذين في أرضهم، وقد عاهدوا المسلمين وصالحوهم على ترك القتال مدة معلومة[4]، وهي تعرف بالهدنة وأصحابها أهل الهدنة، وأيضا بالمعاهدة والموادعة والصلح، سواء أكانت الهدنة مقابل المال أو بدونه، ولا تجري عليهم الأحكام الشرعية التي تطبق على أهل الذّمّة، وما يشترط عليهم هو الكف عن قتال المسلمين، وقد شرّع هذا العقد بنص القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ الأنفال 61؛ حيث يقول الله تعالى لنبيه مُحَّد ﷺ إن مال الكفار للمسالمة والمصالحة والمهادنة فمل إليها واقبل منهم، وبأن لا يأنف المسلمون من السَّلم وأن يوافقوا من سأله منهم[5]، ولهذا لما جنح المشركون عام الحديبية[6] في سنة (6هـ/628م) للصلح ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله ﷺ أجابهم إلى ذلك مع ما اشترطوا من الشروط[7]، وهي

---

(1)- عبد الله الطريقي: التعامل مع غير المسلمين أصول معاملتهم واستعمالهم دراسة فقهية، ط1، دار الفضيلة، السعودية، 2007، ص 151.

(2)- ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ج1، ص 216 .

(3)- وزارة الأوقاف الكويتية: المرجع السابق، ج7، ص 121.

(4)- مُحَّد بن ابراهيم التويجري: موسوعة الفقه الإسلامي، ط1، بيت الأفكار الدولية، الأردن، 2009 ، ج5، ص 520.

(5)- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج10، ص 58.

(6)- الحديبية: اسم قرية متوسطة بها بئر قرب مكة سميت به، ونسبت إليها غزوة في السنة (6هـ/628م) فيها خرج المسلمون من المدينة المنورة بنيّة العمرة فمنعهم المشركون من دخول مكة، فسميت بذلك غزوة، بدأت بوصولهم الحديبية فبايعوا النبي ﷺ تحت شجرة بها على الموت وسميت ببيعة الرضوان، وبعدها وصل وفد من قريش بغرض الصلح ومنع المسلمين من دخول مكة وتم الصلح على عدة بنود أهمها توقف القتال عشر سنين ودخول المسلمين مكة في العام القادم؛ ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995، ج2، ص 229؛ أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة، ط6، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1994، ج2، ص 434-443.

(7)- ابن كثير: المصدر السابق، ج4، ص 74؛ أكرم ضياء العمري: المرجع السابق، ج2، ص 434-443.

جائزة لا واجبة[1]، حيث تعقد متى كان هناك مصلحة للمسلمين، فإن لم تكن فيها منفعة للمسلمين لم يجز عقدها بإجماع علماء الأمة[2].

وفي الأخير يظهر لنا أنّ أهل الذّمّة هم بعض الكفار في الدولة الإسلامية الذين تمتّعوا بحرية العيش وبالأمن والحماية بين المسلمين خاصتهم وعامتهم، مقابل شروط شرعية واضحة هدفها الرئيسي ترغيبهم ودعوتهم إلى التوحيد الخالص الذي هو جوهر الإسلام دون قهر أو إذلال.

المبحث الثاني: طوائف أهل الذّمّة:

شرّع عقد الذمّة بنص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وإجماع الأمة، ولكنّ هناك خلاف بين فقهاء المسلمين حول النحل والطوائف المعنية في الشريعة الإسلامية بهذا العقد، حيث أجمعوا على دخول بعض الكفار في هذا العقد واختلفوا حول البعض الآخر؛ فمن هي الملل والنحل التي يقبل دخولها في ذمّة المسلمين ومن هي التي يمنعها الشرع من ذلك؟.

أجمعت الأمة الإسلامية على دخول أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى[3] (ويدخل مع اليهود فرقة فرقة السامرة)[4]، والمجوس[5] في ذمّة المسلمين، بدليل القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة والإجماع، قال قال الله تعالى: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ التوبة 29؛ فدلّت الآية الكريمة على أخذها من اليهود والنصارى[6]، وجاء في السنّة النبوية المطهرة قوله ﷺ عن المجوس:

---

[1]- وزارة الأوقاف الكويتية: المرجع السابق، ط1، مطابع دار الصفوة، مصر، 1976، ج25، ص 232.

[2]- وزارة الأوقاف الكويتية: المرجع نفسه، ج25، ص 232.

[3]- أجمعت الأمة على أنّ أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، ومن تبع دينهم، فيدخل في اليهود السامرة لأنّهم يدينون بالتوراة وانتسبوا إلى موسى عليه السلام ويدخل في النصارى كل من دان بالإنجيل وانتسب إلى عيسى عليه السلام بالادّعاء والعمل بشريعته، فهم أهل الكتب السماوية فقط؛ ينظر ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ج1، ص 242.

[4]- السامرة: فرقة يهودية تنتسب إلى السامري، تركّز وجودها قرب بيت المقدس وبعض قرى مصر، وهي أكثر فرق اليهود اختلافا عنهم، من ذلك أنّها أثبتت نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام، وأنكروا من بعدهم من الأنبياء إلّا نبيا واحدا بشرت به التوراة على قولهم، وتقول أنّ جبل غزيريم بين نابلس وبيت المقدس هو المكان المقدس وقبلة اليهود وليس بيت المقدس، إلى غير ذلك من الشرائع المخالفة لسائر اليهود؛ ينظر الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق: مُحَّد بن فريد، دار التوفيقية للطباعة، مصر، 2003، ج1، ص 224-225.

[5]- ابن المنذر: المصدر السابق، ص 62؛ ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ج1، ص79.

[6]- ابن كثير: المصدر السابق، ج4، ص 117؛ أبو بكر جابر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط5، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2003، ج2، ص 258.

«سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الكِتَابِ»[1]، وجاء في السنّة النبوية أيضا: "أنّ عمر بن الخطاب ﷺ وعن الصحابة أجمعين لم يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف (ت33ﻫ/652م) ﷺ أنّ رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هَجَرَ[2]" فأخذها منهم عمر ﷺ[3]، وبهذا اتفقت الأمة الإسلامية على قبولها وأخذها من اليهود والنصارى والمجوس.

والاختلاف واقع حول الكفار دون الملل والنحل المذكورة، فذهب فقهاء الشافعية والحنابلة إلى أنّها لا تقبل إلّا من أهل الكتاب والمجوس[4]، وقال الفقهاء الأحناف والمالكية تعقد الذّمّة لكل الكفار وعبدة الأوثان والمشركين[5]، واستثنى الأحناف مشركي العرب[6]، ومنه انقسم الفقهاء إلى ثلاثة أقوال: القول الأول: لا تقبل إلّا من أهل الكتاب والمجوس؛ وهو قول فقهاء الشافعية والحنابلة والقول الثاني: لا تقبل من مشركي العرب، وتقبل من جميع الكفار والمشركين الآخرين؛ وهو قول الفقهاء الحنفية والقول الثالث: تقبل من جميع الكفار دون استثناء عجما وعربا؛ وهو ما ذهب إليه فقهاء المالكية والإمام عبد الرحمن الأوزاعيّ (ت157ﻫ/774م)[7] وبعض العلماء من المذاهب الفقهية الأخرى وبعض الفقهاء والباحثين المعاصرين.

ودليل أصحاب القول الأول الآية والحديث والسنة الفعلية المذكورة سابقا[8].

واستدل أصحاب القول الثاني وهم الأحناف بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ التوبة 05؛ فقالوا أنّ الله

---

[1]- مالك بن أنس: الموطأ، تصحيح وتخريج وتعليق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985، حديث ضعيف، كتاب: الزكاة، باب: جزية أهل الكتاب والمجوس، ح42، ص 278.

[2]- هجر: إقليم ناحية البحرين شرق شبه الجزيرة العربية؛ ينظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، 1977، ج5، ص 393.

[3]- ابن بطال: المصدر السابق، كتاب: الجزية، باب: الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، ج5، ص 327.

[4]- منصور البهُوتي: المصدر السابق، ج3، ص 117؛ المقدسي ابن قدامة: المصدر السابق، ج10، ص 558؛ أبو يعلى الفراء: الأحكام السلطانية، تصحيح وتعليق: الفقي محمّد حامد ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ص 154.

[5]- محمّد الصنعاني: سبل السلام شرح بلوغ المرام، تعليق: الألباني، ط1، مكتبة المعارف، السعودية، 2006، ج4، ص 258.

[6]- أبو جعفر الطحاوي: مختصر اختلاف العلماء، تحقيق: عبد الله نذير أحمد، ط2، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1996، ج3، ص 484؛ ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ج1، ص 87.

[7]- شمس الدين القرطبي: الجامع لإحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964، ج8، ص 110.

[8]- منصور البهُوتي: المصدر السابق، ج3، ص 117.

عزوجل أمر بقتل المشركين إلّا أن يسلموا والمقصود هنا مشركي العرب[1]؛ ودليلهم في دخول باقي الملل بما فيه الصابئة[2] في عقد الذّمّة يتداخل مع أدلة الرأي الثالث.

وهو رأي فقهاء المالكية[3]، وذهب إليه الإمام عبد الرحمن الأوزاعيّ (ت157هـ/774م) والعلامة ابن قيم الجوزية (ت751هـ/1349م)، والذي استند على عدة أدلة أبرزها حديث بريدة ﷺ في قوله ﷺ: «...وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ -أَوْ خِلَالٍ- فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ...» إلى أن قال ﷺ: «...فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ...»[4]؛ ومن هذا الحديث الشريف يظهر أنّ الجزية تؤخذ من كل كافر فظاهر الحديث لم يستثن منه أي كافر[5]، فتعقد الذّمّة لكل الملل سواء أكانوا كتابيين أم مجوسا أم غيرهم، وسواء أكانوا عربا أم عجما، يقول القاضي أبو بكر بن العربيّ الإشبيليّ المالكيّ (ت543هـ/1149م): "والصحيح قبولها من كل أمّة، وفي كل حال عند الدعاء إليها والإجابة بها"[6]، فبما أنّه ثبت بالقرآن والسنة عقدها للكتابيين والمجوس، فمن عداهم يلحق بهم.

فأخذها من اليهود والنصارى والمجوس دليل على أخذها من جميع المشركين، وإنّما لم يأخذها ﷺ من عبدة الأوثان من العرب كونهم أسلموا كلهم قبل نزول آية الجزية في السنة التاسعة من الهجرة بعد غزوة تبوك، وكان رسول الله ﷺ قد فرغ من قتال العرب ودانت كلها بالإسلام، ولهذا السبب أيضا لم يأخذها من اليهود الذين حاربوه، لأنّها لم تكن نزلت بعد فلما نزلت أخذها من نصارى العرب، ومن المجوس، ولو بقي حينئذ أحد من عبدة الأوثان وقبل ببذلها لقبلها منه ﷺ كما قبلها من عبدة الصلبان والأوثان والنيران ولا فرق بينهم، ثمّ إنّ كفر عبدة الأوثان ليس أغلظ من كفر المجوس، وأي فرق بين عبدة

---

[1]- علاء الدين الكاساني: المصدر السابق، ص 110.

[2]- أبو يوسف يعقوب: المصدر السابق، ص 135.

[3]- جلال الدين السعدي المالكي: عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، تحقيق: حميد بن مُحَّد لحمر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ج1، ص 326؛ عبد الوهاب الثعلبي: المعونة على مذهب عالم المدينة، تحقيق: حميش عبد الحقّ، المكتبة التجارية، السعودية، (د ت)، ج1، ص 449.

[4]- مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق: مُحَّد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت)، حديث صحيح، كتاب: الجهاد والسير، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ح1731، ج3، ص 1357.

[5]- ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ج1، ص 87.

[6]- أبو بكر ابن العربي: المصدر السابق، ج2، ص 479.

الأوثان وبين عبدة النيران، بل كفر المجوس أغلظ[(1)]، فعبّاد الأوثان كانوا يقرّون بتوحيد الربوبية، وأنّه لا خالق إلّا الله، وأنّهم إنّما يعبدون آلهتهم لتقربهم إلى الله سبحانه وتعالى، قال عنهم الله عزوجل: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ الزمر 03؛ ولم يكونوا يقرون بصانعين للعالم أحدهما خالق للخير والآخر للشر، كما تقول المجوس، ولم يكونوا يستحلون نكاح الأمهات والبنات والأخوات وكانوا على بقايا من دين إبراهيم عليه السلام، وأما المجوس فلم يكونوا على كتاب أصلا، ولا دانوا بدين أحد من الأنبياء، لا في عقائدهم ولا في شرائعهم فلو كانوا أهل كتاب لما قال ﷺ: «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ»[(2)]، ولَماَ توقف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أمرهم[(3)]، أمّا مشركو العرب في جاهليتهم فكانوا على دين إبراهيم عليه السلام، وكان له صحف منزّلة وشريعة سماوية، وليس تغيير عبدة الأوثان لدين إبراهيم عليه السلام ولشريعته بأعظم من تغيير المجوس لدين نبيهم وكتابهم لو صح، فإنّه لا يعرف عنهم التمسك بشيء من شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بخلاف مشركي العرب، فكيف يجعل المجوس عبدة النار الذين دينهم أقبح الأديان، أحسن حالا من مشركي العرب؟، ومن كل هذا يظهر أنّ هذا الرأي هو الأظهر والراجح فعقد الذّمّة يكون لكل الكفار دون استثناء[(4)].

ومنه يتبيّن لنا أنّ عقد الذّمّة يكون مع كل الكفار والوثنيين دون استثناء، لذلك عقده المسلمون لليهود والنصارى والمجوس ثمّ الصابئة[(5)] من بعدهم، لأنّ هذه النحل هي التي آثرت البقاء على معتقداتها معتقداتها ودفع الجزية للمسلمين والعيش في كنفهم، ولم يعقد لغيرهم كون النحل المذكورة هي التي كانت بين المسلمين وقبلت بالخضوع في القرون الأولى للفتح الإسلامي، فقد أسلم وثنيو شبه الجزيرة العربية، وبعض اليهود والنصارى، والبعض الآخر خضع ب الذّمّة، أما النحل الأخرى التي وصل المسلمون إلى ديارها كالهندوس والبوذيين وكثير من الوثنيين، إما حاربوا المسلمين أو دخلوا في الإسلام فزال بذلك شرط

(1)- ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، ط27، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994، ج5، ص 84؛ علي جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، دار الساقي، بيروت، 2001، ج11، ص 118.

(2)- سبق تخريجه.

(3)- ابن قيم الجوزية: زاد المعاد مصدر سابق، ج1، ص 89؛ ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة مصدر سابق، ج1، ص 83.

(4)- سيد سابق: المرجع السابق، ج2، ص 665-666؛ التويجري: موسوعة الفقه الإسلامي، ج5، ص 512؛ عبد الله الطريقي: المرجع السابق، ص 37.

(5)- ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ج1، ص 83؛ وزارة الأوقاف الكويتية: المرجع السابق، ج15، ص 170، عبد الوهاب الثعلبي: المصدر السابق، ج1، ص 449.

عقد الذّمّة، ومنهم من دخلوا فرادى إلى بلاد المسلمين كالعلماء وأقروا على معتقدهم ولم يحاسبوا فجرى عليهم حكم الذّمّيين، لهذا نجد طوائف الذّمّيين في المشرق الإسلاميّ في القرنين قيد الدراسة تنحصر في أربعة نحل هم اليهود والنصارى والمجوس والصابئة.

أولا_ اليهود:

1_ التعريف:

أرجع بعض اللغويين والباحثين أصل الكلمة إلى أصل أعجمي وليس عربي وهو اسم أحد أبناء النبيّ يعقوب عليه السلام (ق18-17ق م) وهو يهوذا فعربت الذَّال فسمّوا يَهُودَ ولأنّ العرب كل ما عربته غيرته وهنا غيّرت الذال دالا، وأكثر من ذلك كلمة يهودُ معرفة والألف واللام فيها زائدة لأنّ الاسم لا يعرف واستدلوا بعدة أقوال للعرب منها قوله ﷺ: «...فَتحلف لكم يَهُودُ...»[1] فاليهود اسم لملة لا اشتقاق له في العربية تعود إلى أبيها يهوذا[2].

فاسم "اليهود" لم يذكره اليهود في كتاباتهم القديمة، إلّا عند ذكر فترة سبي شعب دولة يهوذا إلى بابل سنة (586ق م)[3]، فحينما تشتت الأسباط وأصاب سبط يهوذا السّبي البابليّ توسع استخدام الاسم فصار يشمل جميع من رجعوا من الأَسْر فيما بعد من بني إسرائيل بعد سنة (515ق م) تاريخ بداية الرجوع، ثمّ صار يطلق على جميع اليهود المشتتين في العالم وقتئذ، ومن حينها يختفي ذكر باقي أبناء النبيّ يعقوب عليه السلام (ق18-17ق م) ويبقي ذكر يهوذا وبنيامين فقط، ومنذ ذلك الوقت سمي أبناء يعقوب عليه السلام يهودًا[4].

---

[1]- مسلم بن الحجاج: المصدر السابق، حديث صحيح، كتاب: القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: القسامة، ح1669، ج3، ص 1294.

[2]- الصحاري العوتبي: الإبانة في اللغة العربية، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط1، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1999، ج1، ص 105؛ البغدادي عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب، تحقيق وشرح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ج6، ص 396؛ الأصبهاني المديني: المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، تحقيق: العزباوي عبد الكريم، ط1، دار المدني، السعودية، 1988، ج3، ص 516؛ مرتضى الزَّبيدي: المصدر السابق، ج9، ص 353.

[3]- السبي البابلي: يطلق على سبي بختنصر (نبوخذنصر) ملك بابل (605-562ق م) لليهود، بعد غزوه لفلسطين وتدميره للقدس ومقدسات اليهود سنة 586 ق م، وأخذه معظم اليهود أسرى إلى بابل وبقوا بها 70 سنة أسرى حتى سقوط الإمبراطورية البابلية على يد الفرس حوالي سنة 515 ق م؛ ينظر صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، ط3، دار الجيل، بيروت، 1991، ج1، ص 148.

[4]- شاهين مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين، ترجمة: فليكس سوارس، مطبعة المقتطف، مصر، 1904، ص 32؛ الخلف سعود بن عبد العزيز: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1998، ص 35؛ صابر طعيمة: المرجع السابق، ج1، ص 34.

وقد ذهب المفكر عبد الوهاب المسيريّ (ت1428هـ/2008م) إلى هذا الطرح المذكور (نسبة إلى يهوذا)، وبيّن أنّ اليهود يعودون إلى كلمة عبرية مشتقة من "يهودا" وهو اسم أحد أبناء النبيّ يعقوب عليه السلام (ق18-17ق م) والذي سمّيت به إحدى قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة، ويضيف المسيريّ في تفسير أعمق لأصل الاسم واشتقاقه: "والاسم مشتق من الأصل الساميّ القديم "ودي" التي تفيد الاعتراف والإقرار والجزاء مثل كلمة "دية" عند العرب، وقد اكتسبت هذه المادة معنى الإقرار والاعتراف بالجميل، وقد استوحت ليئة زوجة يعقوب اسم ابنها الرابع من هذا المعنى: هذه المرة أحمد الرب لذلك دعت اسمه يهودا فكلمة "يهوه تعني الرب و"دي" تعني الشكر ومنهما "يهودي""[1].

فاليهود أتباع النحلة اليهودية الباطلة المحرفة عن الدين الحق الذي جاء به النبيّ موسى عليه السلام (ق14-13ق م)، واسم اليهود أعمّ من اسم بني إسرائيل، لأنّ كثيرا من الأجناس كالعرب دخلوا في اليهودية وليسوا من بني إسرائيل[2]، مع أنّ الشرع اليهوديّ المحرف ضيّق الاسم تضييقا عنصريا، كونه قد عرّف اليهوديّ بأنّه: "من ولد لأم يهودية أو تهوّد"، لكن الشرع الإسلاميّ الحنيف لم يقبل عبر جميع مراحله التاريخية بهذا التعريف العرقي العنصري الذي حصر اليهود في بني إسرائيل فقط، فكان العلماء المسلمون يعرفون اليهودي تعريفا دينيا وحسب[3].

2 _ عقيدة اليهود:

دان اليهود في بادئ أمرهم بشريعة النبيّ موسى عليه السلام (ق14-13ق م) وكتابه التوراة[4]، ثمّ حرّفوها من بعده قال الله عزوجل: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ﴾ النساء 46؛ وأدخلوا عليها معتقداتهم الخاصة التي شوهت التوحيد والرسل والرسالات قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ المائدة 64؛ وقال أيضا: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء﴾ آل عمران 181؛ وقال عزّ من قائل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ﴾ التوبة 30؛ واعتبروا أنفسهم شعب الله المختار، ولا شريعة قبل شريعتهم ولا بعدها[5]، لاتّفاقهم

---

[1] – عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط1، دار الشروق، مصر، 1999، ج2، ص 209.

[2] – القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت)، ج13، ص 257؛ عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ج2، ص 209.

[3] – عبد الوهاب المسيري: المرجع نفسه، ج2، ص 209.

[4] – الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص 215.

[5] – الشهرستاني: المصدر نفسه، ج1، ص 218.

على إنكار النسخ وأكثرهم يشبّه الله بخلقه[1] واليهود فرق كثيرة أشهرها العنانية والعبسوية والمعادية والسامرية[2]، وهذه الأخيرة أكثر طوائف اليهود مخالفة لهم، ويرجع اليهود في تشريعاتهم إلى ثلاثة مصادر أساسية أولها التوراة، وثانيها التلمود، وثالثها بروتوكولات حكماء صهيون، ويقدمون التلمود الذي وضعه حاخاماتهم.

3_ اليهود في المشرق الإسلامي:

يضم المشرق الإسلاميّ الأمصار الإسلامية الواقعة شرق بلاد المغرب الإسلاميّ من مصر وبلاد السودان جنوب مصر والشام وبلاد الروم (آسيا الصغرى) شرقا، إلى الحدود الغربية للصين غربا (تركستان الشرقية)، وشمالا من بلاد الروم إلى المحيط الهنديّ جنوبا، ويشمل مصر وبلاد السودان جنوب مصر وشبه الجزيرة العربية (الحجاز واليمن وعمان والبحرين) والشام والعراق وبلاد الروم (أرمينيا أذربيجان) وفارس وخراسان[3] وما وراء النهر[4] وتركستان[5] وبلاد السند[6] [7]، مع الإشارة إلى أنّ هذه الحدود أخذت في في التوسع منذ القرن الأول الهجري السابع الميلادي وفي القرنين قيد الدراسة (2-3هـ/8-9م) كانت حدود المشرق الإسلاميّ قد اجتازت كل الأمصار المذكورة[8].

---

[1] - فخر الدين الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت)، ص 82.

[2] - فخر الدين الرازي: المصدر السابق، ص 81.

[3] - خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند وغزنة وسجستان وكرمان، أشهر مدنها نيسابور وهراة ومرو، ومن الناس من يُدخل خوارزم فيها ويعدّ ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحا سنة 31هـ/652م في خلافة عثمان ﷺ؛ ينظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، 1995، ج2، ص 350.

[4] - ما وراء النهر: بلاد يراد بها ما وراء نهر جيحون بخراسان من أشهر مدنها بخارى وسمرقند؛ ينظر ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج5، ص 45.

[5] - تركستان: هو اسم جامع لجميع بلاد الترك وهي بلاد واسعة تمتد من وراء نهر جيحون إلى التبت بالصين؛ ينظر ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج2، ص 23.

[6] - بلاد السند: بلاد غرب الهند؛ ينظر ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج3، ص 267.

[7] - عصام الدين عبد الرؤوف: الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، دار الفكر العربي، بيروت، 1999، ص 27.

[8] - فالفتوحات الإسلامية العظيمة كان أغلبها في عهد النبي ﷺ والخلافة الراشدة (11-40هـ/632-661م) حيث كانت الانطلاقة الصعبة والقوية، ثم الدولة الأموية (41-138هـ/661-750م) التي عرفت بدولة الفتوحات بفعل الأمصار الواسعة جدا التي فتحتها شرقا وغربا، وحتّى الأمصار البعيدة في المشرق كالسند فتحت في عهد والي الأمويين على العراق والشرق الحجاج بن يوسف الثقفي (75-95هـ/695-714م) رحمة الله عليه، واستقرت نهائيا في عهد ثاني الخلفاء العباسيين أبو جعفر المنصور (136-158هـ/754-775م)، وفتح بلاد ما وراء النهر إلى حدود الصين (تركستان الشرقية)، كان أيضا في العهد الأموي بجهود

وبالنسبة لتمركز وتوزع اليهود في المشرق الإسلاميّ في العصر الإسلاميّ عموما والقرنين قيد الدراسة بشكل خاص، فكما تجلّى في التعريف باليهود فإنّ ظهورهم كان ببلاد الشام وبالضبط في فلسطين، فتواجدهم كان واضحا بها لدواعي دينية تمثّلت في تمركز مقدساتهم بها على حد زعمهم، وتاريخية مثلتها كياناتهم السياسية التي قامت بها، ولكنّ عددهم كان قليلا جدا بها، بفعل الأحداث السياسية الكبيرة والمؤثرة التي تعرضوا لها وتعاقبت عليهم، وعلى رأسها السبي البابليّ وتخريب مدنهم سنة (586ق م)، والإبادة الرومانية سنة (70م)[1]، وما كان بعدها من أحداث أثّرت في تواجدهم بفلسطين إلى حد الغرابة، فالرحالة الإسبانيّ اليهوديّ بنيامين التطيليّ (ت569هـ/1173م) الذي زار فلسطين في منتصف القرن (6هـ/12م) ذكر أنّ عددهم ببيت المقدس أثناء مروره بها كان حوالي 200 يهوديّ فقط[2]، وحتى لو افترضنا أنّه عدد الرجال فقط أو الأسر اليهودية فإنّ العدد يبقى قليلا جدا بالنظر إلى تاريخهم بالمدينة وأهميتها الدينية والتاريخية (التي يزعمونها) بالنسبة إليهم ونظرتهم إليها، كما يقربنا هذا الإحصاء المهم الذي كان في القرن (6هـ/12م) من عددهم في القرنين (2-3هـ/8-9م) فمع العلم أنّهم لم يتعرضوا في القرنين المذكورين إلى غاية القرن (6هـ/12م) في كامل العالم الإسلاميّ لأيّ اضطهاد يذكر، زيادة على رقي المسلمين الحضاري وقتئذ، فهذا يدل دون ريب على أنّ عددهم كان أقل بكثير ولو افترضنا أنّ العدد المذكور كان إبّان الاحتلال الصليبيّ للقدس بسب ما عانوه من اضطهاد وتهميش على يد الصليبيين فإنّ عددهم بعد استعادة السلطان الأيوبيّ صلاح الدين لها سنة (583هـ/1187م) لم يزد عن 500 فرد[3]، ومما ساهم أكثر في ذلك (قلة العدد) ظهور المسيحية في فلسطين، ومع أنّ انتشارها كان في أوروبا بشكل أكبر، إلّا أنّ فلسطين بقيت قبلة مميزة عند المسيحيين واستطاعوا مع الوقت أن يسيطروا على شؤونها الدينية والدنيوية إلى حين فتحها المسلمون سنة (16هـ/637م) فأصبحت السلطة بها بيدهم وعاش اليهود وغيرهم من النحل في كنفهم في حرية وأمان.

أما باقي ولايات الشام، فإنّ تواجد اليهود بها كان قليلا في بداية العهد الإسلاميّ وخلاله ثمّ ازداد عددهم بعد سقوط الأندلس[4] سنة (897هـ/1492م) وخروج اليهود مع المسلمين منها وتشتتهم

الحجاج بن يوسف وقائده العظيم قتيبة بن مسلم الباهلي، الذي وصل إلى حدود الصين وأجبر ملكها على دفع الجزية؛ ينظر البلاذري: فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988.

[1]- صابر طعيمة: المرجع السابق، ج2، ص 16.

[2]- بنيامين التطيلي: المصدر السابق، ص 49.

[3]- بنيامين التطيلي: المصدر نفسه، ص 55.

[4]- مامون كيوان: اليهود في الشرق الأوسط، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، مصر، 1996، ص 38.

في الأمصار الإسلامية ومنها الشام، فاستوطنوا المدن الكبرى كحلب وصور ودمشق، وكان لهؤلاء تأثير كبير بفعل تواجدهم بعاصمة الأمويين التاريخية وقربهم من المراكز الاقتصادية وأهل العلم والحكم.

أما شبه الجزيرة العربية فقد تمركزوا بأمصارها المشهورة، وإن قل عددهم فقد كثر شرهم، وقد تركوا بصمتهم في تاريخ المنطقة منذ دخولها في عهد النبيّ موسى عليه السلام (ق14-13ق م) حيث أثروا في مختلف الجوانب السياسية والدينية والاقتصادية[1]، وكان لهم حضور بارز منذ عهد النبيّ ﷺ[2]، الذي أجلاهم ﷺ في بادئ الأمر (يهود المدينة المنورة وهم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة) إلى خارجها بفعل أعمالهم المنكرة، ومن بعده أجلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه (13-23هـ/634-644م) كل كافر من كامل شبه الجـزيرة العربية عدا اليمن حيث توجه أغلب اليهود إلى الشام، وكان هذا مع تعويضهم أملاكهم دون بخسهم إيّاها[3]، فطوال العهد الإسلاميّ بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يكن لليهود تأثير إلّا في اليمن، خاصة في المناطق الساحلية وعلى رأسها مدينة عدن حيث كان لهم تواجد كبير جدا بها[4].

وإذا جئنا إلى مصر فإنّ تواجدهم بها كان واضحا منذ القديم خاصة بعد عهد الإمبراطور اليونانيّ الإسكندر الأكبر (ق4ق م)، وفي العهد الإسلاميّ زاد عددهم وتأثيرهم بشكل كبير خاصة بالإسكندرية[5]؛ وهذا يعني أنّهم قاربوا هذا العدد في القرنين قيد البحث.

أما العراق وبلاد فارس فإنّ تواجدهم بالإقليمين كان ظاهرا منذ السبي البابليّ، حيث تأقلموا في البلاد وأثّروا وتأثّروا، حيث كان عددهم كبيرا جدا مقارنة مع تعداد المدن وقتئذ وكانت لهم به مواضع باسمهم[6]، وإذا علمنا أنّ العراق أحد أشهر الأقاليم الإسلامية بفعل قيادته للمسلمين عدة قرون فهذا يعني أنّنا سنجد مكانا لليهود في حضارته وحضارة الإسلام عامة بشكل مباشر أو خفي.

كما تواجد اليهود ببلاد ما وراء النهر ومدنها الشهيرة كسمرقند وبخارى وغيرهما[7].

---

[1]- صابر طعيمة: المرجع السابق، ج2، ص 14.

[2]- جميل عبد الله المصري: المرجع السابق، ص 53-154.

[3]- البلاذري: المصدر السابق، ص 37؛ ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ج1، ص 389.

[4]- بنيامين التطيلي: المصدر السابق، ص 70؛ مامون كيوان: المرجع السابق، ص 64.

[5]- بنيامين التطيلي: المصدر السابق، ص 70؛ مامون كيوان: المرجع السابق، ص 74.

[6]-الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002، ج1، ص 432؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص 474.

[7]- بنيامين التطيلي: المصدر السابق، ص60-61.

ولكن تأثير يهود هذه الأمصار كان بسيطا، بفعل بعد المسافة عن قلاعهم الرئيسية في الشام والعراق، وانتشار الوثنية وبعض الديانات الوضعية كالبوذية مما جعل تأثيرهم هامشيا.

ثانيا_ النصارى:

1_ التعريف:

يعرف النصارى أيضا بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عيسى عليه السلام (ق1م) ولكن من الناحية العقائدية هناك فرق بين الاسمين، فالنصارى نسبة إلى قرية النّاصرة بفلسطين، سكنها عيسى عليه السلام فنسب إليها[1].

واصطلاحا: النصارى هم أتباع الديانة النصرانية المحرفة عن الدين الحق الذي جاء به الرسول عيسى عليه السلام (ق1م)، وهذا ما سماهم به الإسلام وأطلقه عليهم لضلالهم عن دين عيسى عليه السلام[2].

وأتباع هذه النحلة يسمون أنفسهم بالمسيحيين[3]، نسبة إلى المسيح عيسى عليه السلام، ولكن لم يذكرهم الله جلّ ثناؤه في القرآن الكريم إلا باسم النصارى، وأهل الإنجيل، وضمن أهل الكتاب مع اليهود[4]، ولم يذكرهم بأنّهم مسيحيون، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ﴾ البقرة 135؛ وقال أيضا: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ﴾ المائدة 47؛ وقال عزّ من قائل: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ التوبة 29؛ وهذا بفعل ابتعادهم عن المسيحية السماوية الحقّة التي جاء بها النبيّ عيسى عليه السلام، وإتّباعهم لليهود، فأصبحت هناك مسيحية مهوّدة وهي النصرانية المعروفة إلى اليوم، ودعواهم المذكورة لم ترد لا في القرآن الكريم ولا في السنّة النبوية المطهرة، ودلّت الحقائق التاريخية أيضا على بطلان دعواهم بزيغهم عن الحق وبما حرّفوا.

2 _ عقيدة النصارى:

جاء الرسول عيسى ليصحح ما فسد من شريعة النبيّ موسى عليهما السلام، وكتابه هو الإنجيل ليدعو لعبادة الله وحده[5]، ولكنّ رسالته عليه السلام المسيحية السماوية قد حرّفت[1] وأدخلت عليها تعاليم

---

[1]- أبو بكر الأنباري: المصدر السابق، ج2، ص213.

[2]- جميل عبد الله المصري: المرجع السابق، ص 34.

[3]- نور الدين عادل: مجادلة أهل الكتاب في القرآن الكريم والسنة النبوية، ط1، مكتبة الرشد ناشرون، السعودية، 2007، ص 90.

[4]- سعود بن عبد العزيز الخلف: المرجع السابق، ص 121؛ نور الدين عادل: المرجع السابق، ص 89.

[5]- عرفان عبد المجيد فتاح: النصرانية نشأتها التاريخية وأصولها وعقائدها، ط1، دار عمار للنشر، عمان، 2000، ص 38؛ الخلف سعود بن عبد العزيز: المرجع السابق، ص 126.

أحبار اليهود ورهبان النصارى، فصار النصارى يتّبعون ما يسمونه بالكتاب المقدس، الذي يضم العهدين القديم والجديد، العهد القديم وهو التوراة(2) والتي نزلت لليهود والعهد الجديد وهو الأناجيل والرسائل المحرفة، ومجموعها 27 كتابا ورسالة تعرف بالأسفار، أبرزها أربعة أناجيل هي: متىّ ومرقس ولوقا ويوحنا وهي مختلفة فيما بينها ولا علاقة لها بإنجيل عيسى عليه السلام(3)، قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ آل عمران 71؛ فالنصارى كاليهود خلطوا الحق بالباطل على أيدي أحبارهم ورهبانهم بالتأويلات والآراء الباطلة والفاسدة(4)، وهي: تأليه المسيح، والقول بأنّه ابن الله، والقول بالتثليث، والقول بالصلب والفداء(5)، إلى غير ذلك من المعتقدات الفاسدة.

وأدى تحريف الملّة المسيحية وانتشار التعاليم الوضعية، إلى تباين كبير في االنصرانية، بفعل اختلاف مصادرها، زيادة على تدخّل الأعداء(6)، كل هذا أدى إلى ظهور عدة فرق متباينة ومتصارعة(7)، أبرزها الملكانية والنسطورية واليعقوبية (يدخل ضمن الأخيرة الأقباط والسريان) والمارونية(1).

---

(1)- ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، ط2، دار العاصمة، السعودية، 1999، ج4، ص 149.

(2)- نشير هنا إلى أنّ العهد القديم عند النصارى وهو التوراة، تختلف عن التوراة التي عند اليهود عامة والسامرة، وهذا من أدلة تحريفهم للتوراة؛ ينظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمّد سلامة، ط2، دار طيبة، السعودية، 1999، ج1، ص 28.

(3)- سعود بن عبد العزيز الخلف: المرجع السابق، ص 134.

(4)- رشيد رضا: تفسير المنار مرجع سابق، ج3، ص 274.

(5)- يعتقد النصارى أنّ صلب المسيح عليه السلام أحد أهم الأحداث في التاريخ بأنّ الله أنزل ابنه المسيح ليصلب ويطهّر البشر من خطيئة أبيهم آدم وخطاياهم جميعا؛ ينظر منقذ السقار: هل افتدانا المسيح على الصليب، ط1، دار الإسلام، مصر، 2007، ص 7.

(6)- فقد تعرض المسيحيون إلى الاضطهاد على يد اليهود والرومان ثم الروم البيزنطيين، ولم يخف القمع إلى غاية تنصّر بيزنطة في القرن (4م)؛ ينظر عزيز عطية: تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة: إسحاق عبيد، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص 38.

(7)- نشير هنا إلى أنّ أبرز الفرق النصرانية الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت لم تظهر بشكل فاعل في الفترة قيد الدراسة (2-3ﻫ/8-9م)، حيث بدأ الاختلاف بين النصارى يظهر في القرن (4م) في مجمع نيقية سنة (325م)، والذي انتهى فيه التوحيد وبدأ التثليث، وظهر الخلاف جليا في مجمع خلقيدونية سنة (451م)، ثم مجمع القسطنطنية سنة (255ﻫ/869م)، وتفعّل الانشقاق الكبير سنة (445ﻫ/1054م)، حيث ظهر مذهبان نصرانيان مختلفاان هما الكاثوليكية والأرثذكسية أو الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية، ثم ظهرت البروتستنتية في القرن (16م) بألمانيا على يد الراهب الألماني مارتن لوثر (ت1546م)، ثم أخذت تتباعد تباعا فلهذا لا نجد لها ذكرا في كتب الملل والنحل والتاريخ القريبة من فترة البحث ككتابي ابن حزم (ت456ﻫ/1064م) والشهرستاني (ت548ﻫ/1153م)، وكتاب البدء والتاريخ للمقدسي (ق4ﻫ/10م)؛ ينظر ابن حزم: الفصل، تحقيق: نصر إبراهيم وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، (د ت)، ج1، ص109؛ الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص226؛ المقدسي: البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د ت)، ج4، ص 42؛ عبد الفتاح الزيات: المسيحية، ط3، مركز الراية، مصر، 2001، ص 162.

3_ النصارى في المشرق الإسلاميّ:

المشرق هو مهد المسيحية، لذلك تواجد النصارى بأغلب أمصاره منذ القرن (1م) بقوة، وساعد على ذلك جملة من العوامل أبرزها قدسية بعض أمصاره كفلسطين، وتبنّي بعض الكيانات السياسية للنصرانية كالإمبراطورية البيزنطية (395-1453م) التي فرضتها على الشعوب التي احتلتها في الشام ومصر، وجعلتها الدين الرسمي، إضافة إلى تواجد المدارس الدينية المسيحية الكبرى بالمشرق كمدرسة أنطاكية والإسكندرية والقدس[2].

وبهذا تواجد النصارى بقوة في المشرق الإسلاميّ خاصة مصر، وهم الأقباط، وعند الفتح الإسلاميّ لمصر (21هـ/642م) كانوا هم الديانة الغالبة[3]، وإن لم تكن السلطة بأيديهم وبقي لهم تواجد بارز بها بعد ذلك طوال العهد الإسلامي[4].

وكذلك بالشام في كل أقاليمه، حيث كان لهم به حضور قوي[5]، ففلسطين هي مهد المسيح عيسى عليه السلام وبها أشهر كنائسهم ومراكزهم الدينية، حيث غلبوا على الحياة الدينية حتى دخول الإسلام ليدخلوا فيه بقوة بعد ذلك[6].

أما في العراق فقد كان لهم تواجد كبير به، حيث تواجدوا في أكثر أقاليمه بأعداد متباينة، فتمركزوا بشكل خاص شمال العراق الذي كان لهم به تواجد كبير جدا منذ الأيام الأولى للمسيحية، ولهم به أماكن مقدسة كثيرة جدا[7]، وبعد الفتح الإسلاميّ للعراق بدأ توافدهم وتواجدهم وتعدادهم يزداد تباعا مع

---

(1)- ابن حزم: المصدر السابق، ج1، ص111؛ الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص 228؛ أبو زهرة مُحَمَّد: محاضرات في النصرانية، الرئاسة العامة للدراسات والبحوث، السعودية، 1981، ص 195.

(2)- جورج خضر وآخرون: المسيحيون العرب دراسات ومناقشات، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1971، ص 16.

(3)- فاطمة مصطفى عامر: تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، الهيئة العامة للكتاب، مصر، (د ت)، ص 35.

(4)- يعقوب نخلة روفيلة: تاريخ الأمة القبطية، تقديم: جودت جبرة، ط2، مطبعة متروبول، مصر، 2000؛ جاك تاجر: أقباط ومسلمون من الفتح العربي إلى 1922، الهيئة القبطية، جيرسي، أمريكا، 1984.

(5)- الإصطخري: المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 2004، ص 60؛ حامد مُحَمَّد الهادي: أحوال غير المسلمين في بلاد الشام حتى نهاية العصر الأموي، دار اليازري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2007، ص 21.

(6)- جورج خضر وآخرون: المرجع السابق، ص 23.

(7)- ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص 205.

الوقت، لما وجدوه من تسامح من طرف المسلمين، وما لعبوه من أدوار في الحضارة الإسلامية[(1)]، فأصبح لهم وجود ظاهر وبارز وبلغ تعدادهم في بغداد وحدها في أوائل القرن (4هـ/10م) حوالي خمسين ألفا[(2)].

وفي شبه الجزيرة العربية لم يكن للنصارى تواجد ظاهر، إلّا في بعض الأمصار كنجران واليمن، فمكة المكرمة مثلا لم يكن بها إلّا نصرانيّ واحد يوم فتحها على يد المسلمين في السنة (8هـ/630م)، وفي عهد عمر بن الخطاب ﷺ (13-23هـ/634-644م) أُجلي الكفار من الجزيرة العربية حيث أُخرج نصارى نجران إلى الشام والعراق وعُوّضوا عن أملاكهم[(3)]، وانحصر تواجدهم بعد ذلك ذلك باليمن كونها لا تدخل في الحيز الذي منعوا من التواجد به[(4)].

أما في بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر إلى الصين، فإنّ تواجد النصارى كان قليلا بفعل غلبة أديان ونحل أخرى كالمجوسية والبوذية والوثنية على هذه المنطقة، ولما لاقوه من اضطهاد على يد الفرس المجوس الغالبين على هذه الأمصار[(5)] وقتئذ، خاصة بعد اعتناق الروم أعداء الفرس المجوس للنصرانية[(6)]، كما حصل لهم في عهد الملك الفارسيّ سابور الثاني ذو الأكتاف (ت379م)، الذي أباد جموعا كبيرة جدا منهم ومن العرب[(7)]، إضافة إلى بعد المسافة عن المراكز النصرانية المهمة في الشام وأوروبا، إضافة إلى عدم انتشار التبشير في تلك المناطق بقوة إلّا في العصر الحديث، ومع ذلك وصلت النصرانية باحتشام حتى الصين بفعل التجارة والصلات التجارية الممتدة من الصين إلى الإمبراطورية البيزنطية[(8)].

ثالثا_ المجوس:

1_ التعريف:

---

(1)- علي حسن الخربوطلي: المرجع السابق، ص 143.

(2)- أحمد أمين: ظهر الإسلام، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، (د ت)، ج1، ص 71.

(3)- البلاذري: المصدر السابق، ص 74؛ ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ج1، ص 385.

(4)- ابن قيم الجوزية: المصدر نفسه، ج1، ص 393.

(5)- جورج خضر وآخرون: المرجع السابق، ص 25.

(6)- توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخران، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1971، ص 87.

(7)- ابن العبري: تاريخ مختصر، الدول تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط2، دار الشرق، بيروت، 1992، ص 81.

(8)- لويس شيخو: أثر جديد لقدماء النصارى في الصين، مجلة المشرق، ع11، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، لبنان، 1922، ص 931.

نحلة ظهرت في بلاد فارس وهي ثنوية تدين بإلهين اثنين مدبرين هما إله النور وإله الظلمة أو إله الخير وإله الشر(1)، ظهرت في الألف الثالثة قبل الميلاد(2)، وعرفت بعض التغييرات طوال تاريخها أبرزها كانت في القرن (6ق م) على يد زرادشت (ت ق6ق م) الذي أحدث فيها تغييرات جديدة ومن وقتها عرفت المجوسية بالزرادشتية وأصبح كل اسم يدل على الآخر(3).

2 _ عقيدة المجوس:

ذكر الله تعالى نحلة المجوس في جملة الأمم الكافرة(4) قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ الحج 17؛ فهم يزعمون ويؤمنون بأنّ زرادشت نبيّ مرسل وأنّ له كتاب منزل يسمونه "الأفستا"(5) ومعناه الأساس أو الأصل، وهذا باطل فلا زرادشت نبيّ ولا كتابه وحي فلم يكن لهم كتاب كتاب ولا شبهة كتاب أصلا(6)، فهم أخبث الأمم دينا ومذهبا وجملة عقيدتهم أنّ إله الخير النور وإله الشّر الظلمة وأنّ هناك صراعا بينهما، فعبدوا النار على أنّها مظهر إله الخير وهو النور(7)، ولا يؤمنون برسول ولا يؤمنون بالبعث ولا النشور، ويرون نكاح الأمهات والبنات وجميع المحارم لذلك فهم أخبث بني آدم نحلة، وأرذلهم مذهبا، وأسوؤهم اعتقادا(8) وقد ظهرت ضمن المجوسية فرق تلت الزرادشتية أشهرها المانوية والمزدكية(9).

---

(1)- الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص 238؛ الطاهر بن عاشور: المرجع السابق، ج17، ص 223؛ مُحَمَّد إبراهيم الفيومي: تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ط4، دار الفكر العربي، القاهرة، 1994، ص 342.

(2)- خليل عبد الرحمن: أفِستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، ط2، روافد للثقافة والفنون، دمشق، 2008، ص 7.

(3)- الطاهر بن عاشور: المرجع السابق، ج17، ص 224.

(4)- ابن كثير: المصدر السابق، ج5، ص 402.

(5)- نشير هنا إلى وجود بعض الشبهات المثارة حول هذه النحلة المنحرفة، منها أنّها بدأت كديانة توحيدية ثم زاغت، وأنّها وافقت الديانات السماوية الأخرى، وأنّ زرادشت نبي، إلى غير ذلك من الشبهات التي تزكي هذه النحلة في بداياتها، وقد ناقش الدكتور خالد كبير علال هذه الشبهات وساق جملة من الأدلة النقلية والعقلية والتاريخية، التي بين من خلالها زيف هذه الشبهات؛ ينظر خالد كبير علال: نقض الخرافات القائلة بتأثّر القرآن الكريم بالكتاب المقدس والأفستا الزرادشتي، دار المحتسب، الجزائر، (د ت)، ص 356 وما بعدها.

(6)- ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ج1، ص 242؛ خالد كبير علال: المرجع السابق، ص 526.

(7)- الطاهر بن عاشور: المرجع السابق، ج17، ص 224.

(8)- ابن قيم الجوزية: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق: الحاج أحمد، ط1، دار القلم، السعودية، 1996، ص 229.

(9)- الطاهر بن عاشور: المرجع السابق، ج17، ص 224.

3_ المجوس في المشرق الإسلاميّ:

انتشرت المجوسية بشكل خاص في بلاد فارس والأقاليم القريبة، ففارس هي مهدها ومعتنقتها الأولى وكان أغلب سكانها مجوسا منذ ظهور هذه الديانة إلى ظهور الإسلام وفتح هذا المصر الشهير حيث تراجعت المجوسية بشكل كبير جدا بدخول الفرس في الإسلام[1] ولم تبق إلّا جماعات قليلة أُقرّت على عقيدتها ودخلت ضمن أهل الذّمّة.

أما العراق فقد تواجدت المجوسية فيه بشكل ظاهر، وذلك لقربه من بلاد فارس رحم هذه النحلة، وتبعيته السياسية في أغلب الأوقات للكيانات السياسية الفارسية، ولكن تواجدها كان محدودا وكاد يختفي بعد الفتح الإسلاميّ للعراق.

وفي شبه الجزيرة العربية تواجد المجوس أيضا بقلة، وأبرز المناطق التي كانوا بها البحرين وهَجَر ولم يبق لهم تواجد بعد انتشار الإسلام.

وفي خراسان وما وراء النهر وتركستان فقد غلبت الوثنية وانحصرت الديانات الأخرى ومنها المجوسية، حيث تواجد المجوس بأعداد محدودة تلاشت بعد دخول الإسلام إلى المنطقة.

ثالثا_ الصابئة:

1_ التعريف:

هي نحلة كافرة قديمة جدا[2]، يقدس أصحابها الكواكب والنجوم، ومنهم من كانوا قبل الإسلام على الحق حنفاء، فأثنى عليهم الله تعالى في قوله عزوجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة 62؛ أما الذين أدركهم الإسلام مشركون يعبدون الكواكب والنجوم[3].

2 _ عقيدة الصابئة:

الصابئة ديانة عرفت العديد من التناقضات والتغيرات، منها أنّه كان من ضمنها طائفة مؤمنة على الحنيفية ولكنها اندثرت، ولم يبق غير الطائفة الكافرة التي أدركها الإسلام، والتي تعبد الكواكب

[1]- ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ص 239.

[2]- لم يقف الباحثون على دليل قاطع يبين بدقة بداية دين الصابئة، وما اتفق عليه أنّه يعود إلى عهد قديم جدا؛ ينظر الحسني عبد الرزاق: الصابئة قديما وحديثا، ط1، مطبعة الخانجي، مصر، 1931، ص 08؛ رشدي عليان: أصحاب الروحانيات أو الصابئة المندائيون، مجلة المورد، ع 2، وزارة الثقافة والفنون، العراق، 1976، ص 60.

[3]- ابن تيمية: الرد على المنطقيين، تحقيق: عبد الصمد الكتبي، ط1، مؤسسة الريان، بيروت، 2005، ص 334.

والنجوم والملائكة أو الروحانيات العلوية على حد زعمهم، فسمّوا بأصحاب الروحانيات[1]، وقبلتهم النجم القطبيّ الشماليّ الذي يتجهون نحوه في عباداتهم[2]، وللماء والاغتسال أهمية كبيرة ومكانة في ديانتهم الوضعية هذه، ومن أشهر فرقهم أصحاب الروحانيات وأصحاب الهياكل وأصحاب الأشخاص والحرانية[3] أو الحلولية لقولهم بالحلول[4].

3_ الصابئة في المشرق الإسلاميّ:

الصابئة ديانة سلالية غير تبشيرية ومنعزلة، لذلك قل عدد معتنقيها، فتمركزوا في مناطق محددة أبرزها بلاد ما بين النهرين وفارس، وبسطوع شمس الإسلام كانت أبرز مراكز الصابئة حران في شمال العراق والبطائح في جنوبه والمعروفون بالمندائيين، وأجزاء من بلاد فارس وحاليا يتمركزون بجنوب العراق ومناطق محدودة في إيران[5].

من كل هذا يتجلى لنا أنّ الدخول في ذمّة المسلمين يكون لكل الكفار دون استثناء إذا دعوا واستجابوا لشروط المسلمين، لذلك تواجد بين المسلمين في المشرق الإسلاميّ عدة ديانات حافظت على نحلها مقابل الالتزام بجملة من الأحكام على رأسها دفع مبالغ بسيطة جزية والتمتع بالأمن والحماية وهم اليهود والنصارى والمجوس والصابئة.

المبحث الثالث: أوضاع أهل الذّمّة في القرنين (2–3هـ/8–9م):

شرع الدين الإسلاميّ جملة من الأحكام العادلة والسمحة المتعلقة بأهل الذّمّة، لحملهم بسماحة إلى الإسلام، ولتسهل حياتهم في ظل الإسلام، وتحفظ حقوقهم الدينية والدنيوية، فهل التزم المسلمون وقتئذ بهذه التعاليم في حق أهل الذّمّة أم جعلوها مجرد شعارات؟.

وضع الإسلام الحنيف القواعد والتشريعات السمحة والعادلة والرحيمة التي تنظم حياة أهل الذّمّة وعلاقاتهم مع المسلمين، فعمّ بذلك التسامح وساد الأمن بينهم وبين المسلمين طوال العهد الإسلاميّ منذ أيامه الأولى، فعند فتح المسلمين لمختلف الأمصار رحّب أكثر أهلها بهذه الفتوح، رغبة في الخلاص

---

[1]- الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف ومراجعة: مانع الجهني، ط4، دار الندوة العالمية، الرياض، 1999، ج2، ص 714.

[2]- عبد الرزاق الحسني: المرجع السابق، ص 9.

[3]- الحرانية: نسبة إلى حران شمال العراق تمركز بها الصابئة الذين كان لهم حضور بارز في الحضارة الإسلامية (حران حاليا تتبع دولة تركيا)؛ ينظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص 235.

[4]- عبد الرزاق الحسني: المرجع السابق، ص 16-20.

[5]- الندوة العالمية للشباب الإسلامي: المرجع السابق، ج2، ص 722.

من الاضطهاد البيزنطيّ والفارسيّ وغيره، وقد لمس أهالي البلاد المفتوحة اختلافا واضحا في أخلاق القوة الجديدة مقارنة مع القوى السابقة التي جثمت عليهم، ورأوا في المسلمين محررين لا غزاة[1] ولا جباة، فقد كانت عملية الفتوح الإسلامية عملية دينية بحتة طبّق فيها الفاتحون التعاليم السامية للإسلام، المبيّنة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

هذه التعاليم التي جاءت عالمية للناس كافة والتي تدعو إلى التوحيد الخالص والرحمة والبر واللين والعدل والإنصاف، والمعاملة الحسنة والتسامح وحرية الاعتقاد، والمجادلة بالحسنى والأمانة وحفظ العهود ومنع الفساد في الأرض، وغيرها من القيم التي كانت شبه غائبة وقتئذ بين تلك الشعوب المضطربة، قال الله عزوجل: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ الشورى 15؛ وهنا أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يدعو المشركين والذين أوتوا الكتاب والذين اهتدوا وأنابوا للدين الحق وأن يقيم بينهم العدل ولا يظلمهم لأجل عداوتهم له ولدينه[2]، وقال أيضا: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران 64؛ وقال تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة 256؛ فلا يجوز إكراه أحد على الدخول في الإسلام لأنّه بيّن واضح جلي بدلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله تعالى للإسلام وشرح صدره ونوّر بصيرته دخل فيه على بيّنة، ومن أعمى الله عزوجل قلبه وختم على سمعه وبصره فإنّه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مجبرا[3]، وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ التوبة 06؛ وهنا أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يجير من طلب جواره من المشركين حتى يسمع كلام الله منه ﷺ ويتفهم دعوة الإسلام ثمّ هو بالخيار إن شاء أسلم وذلك خير له وإن لم يسلم ردّه رسول ﷺ إلى مكان يأمن فيه من المسلمين أن يقتلوه[4]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء 107؛ فمدح الله عزوجل رسالة نبيه ﷺ بأنّها مظهر رحمة الله تعالى للناس كافة، وبأنّها رحمة الله تعالى بخلقه[5]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ

---

[1]- جورج خضر وآخرون: المرجع السابق، ص 26.

[2]- الطاهر بن عاشور: المرجع السابق، ج25، ص 63.

[3]- ابن كثير: المصدر السابق، ج1، ص 682.

[4]- أبو بكر جابر الجزائري: المرجع السابق، ج2، ص 340.

[5]- الطاهر بن عاشور: المرجع السابق، ج17، ص 165.

الْمُعْتَدِينَ﴾ البقرة 190؛ فنهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يعتدوا بالقتال في الإحرام والشهر الحرام فلا يبادروا للقتال، ولا يعتدوا في القتال على النساء والصبيان والشيوخ والمرضى، أو من ألقى السّلم وكف عن حربهم، ولا بغير ذلك من أنواع الاعتداء كالتخريب والهدم وقطع الأشجار[1] إلى غير ذلك من النصوص والتشريعات التي تدل على رحمة وعدل وسماحة الإسلام.

ولم تبق هذه التشريعات السمحة مجرد رسم بل طبقها النبيّ ﷺ ومن بعده الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ومن جاء بعدهم من حكام المسلمين وعامتهم المستندين في حكمهم وأحكامهم على القرآن والسنة فلم ينقل عن النبيّ ﷺ ولا عن أحد من الخلفاء أنّه أجبر أحدا من أهل الذّمّة على الإسلام[2]، وأجمع علماء الأمة من بعدهم على إقرار أهل الذّمّة على دينهم[3].

فقد طبّق ذلك رسول الله ﷺ قولا وفعلا، فأوصى ﷺ بحسن معاملة أهل الذّمّة والوفاء لهم بعهودهم وحفظ حقوقهم، من ذلك قوله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»[4] وقال ﷺ: «...وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»[5]، وقال ﷺ لصحابيين أتياه في غزوة بدر بعد أن قبض عليهما كفار قريش وتعهدهما لهم بعدم الذهاب إلى جيش الرسول الذي سيحارب قريش وهذا للنجاة منهم: «...انْصَرِفَا نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ»[6]، وقيل له يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ»[7]

---

[1]- الطاهر بن عاشور: المرجع السابق، ج2، ص 168.

[2]- ابن قدامة المقدسي: المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مكتبة القاهرة، القاهرة، 1968، ج9، ص 19؛ ناصر مُحَمَّدي مُحَمَّد جاد: التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي، ط1، دار الميمان للنشر والتوزيع، السعودية، 2009، ص 57.

[3]- عثمان جمعة ضميرية: المرجع السابق، ج1، ص 511.

[4]- البخاري: صحيح البخاري، تحقيق: الناصر مُحَمَّد، ط1، دار طوق النجاة، بيروت، 2001، حديث صحيح، كتاب: الجزية، باب: من قتل معاهدا بغير جرم، ح3166، ج4، ص 99.

[5]- مسلم بن الحجاج: المصدر السابق، حديث صحيح، كتاب: الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، ح1848، ج3، ص 1476.

[6]- مسلم بن الحجاج: المصدر نفسه، حديث صحيح، كتاب: الجهاد والسير، باب: الوفاء بالعهد، ح1787، ج3، ص 1414.

بِهِمْ»[1] فكان الرسول يحب دخول الناس في الإسلام، فكان لا يعجل بالدعاء عليهم ما دام يطمع في إجابتهم إلى الإسلام، بل كان يدعو لمن كان يرجو منه الإنابة، ومن لا يرجوه ويخشى ضره وشوكته يدعو عليه، كما دعا عليهم بسنين كسنين يوسف ، ودعا على صناديد قريش لكثرة أذاهم وعداوتهم فأجيبت دعوته فيهم فقتلوا ببدر، كما أسلم كثير ممن دعا له بالهدى[2]، وقال ﷺ أيضا: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ...»[3]، وجاء عن النبيّ ﷺ قوله: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ»[4]، كما كان ﷺ محترما لغير المسلمين أحياء وأمواتا من ذلك أنّه قام ﷺ وأصحابه لجنازة يهوديّ حتى توارت...فقيل: "إِنَّهُ يَهُودِيٌّ" فقال ﷺ: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا»[5].

وكان الرسول ﷺ يعاملهم بعدل وسماحة ورحمة لم يعرف العالم لها مثيلا في كل الأوقات وفي كل الحضارات، من ذلك عدله وسماحته مع اليهوديّ الذي اتهم بالسرقة وكان بريئا منها، وأنزل الله تعالى فيه قرآنا خالدا قال الله عزوجل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً﴿105﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللّهَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴿106﴾ وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً﴿107﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴿108﴾ هَاأَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴿109﴾﴾ النساء؛ وجمهور المفسرين مجمعون على أنّ هاته الآية الكريمة نزلت بسبب حادثة وقعت في السنة الرابعة من الهجرة، ملخّصها أنّ أحد المنافقين من أهل المدينة المنورة من الأوس، وهو طعيمة بن أبيرق سرق درعا، فلمّا علم أنّ خبره عُلم وكاد ينكشف أمره، عمد إلى الدرع فألقاها في بيت رجل يهوديّ بريء، وادّعى كذبا البراءة واتّهم اليهودي، فالتمست الدرع عند الأنصاريّ

[1]- البخاري: المصدر السابق، حديث صحيح، كتاب: الجهاد والسير، باب: الدعاء للمشركين بالهدى لتأليفهم، ح2937، ج4، ص 44.

[2]- البخاري: المصدر السابق، كتاب: الجهاد والسير، باب: الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، ج5، ص 114.

[3]- أحمد بن حنبل: المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، حديث إسناده صحيح، أحاديث: رجال من أصحاب النّبي ﷺ، 2001، ح23489، ج38، ص 474.

[4]- مسلم بن الحجاج: المصدر السابق، حديث صحيح، كتاب: الجهاد والسير، باب: تحريم الغدر، ح1736، ج3، ص 1360.

[5]- مسلم بن الحجاج: المصدر السابق، حديث صحيح، كتاب: الجنائز، باب: القيام للجنازة، ح961، ج2، ص 661.

فلم توجد عنده ووجدت بمنزل اليهودي، ودافع أهل الأنصاريّ عنه فأتوا النبيّ ﷺ فقالوا: "يا نبيّ الله، إنّ صاحبنا بريء وإنّ صاحب الدرع فلان، فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه فإنّه إلّا يعصمه الله بك يهلك"، فقام رسول الله ﷺ فبرّأه وعذره على رؤوس الناس، وهمّ بقطع يد اليهوديّ البريء، فأنزل الله تعالى الآيات الكريمة السابقة وبُرِّئ اليهوديّ وهرب السارق المنافق إلى مكة المكرمة ملتحقا بالمشركين[1].

كما اتسمت سياسة النبيّ ﷺ بغاية التسامح والرأفة مع جميع الطوائف، مطبقا لما شرّعه الله تعالى من ذلك عهود الأمان التي أقرها لغير المسلمين في أرضه كعهده ﷺ مع اليهود في المدينة الذي أقرهم فيه على دينهم وأموالهم ومما جاء فيه: «وأنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين؛ وإنّ يهود بني عوف أمّة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، ومواليهم وأنفسهم إلّا من ظلم نفسه وأَثِم فإنّه لا يوتغ[2] إلّا نفسه وأهل بيته؛ إنّ ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف؛...وإنّ ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم، فإنّه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته...؛ وإنّ بطانة يهود كأنفسهم؛ وإنّه لا يخرج منهم أحد إلّا بإذن مُحَمَّد ﷺ؛ وإنّه لا ينحجز على ثأر جرح وإنّه من فَتك فبنفسه فتك، وأهل بيته، إلّا من ظلم وإنّ الله على أبر هذا؛ وإنّ على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإنّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وإنّ بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم؛...وإنّ يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة؛ وإنّ الجار كالنفس غير مضار ولا آثم؛...وإنّ ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار[3] يخاف فساده فإنّ مردَّه إلى الله، وإلى مُحَمَّد رسول الله ﷺ، وإنّ الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره؛ وإنّه لا تجار قريش ولا من نصرها...؛ وإذا دعوا إلى الصلح يصالحونه ويلبسونه فإنّهم يصالحونه ويلبسونه، وإنّهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنّ لهم على المؤمنين إلّا من حارب في الدين؛...وإنّ يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وإنّ البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلّا على نفسه، وإنّ الله على ما أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره؛ وإنّه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم

---

[1]- الطاهر بن عاشور: المرجع السابق، ج5، ص 194؛ أبو بكر الجزائري: المرجع السابق، ج1، ص 536؛ ابن الجوزي: المنتظم، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج3، ص 206.

[2]- يوتغ: من الوَتَغُ ويعني الهلاك وقد وَتِغَ يَوْتَغُ وَتَغاً أي أَثِمَ وهلك وأَوْتَغَهُ الله أي أهلكه؛ ينظر الجوهري إسماعيل بن حماد: المصدر السابق، ج4، ص 1328.

[3]- اشتجار: من شَجَرَ أي اختلاف واشتباك الفتنة واشْتَجَرُوا: تَخَالَفُوا، كتَشاجَرُوا وبينهم مُشاجرة ؛ ينظر مرتضى الزَّبيدي: المصدر السابق، ج12، ص 139.

أو آثم، إنّه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلّا من ظلم وأثم، وأنّ الله جار لمن برّ واتقى، ومُحمّد رسول الله ﷺ»[1].

ومن ذلك أيضا عهد الأمان الذي عقده النبيّ ﷺ لأهل نجران والذي كان في أسمى درجات التسامح والحسنى واحترام الأديان وأهلها، ومما جاء فيه: «بِسم الله الرحمن الرحيم هَذَا مَا كَتَبَ مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَجْرَانَ...وَلِنَجْرَانَ وَحَاشِيَتِهَا جِوَارُ اللهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ وَأَرْضِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَغَائِبِهِمْ وَشَاهِدِهِمْ وَعَشِيرَتِهِمْ وَبِيَعِهِمْ وَأَنْ لَا يُغَيِّرُوا مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ وَلَا يُغَيِّرُوا حَقًّا مِنْ حُقُوقِهِمْ وَلَا مِلَّتِهِمْ، وَلَا يُغَيِّرُوا أُسْقَفًّا عَنْ أُسْقُفِّيَتِهِ وَلَا رَاهِبًا مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِ، وَلَا وَاقِهًا مِنْ وُقَيْهَاهُ، وَكُلَّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ دِنْيَةٌ وَلَا دَمُ جَاهِلِيَّةٍ وَلَا يُحْشَرُونَ وَلَا يُعْشَرُونَ وَلَا يَطَأُ أَرْضَهُمْ جَيْشٌ، وَمَنْ سَأَلَ فِيهِمْ حَقًّا فَبَيْنَهُمُ النِّصْفُ غَيْرَ ظَالِمِينَ وَلَا مَظْلُومِينَ بِنَجْرَانَ، وَمَنْ أَكَلَ رِبًا مِنْ ذِي قَبَلٍ فَذِمَّتِي مِنْهُ بَرِيئَةٌ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُمْ رَجُلٌ بِظُلْمِ آخَرَ، وَعَلَى مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ جِوَارُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبَدًا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ، مَا نَصَحُوا وَأَصْلَحُوا فِيمَا عَلَيْهِ غَيْرَ مُثْقَلِينَ بِظُلْمٍ»[2]، وأوفى لهم بذلك ما شاء الله من الوقت إضافة إلى أنّه كان يوصي خيرا بغير المسلمين كالأقباط الذين خصهم بوصيته في قوله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ، فَاخْرُجْ مِنْهَا»[3].

كما لم يُعرّف الإسلام الدولة على أسس عرقية أو جغرافية أو لغوية، وإنّما على أساس ديني وسماها دار الإسلام وما عداها دار الكفر، لذلك عمّ التواضع والتآخي الفريد ولا أدلّ على ذلك المكانة التي بلغها بعض الصحابة من غير العرب كبلال الحبشيّ وسلمان الفارسيّ وصهيب الروميّ وعبد الله بن سلام (وكان قبل إسلامه يهوديا من غير العرب من بني قينقاع) ﷺ أجمعين قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

---

[1]- أكرم ضياء العمري: المرجع السابق، ج1، ص 285.

[2]- القاسم بن سلاّم: الأموال، تحقيق: خليل مُحمّد هراس، دار الفكر، بيروت، (د ت)، كتاب: افتتاح الأرضين صلحا وأحكامها وسننها وهي من الفيء ولا تكون غنيمة، باب: كتب العهود التي كتبها رسول الله ﷺ وأصحابه لأهل الصلح، ح503، ص 244؛ أبو يوسف يعقوب: الخراج، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن مُحمّد، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، (د ت)، ص 85؛ مُحمّد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط6، دار النفائس، بيروت، 1987، ص 176.

[3]- مسلم بن الحجاج: المصدر السابق، حديث صحيح، كتاب: فضائل الصحابة ﷺ، باب: وصية النبي ﷺ بأهل مصر، ح2543، ج4، ص 1970.

النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات 13.

وقد اتّبع الخلفاء الراشدون ﷺ أجمعين هدي النبيّ ﷺ في التعامل مع أهل الذّمّة قولا ونصحا وفعلا، من ذلك وصايا أبي بكر للجيوش أمراء وجندا: «إِنَّكَ سَتَجِدُ قَوْمًا زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَّسُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ فَذَرْهُمْ وَمَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَّسُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ...وَإِنِّي مُوصِيكَ بِعَشْرٍ: لَا تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً، وَلَا صَبِيًّا، وَلَا كَبِيرًا هَرِمًا، وَلَا تَقْطَعَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا، وَلَا تُخَرِّبَنَّ عَامِرًا، وَلَا تَعْقِرَنَّ شَاةً، وَلَا بَعِيرًا، إِلَّا لِمَأْكَلَةٍ وَلَا تَحْرِقَنَّ نَحْلًا، وَلَا تُغَرِّقَنَّهُ، وَلَا تَغْلُلْ وَلَا تَجْبُنْ»[(1)]، وتعامل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ مع أهل الذّمّة واهتمامه بشؤونهم وتنظيم علاقاتهم مع المسلمين في الشروط العمرية التي تعتبر وثيقة عالمية يفتخر بها الإسلام وموقفه مع نصارى بيت المقدس، وقول وتأكيد عبد الله بن عباس ﷺ أجمعين: «مَا خَتَرَ قَوْمٌ بِالْعَهْدِ، إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعَدُوَّ»[(2)]، وكان العلماء ينصحون الخلفاء بذلك ويذكّرونهم بعهودهم وذمتهم، ومن أبرز ذلك ما كتبه الفقيه أبو يوسف يعقوب الكوفيّ البغداديّ الحنفيّ (ت182هـ/798م) للخليفة العباسيّ الخامس هارون الرشيد (170-193هـ/787-809م): "وقد ينبغي يا أمير المؤمنين أيّدك الله أن تتقدم في الرفق بأهل ذمّة نبيّك وابن عمك محمّد ﷺ والتفقد لهم حتّى لا يظلَموا ولا يؤذَوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلّا بحق يجب عليهم"[(3)]، وما نصح به الإمام عبد الرحمن الأوزاعيّ (ت157هـ/774م) الأمير العباسيّ صالح بن علي (ت152هـ/769م) أثناء ولايته على دمشق وقد بلغه أنّه أساء إلى جماعة من أهل الذّمّة خرجوا على الخليفة بفعل معاملة عامل الخراج ومما جاء في كتابه إليه: "وقد كان من إجلاء أهل الذّمّة من جبل لبنان ممّن لم يكن ممالئا لمن خرج على خروجه ممّن قتلت بعضهم ورددت باقيهم إلى قراهم ما قد علمت فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم، وحكم الله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ النجم 38؛ وهو أحق ما وقف عنده واقتدى به، وأحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصيّة رسول الله ﷺ فإنّه قال: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»"[(4)].

[(1)]- مالك بن أنس: المصدر السابق، كتاب: الجهاد، باب: النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو، ص 447.

[(2)]- مالك بن أنس: المصدر نفسه، كتاب: الجهاد، باب: ما جاء في الوفاء بالأمان، ص 448.

[(3)]- أبو يوسف يعقوب: المصدر السابق، ص 138.

[(4)]- أبو داود: السنن، تحقيق: محمّد عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د ت)، حديث صحيح، كتاب: الخراج والإمارة والفيئ، باب: في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، ح3052، ج3، ص 170.

وقد سار الخلفاء الأمويون والعباسيون من بعدهم على هذه السيرة المباركة في الإحسان إلى أهل الذّمّة ومهادنة من قبل الصلح ودفع الجزية[1]، وكان موقفهم منهم دينيا فحسب دون استعلاء أو احتقار بدعوى الملك أو المال أو النسب، فأحسنوا إليهم وقرّبوا من نبغ منهم للاستفادة منه، يقول المؤرخ الأمريكيّ ول ديورانت (ت1401هـ/1981م): "ولقد كان أهل الذّمّة المسيحيون، والزرادشتيون واليهود، والصابئون، يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرا في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحرارا في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، ولم يفرض عليهم أكثر من ارتداء زي ذي لون خاص وأداء فرضة عن كل شخص، تختلف باختلاف دخله ..."[2] فنجد أول خلفاء القرن (2هـ/8م) الخليفة الأمويّ عمر بن العزيز (99-101هـ/718-720م) يعاملهم بالرفق، ويسعى إلى عدم إرهاقهم بما يشق عليهم[3] ترغيبا لهم في الإسلام، وعف عما في أيديهم وكان همه الإسلام أولا لا الجزية، فقد أمر عماله أن يضعوا الجزية عن الذمي إذا أسلم حتى ولو كانت تلك الجزية في الميزان، وكان يساعد من يحتاج من المزارعين الذّمّيين بما يتقوون به، وغير ذلك من الأعمال تأسيا برسول الله ﷺ، وخلفائه رضي الله عنهم[4].

وأما ما أشيع من تضييق الخليفة عمر بن العزيز عليهم في المناصب ومنعهم عنها[5]، والهيئة واللباس، فإنّه لم يمنعهم عن المناصب إلّا لكفرهم، ولينزلهم منزلتهم التي هي الذل والصغار لكفرهم، لأنّهم استكثروا وتقلدوا المناصب وتسلّطوا على المسلمين وهذا بشهادة غير المسلمين ومنهم المستشرق السويسريّ الألمانيّ آدم متز (ت1335هـ/1917م) الذي أبدى تعجبه من الظاهرة حيث يقول: "من الأمور التي نعجب لها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية، فكان النصارى هم الذين يحكمون المسلمين في بلاد الإسلام، والشكوى من تحكيم أهل الذّمّة في أبشار المسلمين وأموالهم شكوى قديمة...وقد قلد ديوان جيش المسلمين لرجل نصرانيّ مرتين في القرن الثالث...وكان المتصرفون النصارى واليهود يقسمون اليمين شأنهم شأن المسلمين...وكانت الحركات التي

---

[1]- البلاذري: فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988، ص 423.

[2]- ول ديورانت: المرجع السابق، ج13، ص 130-131.

[3]- ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ج1، ص 145.

[4]- حياة بن مُحَمَّد بن جبريل: الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 2002، ج2، ص 839.

[5]- ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ج1، ص 459.

يقصد بها مقاومة النصارى موجهة أولا إلى محاربة تسلّط أهل الذّمّة على المسلمين"[1]، وقول المستشرق الفرنسيّ هنري دي كاستري (ت1345هـ/1927م): "إلّا أنّ أولئك الموظفين كانوا يشوهون بوجودهم في المناصب وحدة الإسلام...وكان بغض المسلمين لهم مسببا في الغالب من جورهم في الأحكام لا من مخالفتهم في الدين"[2]، كما لم يلزم أهل الذّمّة بأن يلبسوا لباسا خاصا بهم إلّا لحرصه عليهم كي لا يصيبهم مكروه ولو خطأ، لأنّ المسلمين مطالبون بفرائض وواجبات، وإن لم يكن هناك ما يميز بين أهل الملل بملابسهم وهيآتهم لوقع اللّبس، كمن يقف مثلا خارج المسجد والصلاة قائمة أو المسلمون في جهاد الدفع وهو بزي المسلمين فلا شك أنّ ذلك يوجب المساءلة والاتهام، أما إذا كان يلبس ملابس أهل الذّمّة فلا لبس، ويمكن أن يكون ذلك من باب التصغير لهم لعلّهم يسلمون أو يبقوا أدنى من المسلمين فكل هذا لا يعني القسوة بل المراد منه الخضوع للسلطة وجعلهم في مكانة أقل من المسلمين لأنّه لا عزة إلّا بالإسلام[3].

كما نجد أمثلة على حسن معاملته لهم وحفظ حقوقهم من ذلك وصيته لأحد ولّاته بقوله: "وانظر من قبلك من أهل الذّمّة قد كبر سنه وضعفت قوته وولّت عنه المكاسب فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه..."[4]، وكنصارى الشام الذين شكوا إليه بناء مسجد دمشق على إحدى كنائسهم في عهد الخليفة الأمويّ السادس الوليد بن عبد الملك (85-95هـ/704-714م) فأجابهم إلى رد كنيستهم مقابل هدم ما فتح عنوة فرضوا بما في أيديهم بإبقاء كنيسة توما فقبل عمر ذلك[5]، كما عزل أحد عمال الخراج بمصر وهو أسامة بن زيد التنوخيّ وأمر به أن يحبس لأنّه كان غاشما ظلوما معتديا في العقوبات بغير ما أنزل الله عزوجل ويقطع الأيدي في خلاف ما يؤمر به الشرع[6] وإن عقّب مشكك مشكك بأنّ الإسلام لا عنصرية فيه فهذا صحيح ولكن عدم العنصرية لا يقتضي المساواة بين المسلم والكافر أو موالاته، كما لا نجد فيما بين أيدينا من مصادر ما يشير إلى تذمر أهل الذّمّة من العزل من

---

(1)- آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن 4هـ، ترجمة: أبو ريدة مُحَمَّد، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت)، ج1، ص 105-106.

(2)- هنري دي كاستري: المرجع السابق، ص 78.

(3)- حياة بن مُحَمَّد بن جبريل: المرجع السابق، ج2، ص 841.

(4)- القاسم بن سلام: المصدر السابق، كتاب: سنن الفيء والخمس والصدقة وهي الأموال التي تليها الأئمّة للرعية، باب: اجتباء الجزية والخراج وما يؤمر به من الرّفق بأهلها وينهى عنه من العنف عليهم فيها، ص 56.

(5)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط2، 1967، ج6، ص 499.

(6)- ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تحقيق: أحمد عبيد، ط6، عالم الكتب، بيروت، 1984، ص 37.

المناصب المتعلقة بالمسلمين، فقد كانوا على علم بأنّه ليس من حقوقهم وبعدم جواز ذلك شرعا على الأقل خاصتهم، وهذا ما شهد به المستشرق الألمانيّ يوليوس فلهاوزن (ت1401ﻫ/1981م) حيث يبين في هذا الصدد قائلا: "...أما الحق فهو أنّ عمر بن عبد العزيز كان مسلما متحمسا وأنّ النصارى أحسّوا بذلك ولكن عمر لم يكره النصارى على الدخول في الإسلام مهددا إيّاهم بالقتل لأنّه لو كان فعل ذلك لكان فيه اعتداء على الحق القائم الذي ضمنه الإسلام للنصارى وهذا ما لم يكن من عمر لأنّه مسلم حق وهو فيما يتعلق بالنصارى قد التزم حدود الشرع التزاما تامّا وإن كان الأمر بدا في أعين النصارى على غير ذلك..."[(1)]، زيادة على أنّ عقد الذّمّة لا يتضمن أيّة إشارة إلى السماح لأهل الذّمّة بتولّي المناصب التي لها علاقة بمصير المسلمين، لذلك فعزلهم من المناصب هو عمل شرعي وقانوني، تضمّنه عقد الذّمّة وأكثر من ذلك فالخلفاء الذين أبعدوا الذّمّيين عن المناصب قدّموا لهم خدمة عظيمة، تتمثل في حمايتهم من سخط المسلمين الذين أنكروا إسناد المناصب إليهم، فاستئثار الذّمّيين بالمناصب سيضر بالمسلمين لاختلاف المصالح الدينية والدنيوية وهذا ما قد يؤدي إلى سوء العلاقة بين الطرفين قد يدفع ثمنه ضعفاء أهل الذّمّة بشكل خاص، وهذا التوضيح ينطبق على كل الخلفاء الذين اتهموا باطلا بهذا الصنيع كالخليفتين العباسيين المنصور والمتوكل.

وهذا الواقع المفعم بالرحمة والتسامح نجده يستمر في العهد العباسيّ، حيث تمتع أهل الذّمّة بقدر كبير من التسامح والحرية، وصارت لهم مكانة كبيرة خاصة أهل العلم منهم، الذين قربهم الخلفاء ونالوا حظوة كبيرة عندهم فهارون الرشيد الخليفة العباسيّ الخامس (170-193ﻫ/787-809م) من إحسانه إليهم أنّه مرّ بالكوفة مرة يريد الحج فرفع إليه بعض أهل الذّمّة مطالبهم، وشكوا تعنت العمال معهم، فكتب لهم كتاب، وأمر أن يعفوا من معاملة العمال وأن يكون مؤداهم إلى بيت المال مباشرة[(2)] ونال النصارى منهم في خلافته امتيازات عظيمة حتى وصفت أيامه بالنسبة إليهم بأيام العروس[(3)] وخاصة الأطباء منهم والمترجمين كطبيبه جبريل بن بختشيوع النصرانيّ (ت212ﻫ/828م) الذي نال عنده حظوة عظيمة[(4)].

---

(1)- يوليوس فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة وتعليق: محمّد عبد الهادي أبو ريدة، ط2، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، 1968، ص 289-290.

(2)- البلاذري: المصدر السابق، ص 75.

(3)- جان موريس فييه: أحوال النصاري في خلافة بني العباس، ترجمة: حسني زينه، ط1، دار المشرق، بيروت، 1990، ص 97.

(4)- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د ت)، ص 188؛ جان موريس فييه: المرجع السابق، ص 92.

وكان الخليفة السابع المأمون (198-218هـ/814-833م) يحب دخول الناس في الإسلام ويرغبهم فيه، وبالرغم من قوة ونفوذ الدولة في عهده إلّا أنّه لم يفرض الإسلام على أحد[1]، من ذلك أنّه عقد مجلسا للمناظرة ببغداد بين زعيم المانوية في بلاد فارس يزدانبخت وبين المتكلمين المسلمين في حضرته، فأفحم العلماء المسلمون يزدانبخت بالحجة والبيان، فأمل المأمون في إسلامه، فطلب منه ذلك فرفض يزدانبخت في أدب، وقال له: "نصيحتك يا أمير المؤمنين مسموعة وقولك مقبول ولكنّك ممن لا يجبر الناس على ترك مذاهبهم" فتركه المأمون وشأنه وطلب حمايته حتى يبلغ مأمنه[2]، كما سمح لنصارى مصر ببناء كنائس عديدة[3].

وأدخل الخليفة العباسيّ الثامن المعتصم (218-227هـ/833-842م) في خدمته أخوين نصرانيين وقلّدهما مناصب رفيعة في الدولة واحترم ديانتهما، وأقام لأحدهما عند وفاته جنازة في قصر الخلافة وفق تعاليم النصرانية[4]، وعم احترامه عامة النصارى من ذلك أنّه لما عزم على بناء عاصمة جديدة للخلافة ووقع أمره على موقع سر من رأى شمال بغداد وكان بها دير للنصارى فاشتراه منهم بأربعة آلاف دينار ولم يبخسهم حقهم[5].

وفي مصر بنى نصرانيّ جامعا للأمير أحمد بن طولون (254-270هـ/868-884م) وهو جامع أحمد بن طولون المشهور بالقطائع، وطلب النصرانيّ جائزته فخلع عليه ابن طولون وأمر له بعشرة آلاف دينار، وأجرى عليه الرزق الواسع إلى أن مات[6].

وفي عهد الخليفة العباسيّ العاشر المتوكل (232-247هـ/847-861م) استمر ازدهار العلوم والترجمة وازدهار مراكزها (سنأتي إلى موضوع الترجمة لاحقا في موضعه إن شاء الله تعالى) أكثر لأنّ الثمار ظهرت في عصره بشكل جلي بعد المقدمات والتدريب والتجارب السابقة، التي لعب فيها أهل الذّمّة دورا كبيرا ومنهم الطبيب بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع النصرانيّ (ت256هـ/870م)، الذي كان نبيل القدر وبلغ من عظم المنزلة والحال عند المتوكل وكثرة المال ما لم يبلغه أحد من سائر الأطباء الذين كانوا في عصره، حتى قال عنه الطبيب والمؤرخ ابن أبي أصيبعة (ت668هـ/1270م): "وكان

---

[1]- توماس أرنولد: المرجع السابق، ص 105.

[2]- ابن النديم: المصدر السابق، ص 411.

[3]- توماس أرنولد: المرجع السابق، ص 86.

[4]- توماس أرنولد: المرجع نفسه، ص 81.

[5]- اليعقوبي: البلدان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ص 57.

[6]- المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج4، ص 39.

يضاهي المتوكل (الخليفة) في اللباس والفرش"[1] وأكيد أنّ هذا الملك والجاه ما كان ليتأتى له لو كان هناك تضييق عليه في العمل وحرية العيش، وشكا في خلافته أهل قرية من قرى نابلس بفلسطين تدعى بيت ماما وهم يهود سامرة ضعفهم وعجزهم عن دفع خمسة دنانير كخراج للأرض فأمر المتوكل بجعله ثلاثة دنانير[2].

واستخدم الخليفة العباسيّ السادس عشر المعتضد (279-289هـ/892-902م) واليا نصرانيا على الأنبار، واتخذ نصرانيا آخر كاتبا له، وتقلد ديوان الجيش العباسي نصرانيّ في خلافة المقتدر بالله (295-320هـ/908-932م)[3]، وذِكر هذه الأمثلة (تولية أهل الذّمّة) لا يعني تزكيتها والإقرار بها وإنّما تبيين نظرة المسلمين إلى مخالفيهم حيث لم تحملهم مخالفة الدين على التمييز والإساءة لأهل الذّمّة.

كما ولج أهل الذّمّة الحياة الاقتصادية بقوة، مستفيدين من سماحة المسلمين فمارسوا مختلف الأنشطة الاقتصادية خاصة المعاملات المالية كالصيرفة، إلى درجة أن غلبوا على هذه المهنة في أواخر القرن (3هـ/9م)[4].

ويقر المستشرق البريطانيّ توماس أرنولد (ت1348هـ/1930م) سماحة الإسلام والمسلمين في خضم حديثه عن انتشاره وتراجع النصرانية بقوله: "ولكننا لم نسمع عن أيّة محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي، ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التي أقصى بها فرديناند[5] وإيزابيلا[6] دين الإسلام من إسبانيا..."[7].

---

[1]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 201.

[2]- البلاذري: المصدر السابق، ص 159.

[3]- توماس أرنولد: المرجع السابق، ص 82.

[4]- عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن 4هـ، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995، ص 194.

[5]- فرديناند: هو ملك من ملوك إسبانيا ويلقب بفرناندو 2 بدأ ملكه حاكما على أراغون، ثم ملكا على إسبانيا بعد توحده مع قشتالة سنة 1479م بقيادة إيزابيلا اشتهر بحسن التدبير، وجعل الدين أداة للسياسة الحربية والقومية لخدمة دولته وشعبه، ما مكّنه من إخراج المسلمين من الأندلس سنة 1492م، توفي سنة 1517م؛ ينظر ول ديورانت: المرجع السابق، ج23، ص 110-111.

[6]- إيزابيلا: ملكة قشتالة ثم إسبانيا بعد الوحدة مع أراغون سنة 1479م اشتهرت بحسن التدبير وساهمت في إخراج المسلمين من الأندلس سنة 1492م بعد تحضيرها لذلك بالوحدة مع أراغون والزواج من ملكها فرديناند توفيت سنة 1504م وتركت العرش كاملا لفرديناند؛ ينظر ول ديورانت: المرجع نفسه، ج23، ص 108.

[7]- توماس أرنولد: المرجع السابق، ص 99.

ويقول المؤرخ اللبنانيّ فيليب حتي (ت1398هـ/1978م): "وقد تمتع أهل الذّمّة في هذا الوضع بقسط وافر من الحرية لقاء تأديتهم الجزية والخراج، وكانوا يرجعون في قضاياهم المدنية والجزائية إلى رؤسائهم الروحيين إلّا إذا كانت القضية تمس مسلما"[(1)].

كما تورد المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه (ت1419هـ/1999م) في كتابها الماتع "شمس العرب تسطع على الغرب" شهادة مهمة من أحد بطاريكة بيت المقدس فتقول: " فبطريرك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع (الميلادي) (الثالث الهجري) لبطريرك القسطنطينية عن العرب: "إنّهم يمتازون بالعدل، ولا يظلموننا البتّة، وهم لا يستخدمون معنا أيّ عنف"[(2)]، وتضيف زيغريد هونكه مبيّنة سماحة الإسلام التي لا نظير لها بشهادتها: " (لا إكراه في الدين) هذا ما أمر به القرآن الكريم وبناء على ذلك فإنّ العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها سمح لهم جميعا دون أي عائق يمنعهم من ممارسة شعائر دينهم، وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسّوهم بأدنى أذى، أو ليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال؟ ومتى؟"[(3)].

كما يعطي المؤرخ الأمريكيّ ول ديورانت (ت1401هـ/1981م) صورة شاملة عن معاملة الذّمّيين في المشرق الإسلاميّ بقوله: "وكان اليهود في بلاد الشرق الأدنى قد رحبوا بالعرب الذين حرروهم من ظلم حكامهم السابقين، إلّا أنّهم في عهدهم قد فرضت عليهم عدة قيود ولاقوا شيئا من الاضطهاد من حين إلى حين، غير أنّهم مع هذا كانوا يعاملون على قدم المساواة مع المسيحيين، وأصبحوا مرة أخرى يتمتعون بكامل الحرية في حياتهم وفي ممارسة شعائر دينهم...، وأثْروا كثيرا في ظل الإسلام وفي آسيا ومصر، وإسبانيا، كما لم يثروا من قبل تحت حكم المسيحيين، وكان المسيحيون في بلاد آسية الغربية خارج حدود الجزيرة العربية يمارسون شعائر دينهم بكامل حريتهم، وبقيت الكثرة الغالبة من أهل بلاد الشام مسيحية حتى القرن الثالث الإسلامي، ويحدثنا المؤرخون أنّه كان في بلاد الإسلام في عصر المأمون أحد عشر ألف كنيسة، كما كان فيها عدد كبير من هياكل اليهود ومعابد النار، وكان المسيحيون أحرارا

---

(1)- فيليب حتى: العرب تاريخ موجز، دار العلم للملايين، بيروت، 1991، ص 104.

(2)- زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، ط8، دار الجيل، بيروت، 1993، ص 364.

(3)- زيغريد هونكه: المرجع السابق، ص 364.

في الاحتفال بأعيادهم علنا، والحجاج المسيحيون يأتون أفواجا آمنين لزيارة الأضرحة المسيحية في فلسطين"[1].

ولا أدل على سماحة الإسلام مع أهل الذّمّة الأعداد الهائلة لغير المسلمين بين المواطنين المسلمين اليوم كمصر والعراق ولبنان وسوريا وفلسطين والسودان وغيرها، وهم بالملايين هذه الأمصار التي ظلت قرونا طويلة (من القرن01 إلى 12هـ/07–18م) الحكم فيها للإسلام (قبل الضعف والاحتلال الغربي) والكلمة العليا فيها للمسلمين داخليا وخارجيا، فلو لاقى هؤلاء اضطهادا ما بقوا بهذه الأعداد وبذلك النفوذ، ولما بقيت مقدساتهم قائمة أو في أيديهم، فمدة 10 قرون من الاضطهاد لو كانت ولو بشكل بسيط كافية لمحو أيّ أثر لدين أو لغة أو عرق، وهذا ما حدث للمسلمين في الأندلس على يد الأسبان وللهنود الحمر في أمريكا على يد الغزوات الأوروبية وسكان أستراليا الأصليون على يد البريطانيين، حيث لم تمر إلّا عقود حتى أبيد وأخرج المسلمون من الأندلس لأنّ الاضطهاد كان ممنهجا وسياسة قائمة، وهذا ما لم يكن عند المسلمين الذين ضربوا أسمى صور التسامح والتعايش تطبيقا لمبادئ دينهم السامية.

وفي الأخير يظهر لنا أنّ الإسلام ككيان ومنهج حياة لم يقص أي إنسان يحيى تحت سلطانه، فقد كانت الكلمة العليا للتوحيد، وهي الفصل بين السلطان والخضوع والعزة والمذلة، فقبل كل الأطياف والأجناس والأديان، وشرّع لهم قواعد بيّنة تضبط حياتهم في ظلّه، وقد كانت هذه القواعد والضوابط في غاية التسامح والرحمة والاحترام، وقد طبقها المسلمون خاصة حكامهم وعلماؤهم التزاما بدينهم وتأسّيا بنبيّهم ﷺ الذي كان أول من نهج هذا المنهج المتسامح وضرب فيه أسمى الأمثلة التي لم تعرفها البشرية قبله ولا بعده، وتبعه من بعده خلفاؤه وأمراء المسلمين وعلماؤهم كل حسب مكانته وعلمه وتقواه، وإن قصّر بعضهم فاللّوم والعتاب عليه وليس على الإسلام والمسلمين، فالعبرة بالمنهج وليس بالأشخاص.

المبحث الرابع: إسهامات أهل الذّمّة في الحياة العلمية في المشرق الإسلاميّ في (النصف الثاني من ق 1هـ/نهاية ق 7 وبداية 8م):

أمام ما حظي به الذّمّيون من حرية عامة، اندفعوا بقوة لممارسة أنشطتهم الدنيوية والدينية ولم يقصروا اهتمامهم على جانب دون آخر، بما فيه الجانب العلمي الذي شهد تطورا كبيرا منذ بزوغ فجر الإسلام وازدهر تباعا، ومن محطاته البارزة عند المسلمين حركة ترجمة العلوم وتشعبها وتطورها، فكيف

[1]– ول ديورانت: المرجع السابق، ج13، ص 132.

كان دورهم في حركة الترجمة؟ وما هي إسهاماتهم في مختلف العلوم؟ وكيف كان موقفهم من الإسلام في الفترة قيد الدراسة؟.

أولا: الترجمة:

الترجمة هي نقل الكلام من لغة إلى أخرى، فترجم الكتاب نقله من لغة إلى أخرى، أي فسّره بلغة أخرى[1]، (وسنأتي إلى التفصيل في التعريف بها في الفصل المخصص لموضوع الترجمة لاحقا إن شاء الله تعالى).

وقد ظهرت الترجمة العامة عند المسلمين منذ أيامهم الأولى، لضرورتها السياسية والإدارية (كالمراسلات) والاقتصادية المتمثلة في المعاملات التجارية بشكل خاص، وغير ذلك من المعاملات مع أصحاب الألسن المختلفة وتستدعي الترجمة، أمّا ترجمة العلوم المختلفة فبدأ الاهتمام بها بشكل ممنهج وجدّي على يد خاصة المسلمين في العهد الأمويّ، وأولهم الأمير الأمويّ خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (ت85هـ/704م)، الذي يقول عنه الأديب ابن النديم البغداديّ (ق4هـ/10م): "كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان...وله همة ومحبة للعلوم خطر بباله الصنعة، فأمر بإحضار جماعة من الفلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصّح بالعربية، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة (الكيمياء) من اللسان اليونانيّ والقبطيّ إلى العربيّ وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة..."[2]، وقال عنه أيضا: "...وهو أول من تُرجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء..."[3]، فعلى يده وبهمته بدأت الترجمة العلمية عند المسلمين، فقبله كانت هناك مبادرات فردية معزولة على يد بعض العلماء من أهل الذّمّة كالطبيب اليهوديّ البصريّ ماسرجويه (ق1هـ/7م) الذي ترجم كتاب "الكناش" للطبيب والقس أَهْرُن بن أعين السكندريّ (ق1هـ/7م)[4] من

---

[1]- أحمد مختار عبد الحميد وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، 2008، ج1، ص 288-289؛ أبو حبيب سعدي: المرجع السابق، ص 49.

[2]- ابن النديم: المصدر السابق، ص 300.

[3]- ابن النديم: المصدر نفسه، ص 434.

[4]- ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص61؛ ابن النديم: المصدر السابق، ص 358؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط2، دار الشرق، بيروت، 1992، ص 112؛ شهاب الدين العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط1، 2002، ج9، ص 384؛ سعيد الديوه جي: بيت الحكمة، ط2، مؤسسة دار الكتب، الكويت، 1972، ص 10.

اللغة السريانية إلى العربية، وهو أقدم كتاب في الطب مترجم إلى العربية[1]، حيث ترجم في عهد الخليفة الأمويّ الرابع مروان بن الحكم (64-65هـ/684-685م)، فقد استدعى خالد بن يزيد جماعة من علماء الإسكندرية ليعلموه الكيمياء على رأسهم الراهب مريانوس السكندريّ الروميّ (ق1هـ/7م)[2]، كما طلب ترجمة بعض كتبها إلى العربية فترجمها له الراهب اصطفان القديم[3] الروميّ (ق1هـ/7م)[4]، ومع ذلك لم ترق هذه البداية إلى حركة علمية لأنّها لم تكن سياسة دولة ولم يتبنها الخلفاء، كما أنّ خالد بن يزيد كان موقعه ضعيفا في السلطة الأموية التي كانت لها اهتمامات أخرى على رأسها الأوضاع السياسية المضطربة بفعل الفتن التي تكالبت عليهم تباعا فاهتموا بالشؤون السياسية[5] أكثر من اهتمامهم بالشؤون الأخرى كالعلم[6] بالرغم من أهميته، وقد تميزت هذه الفترة باستحواذ علماء أهل الذّمّة على الترجمة حتى القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي بشكل كامل، وفي القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ظهر بعض المترجمين المسلمين على رأسهم الرياضي والفلكي مُحَّد بن موسى الخوارزميّ (ت بعد 232هـ/847م)[7] والفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكنديّ (ت252هـ/866م)[8]، وهذا عدد قليل جدا بالنظر إلى أهمية الحركة وحساسيتها.

---

(1)- وقد حدث إشكال في من هو المترجم الحقيقي لهذا الكتاب المهم، بفعل تشابه اسم المترجم ماسرجويه اليهوديّ المترجم الحقيقي له مع طبيب ومترجم آخر نصرانيّ، يحمل نفس الاسم "ماسرجويه"، كان معاصرا للشاعر العباسيّ أبي نواس (ت198هـ/814م)، فظهر للبعض كابن أبي أصيبعة في "طبقات الأطباء" أنّهما شخص واحد، وقد حلّ الإشكال بالاطّلاع على كتاب المؤرخ ابن جلجل "طبقات الأطباء والحكماء" وهو المصدر الرئيس لترجمات وأعمال ماسرجويه اليهوديّ، وقد أشار إلى أنّه ترجم كتاب أهرن في عهد الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان (65-86هـ/685-705م)، وهو ما يتوافق مع حياة ماسرجويه اليهوديّ، وكذلك نُقول الطبيب الشهير أبي بكر الرازيّ لكتاب أهرن وذكر الإضافات التي أضافها ماسرجويه، وإشارة الرازيّ إليه باليهوديّ؛ ينظر فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، ترجمة: حجازي عبد الله، جامعة الملك سعود، الرياض، 2009، مج3، ج1، ص 4-5.

(2)- ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، 1900، ج2، ص 224.

(3)- لم نجد من أخباره فيما وصلنا إليه من مصادر إلّا هذا القدر.

(4)- سعد مُحَّد الكردي: المرجع السابق، ع 398، ص 156.

(5)- محمود حربي عباس وحلاق حسان: العلوم عند العرب أصولها وملامحها الحضارية، دار النهضة العربية، بيروت، 1995، ص 246.

(6)-علي مُحَّد الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ط2، دار المعرفة، بيروت، 2008، ج2، ص 275-276.

(7)- الزركلي: المرجع السابق، ج7، ص 116.

(8)- يحيى وهيب الجبوري: المرجع السابق، ص 150.

وعرفت هذه الفترة اقتصار الترجمة على علوم معينة على رأسها الطب والكيمياء والسياسة، ولم يترجم شيء من كتب الفلسفة والمنطق، كما انحسرت الترجمة في التراث اليونانيّ والفارسيّ ولم يترجم شيء من الآثار الهندية[1]، ومرد ذلك إلى ابتعاد حكام بني أمية عن ما يرونه من المحْدثات والبدع فلم يترجم في عهدهم شيء من كتب الفلسفة والمنطق[2]، ويرجع ذلك وفق المعطيات التاريخية البينة لقربهم من عصر عصر الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين وعلمهم بموقفهم من العلمين (الفلسفة والمنطق)، زيادة على ابتعاد خلفائهم عن البطانة الأجنبية الفاسدة عكس ما فعل العباسيون بعدهم، الذين قربوا الموالي وفي بعضهم بقايا اللوثات العقدية فظهرت هذه العلوم الفاسدة في دولتهم[3].

ومن التراجمة الذّمّيين الذين برزوا في هذه الفترة من تاريخ الدولة الأموية الطبيب والمترجم ماسرجويه اليهوديّ البصريّ (ق1هـ/7م)، الذي يقول عنه الطبيب والمؤرخ القفطيّ جمال الدين (646هـ/1248م) في أخبار الحكماء: "أنّ ماسرجويه الطبيب البصريّ كان إسرائيليّا في زمن عمر بن عبد العزيز، وربما قيل في اسمه: ماسرجيس وكان عالما بالطب...تولى...ترجمة كتاب أهرن القس في الطب وهو كناش فاضل من أفضل الكنانيش القديمة..."[4]، كما ترجم الجزء الثاني من كتاب "الأدوية المفردة لجالينوس" وأصلحه من من بعده حنين بن إسحاق[5]، واصطفان القديم المذكور سلفا، والأسقف والمترجم مار يعقوب الرهاويّ السريانيّ (ت89هـ/708م) الذي نقل بعض كتب اليونان في الحكم والأمثال[6].

وقد وجدت خزائن للكتب على قلتها استخدمت لحفظ المصنّفات المهمة بما فيها المترجمة حديثا وقد شاعت بشكل خاص عند الحكام وخاصة الخلفاء من ذلك ما أورده الأديب ابن النديم البغداديّ (ق4هـ/10م): عن الخطاط خالد بن أبي الهياج (ت130هـ/748م) قوله: "...ويوصف بحسن الخط خالد بن أبي الهياج رأيت مصحفا بخطه وكان...نصّبه لكتب المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م)..."[7] وأكيد أنّ هذه الكتب كانت تحفظ في خزائن

[1]- سعد محمّد الكردي: المرجع السابق، ع 398، ص 158.

[2]- السيوطي: صون المنطق، تحقيق: النشار علي سامي وسعاد علي عبد الرزاق، مجمع البحوث الإسلامية، مصر، (د ت)، ج1، ص 39.

[3]- السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص 39.

[4]- القفطي: المصدر السابق، ص 243.

[5]- أحمد عيسى: تاريخ النبات عند العرب، مؤسسة هنداوي للثقافة والعلوم، القاهرة، 2013، ص 52.

[6]- محمّد أبو ريان: المرجع السابق، ص 75.

[7]- ابن النديم: المصدر السابق، ص 17.

خاصة[1]، إضافة إلى ما أوردته كثير من المصادر المتخصصة حول قصة عمر بن عبد العزيز مع الكتاب الذي ترجمه الطبيب اليهوديّ البصريّ ماسرجويه اليهوديّ (ق1هـ/7م) وهو كتاب "الكناش" المترجم من السريانية إلى العربية، وهو كتاب في الطب للطبيب والقس أَهْرُن بن أعين السكندريّ (ق1هـ/7م) في عهد الخليفة الأمويّ الرابع مروان بن الحكم (64-65هـ/684-685م)[2] فقد وجده في خزائن الكتب الأموية فأمر بإخراجه حيث يقول الطبيب ابن أبي أصيبعة (ت668هـ/1270م): "...كتاب أهرن بن أعين...الذي وجده الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله في خزائن الكتب فأمر بإخراجه ووضعه في مُصلّاه واستخار الله في إخراجه إلى المسلمين للإنتفاع به..."[3].

فالاهتمام الكبير بالعلم كان يستدعي الحرص على الوسائل الموصلة إليه والمساعدة عليه ومنها المصنفات.

ثانيا: دورهم في العلوم:

أمام ما تمتع به أهل الذّمّة من حرية في مختلف المجالات، وحسن المعاملة كل هذا ساعدهم وسهل لهم الاندماج في المجتمع الإسلامي والمساهمة في مختلف الأنشطة، إلّا ما منعوا من الخوض فيه كالجانب السياسي، فانطلقوا بحرية في ممارسة أنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية هذا النشاط الأخير ذو التأثير الكبير في حياة أيّة أمة والذي اهتم به المسلمون اهتماما كبيرا وأبدعوا فيه إبداعا عظيما، دون إبعاد غيرهم عنه فما هو موقع أهل الذّمّة في الحياة العلمية عند المسلمين في النصف الثاني من القرن 1هـ نهاية القرن 7 وبداية القرن 8م؟.

بدأ الدور العلمي لأهل الذّمّة يتبلور منذ العهد الأمويّ في النصف الثاني من القرن 1هـ المتوافق مع نهاية القرن 7 وبداية 8م، فلم يكن لهم تأثير يذكر في هذا المجال في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين لاهتمام الدولة في هذه الفترة بأمور أهم، على رأسها إعلاء كلمة التوحيد وترسيخ أركان الدولة الوليدة إضافة إلى تركّز الجانب العلمي في المسجد الذي لا يسمح للذمّيين بدخوله، والكتاتيب التي كانت قد ظهرت منذ عهد النبي ﷺ في المدينة وكانت تعنى بتعليم الكتابة والقراءة لضعف العرب فيهما وقتئذ[4]

---

[1]- مفتاح يونس الرباصي: المرجع السابق، ص 50.

[2]- ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص61؛ ابن النديم: المصدر السابق، ص 358؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط2، دار الشرق، بيروت، 1992، ص 112؛ العمري شهاب الدين: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط1، 2002، ج9، ص 384.

[3]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 183.

[4]- البلاذريّ: المصدر السابق، ص 455.

وليس العلوم المادية التي لم يُهتم بها بعد، وفي عهد الدولة الأموية (41-132هـ/662-750م) التي اشتهرت بأنّها دولة الفتوحات، لم يمنع اهتمام خاصتها وعامتها بالعلوم وخاصة الشرعية منها، إضافة إلى العلوم المادية الضرورية الصالحة للدولة والفرد ولو كانت بيد غير المسلمين، حيث ومنذ خلافة أول خلفائهم الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان ﵁ (41-60هـ/662-680م) ظهر بعض العلماء الذّمّيين الذين استعين بهم، ولكنّ تأثيرهم كان محدودا جدا بفعل الاهتمام في هذا الوقت بعلوم الدين الإسلامي، التي كانت تشكل علما واحدا يهتم بالدين ولم تتشكل العلوم بشكل منفصل حتى نهاية العصر الأموي، إضافة إلى تركيز الخلفاء الأمويين على ترسيخ أركان دولتهم التي تكالبت عليها الفتن وبتوسيع الدولة الإسلامية فلم يولوا اهتماما بالعلوم غير الدينية إلّا ما اضطروا إليه كالطب أو من شذ من أمرائهم عن الأمر وهو خالد بن يزيد كما أسلفنا، والذي اهتم ببعض العلوم على رأسها الكيمياء، لهذا نجد إسهامهم تركّز في الطب والكيمياء، فلعبوا دورا كبيرا في التعليم والتدريس والتأليف والتطبيب.

فمن أبرز أدوارهم العلمية المفيدة في هذه الفترة والتي لم تمس بالإسلام مساهمتهم الكبيرة في التأليف والتعليم بتكوين كبار العلماء المسلمين في العلوم الضرورية والنافعة، البعيدة بعض الشيء عن القضايا الفكرية كالطب[1]، وإن لم تشر المصادر التاريخية إلى هذا الموضوع بشكل مباشر، فوجود بعض الأطباء في الفترة اللاحقة للقرن (1هـ/7م) دليل على تتلمذهم على يد أهل الذّمّة أو أنّهم طالعوا كتبهم المترجمة فلم تكن هناك مدارس عربية للعلمين ولا كتب طب بالعربية إلّا ما ترجمه أهل الذّمّة عن غير المسلمين.

ومع انتشار الفتوحات وتوسع البيضة الإسلامية ازدادت الصلات بين المسلمين والذّمّيين بما فيها العلمية، كاستعانة المسلمين بهم في تعليم أبنائهم، مثل الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص (ت55هـ/675م) الذي أدخل إلى المدينة نصرانيا من أهل الحيرة يسمى جفينة، وصار يعلم ولده والمسلمين الحساب والكتابة بالمدينة المنورة[2].

ومما استجد في العصر الأمويّ مؤسسات تعليمية جديدة، لم تكن موجودة في صدر الإسلام وهي قصور الخلفاء التي ولجها المؤدبون والعلماء، وهذا بفعل النظام الجديد الذي اتبعه الخلفاء الأمويون

(1)- نشير هنا إلى أنّ الطب كان من أبعد العلوم عن القضايا العقائدية، ولكن لم يسلم الأطباء من الولوج إلى القضايا الدينية والخوض فيها، لارتباط العلوم وقتئذ ببعضها البعض، كالطبيب أبي بكر الرازي الذي تكلّم في القضايا الدينية وجاء بكثير من المناكير، ومع ذلك لم يؤثر الطب وأهله كتأثير الفلسفة وأهلها لعدم إتباع الناس لهم لشهرتهم كأطباء وليس علماء دين كما حصل مع شيوخ المعتزلة.

(2)- البلاذريّ: أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط1، دار الفكر، بيروت، 1996، ج2، ص 294؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج4، ص339؛ الذهبي: المصدر السابق، ج1، ص 142.

بابتعادهم عن العامة واتخاذ الحجّاب بسبب كثرة الفتن والأعداء، فأصبحت هذه القصور ولواحقها أماكن لنشاط العلماء وعلى رأسهم الذّمّيون.

وهذه المستجدات لا تعني تراجع دور المؤسسات التعليمية التي أسّست في بداية صدر الإسلام بل استمرت في أداء عملها، وازدادت تطورا كبيرا بفعل تزايد الوافدين إلى الإسلام[1]، وتطور الدولة واتساعها يقول التابعي الجليل ابن سيرين البصريّ (ت110ﻫ/729م): "قدمت الكوفة وللشعبي[2] حلقة عظيمة"[3]، كما بدأت في أواخر العصر الأمويّ تنفصل العلوم الشرعية عن بعضها البعض فأصبح هناك علماء للفقه وآخرون للتفسير وغيرهم للحديث[4].

أ_ الطب:

وهو أول علم اهتم به الأمويون فهو العلم الذي لا يستغني عنه الناس في كل زمان ومكان[5] فظهر في العصر الأمويّ كثير من الأطباء الذّمّيين أغلبهم من النصارى، من أوائلهم الطبيب ابن أثال (توفي في خلافة معاوية) الذي كان طبيبا خاصّا للخليفة الأمويّ الأول معاوية بن أبي سفيان (41-60ﻫ/662-680م)، والذي يقول عنه الطبيب ابن أبي أصيبعة (ت668ﻫ/1270م): "كان طبيبا متقدما، من الأطباء المتميزين في دمشق، نصرانيّ المذهب، ولما ملك معاوية بن أبي سفيان دمشق اصطفاه لنفسه وأحسن إليه، وكان كثير الافتقاد له والاعتقاد فيه، والمحادثة معه ليلا ونهارا، وكان ابن أثال خبيرا في الأدوية المفردة والمركبة وقواها..."[6].

وممن ساهم أيضا الطبيب والمترجم ماسرجويه اليهوديّ البصريّ (ق1ﻫ/7م) الذي زيادة على اشتغاله بالترجمة اهتم بالتأليف في الطب والصيدلة من كتبه "قوى العقاقير ومنافعها ومضارها"[7]، ومن أشهر الأطباء أيضا تياذوق (ت88ﻫ/708م) الذي ذاع صيته عند الأمويين وأكثر ما خدم الوالي الأمويّ الكبير الحجاج بن يوسف الثقفيّ (ت95ﻫ/714م) الذي كان يقرّبه ويثق

---

(1)- مفتاح الرباصي: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول، ط1، منشورات جامعة 07 أكتوبر، ليبيا، 2010، ص 46.

(2)- الشعبي: أبو عمرو عامر بن شراحبيل الهمدانيّ الشعبي الكوفيّ تابعي جليل وأحد كبار أئمتهم نبغ في علم الحديث والفقه (ت103ﻫ/722م)؛ ينظر الزركلي: الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج3، ص 251.

(3)- الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، بيروت، 1985، ج5، ص 175.

(4)- عبد الشافي محمّد عبد اللطيف: السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ط1، دار السلام، القاهرة، 2007، ص 336.

(5)- عبد الشافي محمّد عبد اللطيف: المرجع السابق، ص 336.

(6)- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 171.

(7)- أحمد عيسى: المرجع السابق، ص 52.

في علاجه فيسدي إليه هذا الطبيب النصائح الطبية المفيدة لبدنه، من كتبه كتاب "كناش" والذي ألّفه لِابنه[1]، وله كتاب "إبدال الأدوية وكيفية دفعها وإيقاعها"[2]، وأبو الحكم النصرانيّ (ق1هـ/7م) طبيب الخليفة معاوية الذي كان طبيبا عالما بأنواع العلاج والأدوية وله أعمال فيها وصفات مشهورة، فكان معاوية يستطبه ويعتمد عليه في تركيبات الأدوية التي يحتاجها[3].

ومن الأطباء الذّمّيين الذين اتصلوا بخلفاء بني أمية أيضا وخدموهم عبد الملك بن أبجر الكنانيّ (ق1هـ/7م)، وكان من الأطباء المشهورين في مدينة الإسكندرية، ثمّ أسلم على يد عمر بن عبد العزيز قبل خلافته وكانت بينهما صحبة فاعتمد عليه في الطب[4]، فصحبته كانت لمكانته العلمية وشهرته فقربه ذلك من فضلاء المسلمين وكانت هدايته على أيديهم، ومنهم الطبيب فرات بن شحناثا اليهوديّ (توفي في خلافة المنصور) الذي خدم الحجاج بن يوسف (ت95هـ/714م) واستمر عطاؤه إلى العهد العباسيّ وكان يُشاور في الأمور الطبية[5].

وبفعل نشاط هؤلاء الأطباء وعوامل أخرى بدأ عدد الأطباء يكبر ومستواهم يتطور فقد ظهرت دلائل كثيرة تدل على تزايد عدد المشتغلين بالطب في عهد معاوية، بحيث أصبحت النسبة طبيب لقرابة خمسمائة وأربع وثلاثين فردا وهذه النسبة تمّ أخذها مما أورده العلامة ابن كثير من أنّ الوالي والقائد الأمويّ زياد بن أبيه (ت52هـ/673م) والي البصرة حينما طعن في يده جمع مائة وخمسين طبيبا ليداووه[6]، وكان عدد سكان البصرة وقتئذ ثمانين ألفا تقريبا[7] وإن كان يظهر في الرواية بعض الغرابة والمبالغة فإنّها تدل على كثرة المشتغلين بالطب فحتّى لو كان هذا الوالي جمع خمسين طبيبا فهو عدد كبير في مدينة واحدة وقتئذ.

ب_ الكيمياء:

الكيمياء هي التي انطلقت منها الحركة العلمية المنظمة في العصر الأمويّ بدعم من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (ت85هـ/704م)، والذي اهتم بالكيمياء واستقدم بعض العلماء الذّمّيين

---

(1)- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 179-181.

(2)- أحمد عيسى: تاريخ النبات عند العرب، مؤسسة هنداوي للثقافة والعلوم، القاهرة، 2013، ص 51.

(3)- ابن أبي أصيبعة: المصدر االسابق، ص 175.

(4)- ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، ص 171.

(5)- يوسف رزق الله غنيمة: نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ط1، مطبعة الفرات، بغداد، 1924، ص 110.

(6)- ابن كثير: المصدر السابق، ج11، ص 261.

(7)- الصلابي: معاوية بن أبي سفيان شخصيته وعصره، ط1، دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، 2008، ص 268.

ليعلموه إياها منهم الكاهن النصرانيّ مريانوس السكندريّ الروميّ (ق1ه/7م) الذي تعلم على يديه الكيمياء واستفاد منه[1]، ودوّن ذلك في رسالة وثّق فيها قصته مع مريانوس وما تعلمه منه[2]، والطبيب ماسرجويه اليهوديّ الذي كانت له دراية بالسوائل الكيميائية وسعى للاستفادة منها[3].

ومع البداية القوية للكيمياء والعناية التي حظيت بها من طرف الخاصة إلّا أنّها لم تلق اهتماما كبيرا من طرف الذّمّيين كونها لم تكن بأهمية الطب الدنيوية ولم تدر فوائده المادية والسياسية، ومع ذلك على يد هؤلاء وغيرهم كانت الانطلاقة لتطوير هذا العلم ليتمّ المسلمون ذلك بعدما صقلوه وفق حضارتهم.

ثالثا: موقفهم من الإسلام.

وقف غير المسلمين اليهود والنصارى[4]، موقف المعارض الكاره والمعادي للإسلام منذ أيامه الأولى الأولى فعملوا على محاربته بما استطاعوا، فقد رأوا فيه منافسا لهم ومحاربا لمصالحهم الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في شبه الجزيرة العربية التي كانوا مسيطرين عليها خاصة من الناحية الاقتصادية[5]، فتوحّدوا لوأده في مهده متحالفين مع أعداء الإسلام من وثنيي العرب[6]، وإن لم تورد المصادر التاريخية عداوة ظاهرة للنصارى للإسلام في أيّامه الأولى، فلكونهم كانوا أقلية في شبه الجزيرة العربية، ولم يكن لهم نفوذ ظاهر بها كاليهود[7]، ويستشف ذلك من استنجاد المسلمين بالحبشة المسيحية، فقد وجّههم إليها النبيّ ﷺ لعدل ملكها وليس لكونه مسيحيا، كما أنّ حاشيته المسيحية لم تثبت نصرتها للمسلمين، وانتصر النجاشيّ بمفرده لمهاجري المسلمين[8]، وأكثر من ذلك أوردت

---

(1)- ابن خلكان: المصدر السابق، ج2، ص 224؛ أبو ريان محمّد: المرجع السابق، ص 49؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج12، ص 373؛ حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، 1941، ج2، ص 1526.

(2)- الصفدي: المصدر السابق، ج13، ص 164.

(3)- خالد يوسف صالح: حركة الترجمة في بلاد الشام في العصر الأموي، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج11، ع1، كلية التربية الأساسية، العراق، 2011، ص 243.

(4)- ذكرنا هنا اليهود والنصارى فقط كونهما النحلتين اللّتين احتكتا بالإسلام عند ظهوره في شبه الجزيرة العربية قبل نحل بلاد فارس والعراق وغيرهما.

(5)- جميل عبد الله المصري: أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري السابع الميلادي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، (د ت)، ص 58.

(6)- جميل عبد الله المصري: المرجع السابق، ص 59.

(7)- جميل عبد الله المصري: المرجع نفسه، ص 59.

(8)- أكرم ضياء العمري: المرجع السابق، ج1، ص 174.

بعض المصادر أنّ النجاشيّ كادت تحدث ضده ثورة لنصرته للمسلمين، وشكاً في مفارقته للنصرانية واعتناق الإسلام[1].

فالعداء كان عاما من طرف اليهود والنصارى والوثنيةين، مع تفاوت في هذا العداء، ومع ذلك لما مكّن الله تعالى لرسوله ﷺ وأمكن منهم، وادعهم وجعلهم من رعايا دولته وفي ذمّته وذمّة المسلمين، وفضّلهم ﷺ على الوثنيين، وأصبحوا بعده في ذمّة خلفائه، ولكنهم استمروا في عدائهم للإسلام وأهله بكل ما أتيح لهم من أسباب ممكنة، فكانوا شوكة قوية في طريق الدعوة الإسلامية، وخاصة اليهود، الذين فعلوا كل ممكن للقضاء على الإسلام في مهده[2]، إلى أن أجلاهم النبيّ ﷺ وصحابته ﵃ أجمعين من بعده من الجزيرة العربية[3]، فاستوطنوا مختلف الأمصار الإسلامية المفتوحة ومنها ما كان قاعدة لهم قبل الإسلام كمصر والشام، ومنها وفيها استمروا في مكرهم ودسائسهم الرامية إلى تقويض الإسلام في العهد الراشديّ (11-40هـ/633-661م)، والسعي الحثيث إلى وقف تقدمه في الشام والعراق ومصر ومختلف الأمصار الأخرى، وبفعل عدائهم الشديد فقد كان هذا التقدم محفوفا بالمخاطر الفكرية، لأنّه كان يواجه مللا محرّفة (اليهودية والنصرانية)، وأفكارا عقلية منحرفة (اليونانية)، ووضعيّة وثنيّة (الفارسية والهندية)، تكن له العداء، وعلى دراية كبيرة بسبل التوغل والمكر والتدليس، استغلوها في استعمال طرق جديدة أكثر خطورة بعد أن فشلت المواجهة العسكرية المباشرة وصارت الغلبة للمسلمين عليهم، وصاروا تحت سلطتهم.

فأصبح أسلوبهم التوغل الفكري وإثارة الفتن والشبهات وإذكائها بين المسلمين[4]، فشجّعوا حركة الردة بعد النبيّ ﷺ مباشرة في خلافة أبي بكر الصديق ﵁ (11-13هـ/633-635م)[5]، وفي هذا العهد نجد دخول عنصر آخر من غير المسلمين في مسرح الأحداث والعداء للإسلام وهم المجوس الفرس الذين قاوموا الإسلام مقاومة شديدة، ولم ينته شرهم حتى بالقضاء على دولتهم في فارس نهائيا في خلافة الخليفة الراشديّ الثالث عثمان بن عفان ﵁ (23-35هـ/644-656م) سنة (30هـ/651م)، بل استمروا في كيدهم يقول الفقيه والأديب ابن حزم الأندلسيّ الظاهريّ (ت456هـ/1063م): "...أنّ

[1]- ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي، مصر، 1955، ج1، ص 341.

[2]- جميل عبد الله المصري: المرجع السابق، ص 74-167.

[3]- البلاذري: المصدر السابق، ص 37؛ ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ج1، ص 389.

[4]- أنور الجندي: المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية، ط2، دار الاعتصام، مصر،1977، ص 194؛ جميل عبد الله المصري: المرجع السابق، ص 140.

[5]- جميل عبد الله المصري: المرجع نفسه، ص 175.

الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم حتّى أنّهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء وكانوا يعدّون سائر الناس عبيدا لهم فلمّا امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطرا تعاظمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتّى..."[1].

فيفهم من هذا أنّهم على شاكلة أهل الكتاب استكبارا وكرها للمسلمين، وسعيا لاجتثاثهم بما أوتوا من مكر، فمن مؤامراتهم الظاهرة اغتيال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ، على يد أبي لؤلؤة المجوسيّ سنة (23هـ/644م)[2]، واستمر بعده العداء والمكر في خلافة عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب (35-40هـ/656-660م) ﷺ أجمعين حيث ظهر أحد أخبث رجالاتهم في التاريخ الإسلامي وهو عبد الله بن سبأ اليهوديّ اليمانيّ الذي غلا في علي بن أبي طالب ﷺ، فقال بأنّه إله ودعا الناس إلى القول بذلك، فتبعه بعض الجهلة في الكوفة فأحرقهم علي ﷺ، ونفى عبد الله ابن سبأ ومع ذلك استمر شره[3].

ولم تنقطع هذه الفكرة الخبيثة المقدّسة لعلي ﷺ ثمّ بنيه من بعده.

وفي العهد الأمويّ (41-132هـ/662-750م) استمر هؤلاء وهؤلاء في خبثهم وكيدهم للإسلام وأهله، فنازعوا المسلمين بمختلف الوسائل وعلى رأسها كثرة الجدال، معتمدين في ذلك على أصولهم الدينية والمناهج الفلسفية[4]، كما استعملوا أيضا أسلوبا أكثر خطورة وتأثيرا وللأسف حقّقوا به نتائج كثيرة كان لها بالغ الأثر على الإسلام والمسلمين، والمتمثل في التوغل بين المسلمين، ونشر أفكارهم المنحرفة وشبهاتهم خاصة بين الجهلة وأهل الأهواء من المسلمين، وغرسها في من تعلّم على أيديهم بعض العلوم العقلية كالطب والكيمياء والفلك، حيث تأثّر بهم هؤلاء التلامذة بالغ الأثر، مما أدّى إلى تغلغل بعض هذه الشبهات والأفكار المنحرفة في عقيدة بعض المسلمين ثمّ في أصول كثير من الجماعات والفرق الإسلامية المنحرفة التي بدأت تظهر في هذه الفترة، والتي بقي شرها وخطرها

---

[1]- ابن حزم: المصدر السابق، ط مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ت)، ج2، ص 91.

[2]- أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2009، ص 78.

[3]- المطهر بن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د ت)، ج5، ص 125؛ عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1977، ص 223؛ أكرم ضياء العمري: مرويات السيرة بين قواعد المحدثين وروايات الإخباريين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، (د ت)، ص 50.

[4]- علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط9، دار المعارف، القاهرة، (د ت)، ج1، ص 62؛ جميل عبد الله المصري: المرجع السابق، ص 295.

إلى يومنا هذا كغلاة الشيعة[1]، الذين تأثّروا بكثير من عقائد أعداء الإسلام وجعلوها دينا يتّبع كتأثّرهم بالنصارى في طبيعة المسيح ﷺ، فجاءوا بأفكار منحرفة في طبيعة أئمتهم[2]، فمنهم من جعلوا الأئمة (أئمة آل البيت من أبناء علي بن أبي طالب ﷺ) فوق الأنبياء وأضفوا عليهم صفات القدسية، وهذا من أعظم الانحرافات.

فممّا يدل على مدى أثر أهل الذّمّة وخاصة اليهود والنصارى في تفرق المسلمين ومدى مسؤوليتهم عن ذلك، أنّنا إذا رجعنا إلى أصول كثير من الفرق الإسلامية والبدع التي جاءت بها هذه الفرق نجدها أصولا خارجية تعود إلى النحل السابقة للإسلام[3]، ولا أصل لها في العقيدة الإسلامية، فأصل القول بالتعطيل (تعطيل الصفات الإلهية) والقول بخلق القرآن (مخلوق وليس كلام الله تعالى) أصله ومنشؤه يهودي، إذ يرجع إلى لبيد بن الأعصم اليهودي[4]، كما ذكر واتفق على هذا كثير من الأصوليين والمؤرخين، على سبيل المثال لا الحصر المؤرخ ابن الأثير (ت628هـ/1238م) في خضم ترجمته لأحد شيوخ المعتزلة وأصل بدعه المنكرة، والعلامة ابن كثير (ت774هـ/1373م) في ترجمته للوالي الأمويّ خالد بن عبد الله القسريّ (ت126هـ/743م) حيث اتفقا على أصل هذا الانحراف العقدي الى لبيد بن الأعصم فأوردا قائلين: "...وأخذه جهم[5] من الجعد بن درهم[6]، وأخذه الجعد من أبان بن سمعان[7]، وأخذه أبان من طالوت[1] ابن أخت لبيد الأعصم وختنه، وأخذه طالوت من

---

[1]- علي سامي النشار: المرجع السابق، ج1، ص 63؛ جميل عبد الله المصري: المرجع السابق، ص 301.

[2]- جميل عبد الله المصري: المرجع نفسه، ص 301.

[3]- مُحَمَّد باكريم مُحَمَّد: وسطية أهل السنة بين الفرق، ط1، دار الراية للنشر والتوزيع، السعودية، 1994، ص 301.

[4]- لبيد بن الأعصم: الزرقي (من بني زريق)، زنديق يهودي عاش في عهد النبي ﷺ، وكان يقول أنّ التوراة مخلوقة، ويتفق أصحاب الفرق والأصول على أنّه هو من زرع فكرة التعطيل وخلق القرآن بين جهلة المسلمين الأوائل ثم انتشرت بعد ذلك؛ ينظر ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص 149.

[5]- الجهم بن صفوان: أبو محرز السمرقندي (ت128هـ/745م)، متكلم مبتدع صاحب فرقة الجهمية المنكرة لصفات الله تعالى وأسمائه، وغيرها من الضلالات والبدع التي كان رأس القول فيها، قتله الوالي الأموي نصر بن سيار؛ ينظر الزركلي: المرجع السابق، ج2، ص 141.

[6]- الجعد بن درهم: متكلم مبتدع (ت نحو118هـ/736م)، جاء بكثير من الضلالات والبدع، منها القول بخلق القرآن، ونفي القدر، وعنه وعن أمثاله انتشرت هذه المقالة المنحرفة بين جهال المسلمين، من أشهر من أخذ عنه الخليفة الأموي الأخير مروان بن مُحَمَّد (127-132هـ/745-750م)، حتى عرف بمروان الجعدي، قتله بفعل ضلالاته الوالي الأموي خالد بن عبد الله القسري صبيحة عيد الأضحى؛ ينظر الزركلي: المرجع نفسه، ج2، ص 120.

[7]- أبان بن سمعان: وفي بعض المصادر بيان بن سمعان النهدي التميميّ (ت بداية ق2هـ/8م)، زنديق تبعته فرقة عرفت بالبيانية من غلاة الشيعة الرافضة، والتي قالت بانتقال الإمامة وروح الله من أبي هاشم عبد الله بن مُحَمَّد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب ﷺ إلى

لبيد بن الأعصم اليهودي...وكان لبيـــد يقول بخلق التوراة، وأول من صنّف في ذلك طالوت وكان زنديقا فأفشى الزندقة"[2].

وقد كان الشيعة الباب الأوسع الذي تغلغل منه أعداء الإسلام، يقول العلامة عبد الرحمن بن الجوزيّ (ت597هـ/1201م): "...فلمّا جاء نبينا ﷺ فقهر الملل وقمع الإلحاد، أجمع جماعة من الثنوية والمجوس والملحدين، ومن دان بدين الفلاسفة المتقدمين، فأعملوا آراءهم وقالوا: قد ثبت عندنا أنّ جميع الأنبياء كذبوا وتخرقوا على أممهم، وأعظم كل بليّة علينا محمّد ﷺ فإنّه تبع من العرب الطغام فخدعهم بناموسه فبذلوا أموالهم وأنفسهم ونصروه وأخذوا ممالكنا، وقد طالت مدتهم والآن قد تشاغل أتباعه، فمنهم مقبل على كسب الأموال، ومنهم على تشييد البنيان، ومنهم على الملاهي وعلماؤهم يتلاعبون، ويكفر بعضهم بعضا، وقد ضعفت بصائرهم، فنحن نطمع في إبطال دينهم، إلّا أنّه لا يمكننا محاربتهم لكثرتهم، فليس الطريق إلّا إنشاء دعوة في الدين والانتماء إلى فرقة منهم وليس فيهم فرقة أضعف عقولا من الرافضة فندخل عليهم..."[3]، ويقول المؤرخ المصريّ أحمد شلبي (ت1420هـ/2000م): "...أنّ كثيرين من أعداء الإسلام ومعتنقي المذاهب والأديان المختلفة وبخاصة اليهود دخلوا الشيعة وانتسبوا إلى آل البيت بقصد الكيد للإسلام..."[4]، إضافة إلى المعتزلة الذين تأثروا ببعض الفرق النصرانية التي قالت بحرية الإرادة الإنسانية[5].

ومن مكرهم وخبثهم أيضا في هذه الفترة المهمة والحرجة من تاريخ الإسلام، إثارة الشبهات في العقيدة الإسلامية، والتّأويلات المشكّكات في الدين[6]، بالطعن في الإسلام، وبدسّ الروايات

أبان هذا، كما قالت بنبوّته، وكان يقول بألوهية علي ﷺ وغيرها من الأقوال الكفرية الظاهرة، والتي قتله بسببها خالد بن عبد الله القسري وأحرقه بالنار؛ ينظر أبو الحسن الأشعريّ: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تصحيح: هلموت ريتر، ط3، دار فرانز شتايز، ألمانيا، 1980، ص 5؛ البغدادي عبد القاهر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1977، ص 28 و214.

[1]- طالوت: (ق1هـ/7م) زنديق أفشى الزندقة بين المسلمين وهو ابن أخت لبيد بن الأعصم، وزوج ابنته ولم نعثر له على ترجمة وافية فيما وصلنا إليه من مصادر غير ما ذكرناه في المتن.

[2]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997، ج6، ص 149؛ ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله التركي، ط1، دار هجر، بيروت، 1997، ج13، ص 147.

[3]- ابن الجوزي: المصدر السابق، ج12، ص 288.

[4]- أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984، ج2، ص 152.

[5]- جميل عبد الله المصري: المرجع السابق، ص 301.

[6]- رشيد رضا: تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، ج6، ص 390.

الموضوعة والإسرائيليات وأساطير أهل الكتاب وغيرهم من النحل الكافرة والمشركة[1] بين الأصول المتواترة للمسلمين، يقول المفكر المصريّ أنور الجندي (ت1422هـ/2002م): "وقد ذهب أغلب الباحثين إلى أنّ أكثر الأحاديث الموضوعة من الإسرائيليات إنّما وضعت عن تدبير وتخطيط وخصومة وكيد، وأنّها من عوامل الحرب الفكرية والعقائدية الضارية التي شنّها اليهود وغلاة النحل المبتدعة على الإسلام والمسلمين بكافة الوسائل من التخفي والتسلل والتمويه بقصد تمزيق وحدة المسلمين، وتلهيتهم عن دينهم القويم، وتشتيتهم عن صراطه المستقيم ويصف بعض الباحثين هذه الظاهرة بأنّها ليست إلّا حربا حقيقية لكتاب الله، أرادوا بها صرف كل من يقرأ تفسيرا من التفاسير عما يريده الله في كتابه من هداية البشر إلى حكايات وأعاجيب وأساطير تستهوي البسطاء، ثمّ تتراكم هذه الأساطير، وتعترض حركة الأفهام السليمة"[2].

وهذا كان هدفه إبعاد المسلمين عن دينهم وتشكيكهم فيه، بضرب أصوله القوية، ولم يقتصر كيد هؤلاء على ما تقدم فقط، بل كرّوا كرة هوجاء على جميع أصول الإسلام، وراموا هدم جميع أسسه، وتفكيك دعائمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حيث بدأ هذا يظهر في زمن المتأخرين من الصحابة ﷺ، حيث بثّوا شبههم وشركياتهم، فأثّروا في كثير من جهلة المسلمين، فبدأت تظهر الأفكار والفرق المنحرفة كالقدرية، وهي القول بنفي القدر، التي أخذها معبد الجهنيّ[3] عن سوسن[4] النصرانيّ[5].

فأول من أحدث القول بهذا في الإسلام هو رجل من أهل العراق يقال له سيبويه البقّال، ويسميه البعض السوسن، ويكنى أبا يونس، كان نصرانيا ثمّ أسلم ثمّ تنصّر، ولم يكن له تبع على هذا الرأي في البداية سوى الملاحين، ثمّ أخذ عنه معبد الجُهَنِيُّ، فدعا الناس إلى هذه المقالة فأخذ عنه

[1]- عبد الله بن عبد الرحمن الجلابوع: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية من الأفكار الهدامة، ط1، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 2003، ج1، ص 127.

[2]- أنور الجندي: الإسلام والدعوات الهدامة، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972، ص237.

[3]- معبد الجهني: البصري (ت80هـ/699م) متكلم عاصر التابعين انتقل إلى المدينة المنورة ونشر فيها أفكاره من الأوائل القائلين بنفي القدر؛ ينظر الزركلي: المرجع السابق، ج7، ص 264.

[4]- سوسن: سوسن النصرانيّ (ق1هـ/7م) من القائلين بنفي القدر ولم نجد له ترجمة وافية فيما بين أيدينا من مصادر إلا ما تقدم ذكره.

[5]- عبد الله بن عبد الرحمن الجلابوع: المرجع السابق، ج1، ص 130.

غيلان[1] الدمشقيّ، والذي اشتهر بالدعوة إلى هذه المقالة المبتدعة المنحرفة (القول بنفي القدر) في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/718-720م)[2]، فقد أخرج الفقيه والمحدث اللالكائيّ هبة الله الطبريّ الرازيّ الشافعيّ (ت418هـ/1027م) وغيره من العلماء عن الإمام عبد الرحمن الأوزاعيّ (ت157هـ/774م) رحمة الله عليهم أجمعين قال: "أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن، كان نصرانيا فأسلم ثمّ تنصّر فأخذ عنه مَعْبَد الْجُهَنِيُّ وأخذ غيلان عن معبد"[3].

وقد وقف لهم العلماء والحكام المسلمون في هذه الفترة بالمرصاد، تأسّيا بالنبيّ ﷺ وصحابته رضي الله عنهم أجمعين في محاربة البدع والشبهات والتدليس، بدون هوادة، فبغضوا هذه الأفكار وخافوا على المسلمين من شرها وحذّروا من أثرها، قال التابعي الجليل مَكحول الشاميّ (ت112هـ/730م): "حسيب غيلان الله، لقد ترك هذه الأمة في لُجَجٍ مثل لُجَجِ البحار"[4]، وقال مَكحول أيضا: "ويحك يا غيلان ركبت بهذه الأمّة مضمار الحَرُورِيّة[5]، غير أنّك لا تخرج عليهم بالسيف، والله لأنا على هذه الأمة منك أخوف من الْمُزَقِّقِينَ أصحاب الخمر"[6]، فالشبهات والانحرافات الأصولية خطرها أعظم بكثير من خطر الانحرافات السلوكية، والتهاون بالعبادات والمعاملات الشرعية، لذلك حذّر منها العلماء الربانيون لعلمهم بنتائجها وانعكاساتها على عقيدة المسلمين.

---

[1]- غيلان الدمشقي: هو غيلان أبو مروان بن مسلم بن أبي غيلان الدمشقي، كاتب ومتكلم مبتدع، من أشهر من تكلم في القدر والذي أخذه عن المبتدع معبد الجهنيّ، تتركز أفكاره في إنكار القدر، وإنكار خلق الله لأعمال البشر التي فيها معصية لله سبحانه وتعالى، قتله الخليفة الأمويّ هشام بن عبد الملك لمقالته هذه بعد عام (105هـ/724م)؛ ينظر الزركلي: المرجع السابق، ج5، ص 124؛ فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، ترجمة: محمود فهمي حجازي، جامعة الإمام مُحَّد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1991، مج1، ج4، ص 17.

[2]- ابن بطة العكبري: الإبانة الكبرى، تحقيق: رضا معطي وآخرون، دار الراية للنشر والتوزيع، السعودية، (د ت)، ج3، ص 146.

[3]- اللالكائي: شرح أصول أهل السنة والجماعة، تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي ، ط8، دار طيبة، السعودية، 2003، ج4، ص 827؛ ابن بطة العكبري: المصدر السابق، ج4، ص 298.

[4]- ابن بطة العكبري: المصدر السابق، ج4، ص 300.

[5]- الحرورية: أو المحكمة الأولى فرقة من فرق الخوارج المارقة سمّوا به بعد خروجهم على الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وقعة صفين سنة (38هـ/659م)، في أحداث الفتنة الكبرى، والتجائهم إلى موقع قرب الكوفة يعرف بحروراء فنسبوا إليه، وهي أول فرقة من فرق الخوارج ظهورا، كانت بيّنة الضلالة والمروق، فقد كفروا عليا وعثمان وأصحاب واقعة الجمل ومن رضي بالتحكيم في صفين رضي الله عنهم أجمعين، ويكفرون مرتكب الكبيرة، إلى غير ذلك من الضلالات التي جنت على الأمة الويلات منذ ظهورهم إلى يومنا هذا؛ ينظر الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص 130-131؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص 245.

[6]- ابن بطة العكبري: المصدر السابق، ج4، ص 300.

نستنتج في الأخير أنّ أهل الذّمّة هم غير المسلمين دون استثناء، الذين يحيون بين المسلمين في سماحة وحرية، مقابل الالتزام بعقود واضحة، تحفظ حقوقهم ولا تثقل كاهلهم، والتي التزم بها المسلمون خاصة وعامة منذ أيام الإسلام الأولى تأسّيا بالنبيّ ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين، وما شذ عن القاعدة، فيمثل صاحبه وليس الإسلام، فالعبرة بالمنهج وليس بالأشخاص، هذه السماحة والرحمة والحرية مكّنت الذّمّيين من الولوج إلى أغلب مناحي الحياة، إلّا ما منعهم منه عقد ذمتهم، فمارسوا مختلف الأنشطة، وعلى رأسها النشاط العلمي الذي كانت له آثار متباينة على المسلمين.

الفصل الثاني: دور أهل الذّمّة في حركة الترجمة في القرنين (2-3هـ/8-9م):

1- ظهور حركة الترجمة.

2- مجالات حركة الترجمة.

3- كبار المترجمين الذميين.

4- نتائج حركة الترجمة.

الفصل الثاني: دور أهل الذّمّة في حركة الترجمة في القرنين (2-3هـ/8-9م):

تميزت الحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات بأنّها لم تكن حكرا على المسلمين دون غيرهم من أهل الأديان الأخرى، ولم تكن نتاج ملّة أو جنس معين، وإنّما تشارك فيها كل مكونات الدولة الإسلامية على اختلاف أديانهم وأجناسهم ولغاتهم، حيث انصهرت جميعها في بوتقة واحدة في ظلّ الحكم الإسلامي العادل السمح الذي استوعب الجميع تحت مظلته، وأتاح للجميع الفرصة للتفكير والإبداع والإنتاج والتعبير عن أفكارهم في حرية تامة، ومن بين أبرز مظاهر هذه الحضارة التي ساهم فيها الجميع حركة ترجمة العلوم التي تعتبر من أبرز المحطات العلمية والتاريخية في العالم الإسلامي عموما والمشرق بشكل خاص، وذلك للتغيير الكبير الذي أحدثته في مختلف الجوانب العلمية والدينية وحتّى السياسية، فكيف كان مبدؤها؟ وما هو دور أهل الذّمّة فيها؟ وما هي مجالاتها والعلوم التي اهتم أهل الذّمّة بترجمتها؟ ومن هم كبار المترجمين الذّمّيين وأبرز أعمالهم؟ وما هي النتائج المترتبة عنها؟.

المبحث الأول: ظهور حركة الترجمة.

قبل تبيين حيثيات تطور حركة الترجمة عند المسلمين نتطرق أولا إلى تعريف الترجمة لتوضيح ماهية هذه الحركة وتسهيل الآتي من البحث.

أولا_ الترجمة لغة واصطلاحا:

لغة: الترجمة كلمة عربية[1] تدل لغة على تَرْجَم وتَرْجُمان وتُرْجُمَان، أي بالفتح والضم وهو المفسر للّسان ومترجمه، وترجم كلامه إذا فسّره بلسان آخر[2]، فالترجمة هي ترجمة الكلام[3] وتبيينه وتفسيره بلسان آخر[4]، وتأتي الترجمة أيضا بمعنى سيرة العَلَم وتاريخ حياته ولكن هذا المعنى متأخر الظهور مقارنة مع المعنى الأول المذكور[5]، كما أنّ الترجمة بمعنى التعريف بالعَلَم لا تدخل في موضوع بحثنا.

(1)- عمر فروخ: الترجمة أو نقل الكلام من لغة إلى أخرى، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج54، ع3، مجمع اللغة العربية، سوريا، 1979، ص 612.

(2)- الجوهري: الصحاح، تحقيق: عطار أحمد، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ج5، ص 1928؛ الرازي زين الدين: مختار الصحاح، تحقيق: الشيخ يوسف، ط5، المكتبة العصرية، بيروت، 1999، ج1، ص 119؛ الزَّبيدي مرتضى: تاج العروس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الإسكندرية، (د ت)، ج31، ص 327؛ ابن الأثير مجد الدين: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: الزاوى طاهر والطناحي محمود، المكتبة العلمية، بيروت، 1979، ج1، ص 186.

(3)- الحميري: شمس العلوم، تحقيق: العمري حسين وآخران، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1999، ج2، ص 647.

(4)- أحمد رضا: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958، مج1، ص391.

(5)- عمر فروخ: المرجع السابق، مج54، ع3، ص 614.

اصطلاحا: الترجمة هي نقل الكلام من لغة إلى أخرى فترجم الكتاب نقله من لغة إلى أخرى، فسّره بلغة أخرى[1]، يقول الأديب ابن النديم البغدادي (ق4هـ/10م) عن الأديب والمترجم عبد الله بن المقفع (ت142هـ/759م): "وكان أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي مضطلعا باللغتين فصيحا بهما" وهو يشير هنا إلى كونه مترجما من الفارسية إلى العربية[2].

ثانيا_ بواكير الترجمة:

من خلال التعريف يظهر لنا أنّ الترجمة هي نقل الكلام أو مختلف الوثائق من لغة إلى أخرى، وجوهر بحثنا هو ترجمة الوثائق العلمية وتاريخها وروادها في الحضارة الإسلامية.

فالترجمة بمفهومها العام في الحضارة الإسلامية تعود جذورها إلى عهد النبي ﷺ، من ذلك أمره بعض صحابته ﷺ بتعلّم بعض اللغات لفهم ما يصله من كتب، فقد روي عن الصحابي الجليل زيد بن ثابت ﷺ (11ق هـ-45هـ/611-665م) قال: "قال لي رسول الله ﷺ: «تُحْسِنُ السُّرْيَانِيَّةَ[3]؟ إِنَّهَا تَأْتِينِي كُتُبٌ» قلت: لا قال: «فَتَعَلَّمْهَا» "فتعلمتها في سبعة عشر يوما"[4]، وقال ﷺ له أيضا: "«يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي» قال زيد: فتعلمت له كتابهم، ما مرّت بي خمس عشرة ليلة حتى حَذَقْته وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأجيب عنه إذا كتب"[5]، وهذا من

(1)- أحمد مختار عبد الحميد وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، 2008، ج1، ص 288-289؛ سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، ط2، دار الفكر، دمشق، 1988، ص 49.

(2)- ابن النديم: الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1997، ص 150.

(3)- السريانية: أو الآرامية هي لغة نصارى الشام والعراق وفارس، كان مبدؤها بلاد ما بين النهرين، اشتقت من اللّغة الآرامية التي ظهرت بالمنطقة واشتقت منها عدة لغات أبرزها السريانية، والتي عمّت المشرق وأصبحت لغة الدين والعلم، ومع نهاية القرن (7هـ/13م) تراجع استعمالها وانحصرت في بعض المناطق بالعراق والشام؛ ينظر إبراهيم خليل: مُحَمَّد في التوراة والإنجيل والقرآن، دار المنار، مصر، 1989، ص 141؛ كامل مراد وآخران: تاريخ الأدب السرياني من نشأته إلى العصر الحاضر، دار الثقافة، القاهرة، 1987، ص 23-26.

(4)- أحمد بن حنبل: المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001، حسن صحيح، مسند الأنصار، الحديث 21587، ج35، ص 463؛ الترمذي: السنن، تحقيق: أحمد شاكر وآخران، ط2، شركة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1975، أبواب: الاستئذان والآداب، باب: ما جاء في تعليم السريانية، ح2715، ج5، ص 68.

(5)- حديث حسن صحيح، أحمد بن حنبل: المصدر السابق، مسند الأنصار، ح21618، ج35، ص 490؛ أبو داود: السنن، تحقيق: مُحَمَّد عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د ت)، كتاب: العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب، ح3645، ج3، ص 318؛ الترمذي: المصدر السابق، أبواب: الاستئذان والآداب، باب: ما جاء في تعليم السريانية، ج5، ص 67؛ الطبراني: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1994، أبو الزناد عن خارجة بن زيد بن ثابت، ح4857، ج5، ص 133.

أجل فهم كتب غير المسلمين، وكل ما يصدر عنهم من معاملات مختلفة تهم المسلمين للتعامل معهم ودفع شرهم المتوقع، كما يدخل في الاهتمام بالعلم النافع الذي هو من أبرز أسس الإسلام[1].

ثمّ استمر تطور الترجمة مع تطور الحضارة الإسلامية واتساعها في بداية الدولة الأموية (41-132هـ/661-750م) كما بيّنا في الفصل الأول، ولكن بقيت في إطار الترجمة الأدبية بترجمة الوثائق والدواوين إلى اللغة العربية منذ عهد الخليفة الأموي الخامس عبد الملك بن مروان (65-86هـ/685-705م) بهدف إزالة النفوذ الأجنبي من مؤسسات الدولة الإدارية والمالية وبسط نفوذ الدولة على كل المجالات[2]، وإعلاء لغة القرآن[3]، وبدأت قبل هذه العملية بوقت قصير ترجمة محتشمة للكتب العلمية، فقد كانت مبادرة منفردة لا تندرج ضمن حركة منظمة للترجمة ولم تلق عناية ودعما ملحوظين من طرف الدولة، فقد ترجم في عهد الخليفة الأموي الرابع مروان بن الحكم (64-65هـ/684-685م) الطبيب اليهودي البصري ماسرجويه (ق1هـ/7م) كتاب "الكناش" من السريانية إلى العربية وهو أقدم كتاب في الطب مترجم إلى لعربية[4] للطبيب والقس أَهْرُن بن أعين السكندري (ق1هـ/7م)[5] وهذه أول ترجمة للكتب العلمية في التاريخ الإسلامي ولكنها منفردة غير مدعّمة من طرف الدولة فيما وصلنا إليه من مصادر.

وبموازاة ترجمة الدواوين في الدولة الأموية بدأت الترجمة العلمية بترجمة كتب الحضارات السابقة إلى اللغة العربية للاستفادة منها في تطوير مختلف العلوم، وأول من بدأ هذه الحركة وشجّعها الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (ت85هـ/704م)، فهو أول من شجّع ترجمة الكتب العلمية[6]

---

[1]- عبد الحليم محمود: موقف الإسلام من الفن العلم والفلسفة، ط2، دار الرشاد، القاهرة، 2003، ص 89؛ علي بن إبراهيم النملة: النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، ط3، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، 2006، ص 91.

[2]- عبد الجبار السامرائي: حركة التعريب في عصر عبد الملك بن مروان (65-86هـ/684-705م)، مجلة سر من رأى، مج3، ع8، جامعة تكريت، العراق، 2007، ص 63.

[3]- علي مُحَّد الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الإنهيار، ط2، دار المعرفة، بيروت، 2008، ج1، ص 656.

[4]- فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، ترجمة: حجازي عبد الله، جامعة الملك سعود، السعودية، 2009، مج3، ج1، ص 5.

[5]- ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص61؛ ابن النديم: الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1997، ص 358؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط2، دار الشرق، بيروت، 1992، ص 112؛ العمري شهاب الدين: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط1، 2002، ج9، ص 384؛ الديوه جي سعيد: بيت الحكمة، ط2، مؤسسة دار الكتب، الكويت، 1972، ص 10.

[6]- الجاحظ: البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2002، ج1، ص 267؛ حلمي مصطفى مُحَّد: منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص 63.

واهتم بطلب علم الكيمياء التي تميز بها كما اهتم بغيرها من العلوم[1]، يقول عنه الأديب ابن النديم البغدادي (ق4هـ/10م): "كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان...وله همة ومحبة للعلوم خطر بباله الصنعة فأمر بإحضار جماعة من الفلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللّسان اليوناني والقبطي إلى العربي وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة..."[2]، وقال عنه أيضا: "...وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء..."[3] وابن النديم يقصد بقوله: "وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة"، أول ترجمة للكتب العلمية، لأنّه كما رأينا أنّ الترجمة بشكلها العام عند المسلمين كانت منذ أيام الإسلام الأولى في عهد النبي ﷺ.

وعبارة ابن النديم المذكورة، والتي سبقه إليها الأديب والمتكلم الجاحظ البصري (ت255هـ/869م) بقوله: "وكان خالد بن يزيد بن معاوية...كثير الأدب وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء"[4]، إضافة إلى بعض المعطيات الأخرى، جعلت بعض المؤرخين يرون أنّ هذه هي بداية حركة حركة الترجمة عند المسلمين بترجمة كتب العلوم المختلفة على يد الأمير خالد بن يزيد، ويبعث على الخلاف في تاريخ بدء تاريخ الترجمة عند العرب والمسلمين، وقالوا أنّ في تاريخها رأيين، أولهما يراها منذ عهد النبي ﷺ، وثانيهما يقول أنّها بدأت على يد خالد بن يزيد في العهد الأموي، ولكن لا يوجد في القولين المذكورين وما وافقهما لما يشير إلى أنّ بداية الترجمة بشكل عام كانت في عهد خالد بن يزيد، فإن كان كلام ابن النديم يحتاج إلى توضيح، فإنّ كلام الجاحظ مباشر وجلي بأنّ خالد بن يزيد أول من ترجم الكتب العلمية وليس كل الوثائق، فالقضية جلية ولا تحتاج إلى آراء وترجيح، فالترجمة العامة عرفها العرب منذ وقت مبكر[5]، كالتي تعاملوا بها في التجارة والأمور الدينية، فقد ثبت درايتهم بالعبرية فبعضهم كان يكتب التوراة بالعربية والعبرية[6]، كما نجد دلائل قوية على تراجم عربية قديمة دلت عليها

[1]- البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق: إحسان عباس، جمعية المستشرقين الألمانية، بيروت، 1979، ج5، ص 360؛ المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: داغر أسعد، دار الهجرة، إيران، 1989، ج4، ص 169.

[2]- ابن النديم: المصدر السابق، ص 300.

[3]- ابن النديم: المصدر نفسه، ص 434.

[4]- الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص 267.

[5]- يحيى وهيب الجبوري: الكتاب في الحضارة الإسلامية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 128؛ عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1983، ص 272.

[6]- أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة، مكتبة العبيكان، السعودية، (د ت)، ص 320.

عليها المصادر وقد كانت للإنجيل في العصر الجاهلي منها ما تم في أنطاكية ونقلت إلى القدس[1]، كما نقل الكاتب والمؤرخ عبد الملك بن هشام الحميري (ت213هـ/828م) في سيرته النبوية الشهيرة طرفا من ترجمة للإنجيل تتعلق بالبشارة بمحمد ﷺ[2]، ويظهر أنّها ترجع إلى هذه الترجمة أو نسخ منها[3]، كما ذكر الأديب والمؤرخ ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة (276هـ/890م) في كتابه "عيون الأخبار" بعض العبارات من الإنجيل قرأها بنفسه حيث يقول: "وقرأت في الإنجيل..." [4]، وأكيد أنّها ترجمة قديمة للإنجيل كونه لم يثبت عنه درايته بغير العربية، كما أنّ الإنجيل وأكثر الكتب الدينية لم تردنا دلائل على ترجمتها في هذه الفترة (حتى القرن 3هـ/9م) بعد، كما سنرى في ثنايا البحث، كما أنّ طبيب العرب الشهير في الجاهلية والإسلام الحارث بن كلدة الثقفي (ت ق1هـ/7م)، تعلّم ببلاد فارس في مدرسة جنديسابور وحاور ملك الفرس كسرى محاورة علمية طويلة[5]، ومع مجيء الإسلام بدأت الترجمة منذ أيامه الأولى، من ذلك أنّه بيد الباحثين وثيقة حساب على ورق البردي تعود إلى خلافة عمر بن الخطاب سنة (22هـ/643م) مكتوبة بالعربية ويليها النص نفسه باليونانية[6]، أمّا ترجمة العلوم المختلفة فكانت على يد الأمير خالد بن يزيد بن معاوية في العهد الأموي، فهل يعقل أن لا تكون هناك ترجمة للوثائق (رسائل، معاهدات...الخ) إلى ما بعد سنة (65هـ/685م)، (وهي السنة التي أزيح فيها الفرع السفياني الذي ينتمي إليه خالد بن يزيد عن الخلافة واستأثر بها الفرع المرواني، ومنها بدأ خالد بن يزيد الاهتمام بالعلوم)، إذن كيف كانت تتعامل الحكومات الإسلامية منذ عهد النبي ﷺ ثمّ الخلفاء الراشدون والخلفاء الأمويون الأوائل مع القوى الخارجية؟، وكيف كانت تبرم وتفهم الوثائق المختلفة لو لم تكن هناك ترجمة؟!، كما نتساءل كيف كان يتعامل ويتواصل العرب في جاهليتهم مع أسواقهم التجارية الشهيرة في بلاد فارس والروم والحبشة وغيرها؟!.

---

[1]- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة: السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، ط3، دار المعارف، القاهرة، (د ت)، ج4، ص 90.

[2]- ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخران، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1955، ج1، ص 233.

[3]- كارل بروكلمان: المرجع السابق، ج4، ص 90.

[4]- ابن قتيبة: عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج2، ص 295.

[5]- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: رضا نزار، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د ت)، ص 162؛ القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: شمس الدين إبراهيم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص 125.

[6]- فؤاد سزكين: المرجع السابق، ترجمة: حجازي عبد الله وآخرين، ط1، 2002، مج5، ص 24.

ونجد من خاصة المسلمين الذين استكملوا جهود الترجمة بعد الأمير خالد بن يزيد الخليفة الأموي الثامن عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/718-720م) الذي عني بترجمة الكتب العلمية المفيدة خاصة في الطب، حيث قرّب إليه واستعان في خلافته بأحد علماء الإسكندرية بعد أن أسلم على يديه التابعي الجليل والطبيب عبد الملك بن أبجر الكناني[1].

ويأتي بعده الخليفة الأموي العاشر هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-743م) الذي اهتم بترجمة العلوم المفيدة ولكن باحتشام ملحوظ بناء على ما وصلنا إليه من مصادر، وما أشار إليه أكثر الباحثين في تاريخ الترجمة عند المسلمين، كون الأمويين كانوا في طور بناء دولتهم، والقضاء على مختلف الفتن التي تكالبت عليهم تباعا، فاهتموا بالسياسة أكثر من العلوم الأخرى[2]، فنجد أنّه اهتم بترجمة بعض المصنفات السياسية التي تعنى بشؤون الملك والحكم فترجمت له بعض رسائل "أرسطو[3] إلى الإسكندر"[4]، وكتاب آخر يتناول تاريخ ملوك الفرس ونظمهم السياسية والذي نقل له من اللغة الفارسية إلى العربية[5].

وفي العهد العباسيّ (132-656هـ/750-1258م) انفتح باب ترجمة العلوم على مصراعيه حيث غدا الاهتمام بمختلف العلوم وتطويرها سمة مميزة للعباسيين خاصة في العصر العباسيّ الأول (132-232هـ/750-847م) حيث غدت ترجمة العلوم حركة علمية منظمة وقوية، كونها صارت عمل مؤسسات رسمية تهتم بها، وسياسة علمية قائمة تتبناها الدولة فتطورت تباعا منذ عهد الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور (136-158هـ/754-775م) الذي بموازاة اهتماماته الدينية والدنيوية الكثيرة، عني بالمترجمين وبترجمة الكتب الأجنبية إلى العربية من مختلف اللغات والعلوم[6].

وفي عهد الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد (170-193هـ/787-809م) تطورت الترجمة

[1]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 171.

[2]- علي محمّد الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ط2، دار المعرفة، بيروت، 2008، ج2، ص 275-276؛ صادق المخزومي: الإسلام والمسيحية، ط1، دار الرافدين، بيروت، 2016، ص 379.

[3]- أرسطو: أرسطو طاليس فيلسوف يوناني شهير (384-322ق م) تتلمذ للفيلسوف أفلاطون ومن تلامذته الأسكندر الأكبر يلقب بالمعلم الأول لسبقه الفلسفي كالمنطق الفلسفي المعروف بالمنطق الأرسطي، وهو أكثر من اهتم به الفلاسفة المسلمون الأوائل وبترجمة كتبه وتقليد مذهبه الفلسفي؛ ينظر الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق: محمّد بن فريد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2003، ج2، ص 114.

[4] - ابن النديم: المصدر السابق، ص 149.

[5] - المسعودي: التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، (د ت)، ص 93؛ الكردي سعد محمّد: نظرة في حركة الترجمة ونقل العلوم عند العرب في القرنين (1و2هـ)، مجلة المعرفة، ع398، وزارة الثقافة، سوريا، 1996، ص 156.

[6] - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 183.

أكثر، وكثر عدد المترجمين في بغداد وراج سوق العلم والتأليف فأنشأ بيت الحكمة (سنأتي إليها لاحقا إن شاء الله تعالى) لتكون بمثابة أكاديمية علمية يجتمع في رحابها المترجمون وغيرهم، وحرص على تزويدها بالكتب المفيدة التي نقلت من كل مكان استطاع الوصول إليه بالفتح أو المراسلة.

ويعتبر عهد الخليفة العباسي السابع المأمون (198-218هـ/814-833م)، العصر الذهبي لحركة الترجمة، لما بذله من إمكانيات في سبيل ترجمة العلوم المختلفة، فتطورت الترجمة نوعا وكمّا، حيث اهتم بعلوم جديدة لم تكن تترجم من قبل على رأسها الفلسفة[1]، وازدهرت في عهده بيت الحكمة أكثر، فقد وسّع المأمون من نشاطها بما يساعد أهل العلم وكل العاملين بها، وضاعف اهتمامه بالمترجمين وقرّبهم إليه وأشاع جوا من الحرية العلمية والفكرية سمحت برواج مختلف الأفكار وما تلاها من رواج لمصنفات تمثل هذه الأفكار، ثمّ استمر نشاط الترجمة من بعد المأمون ولكن لم يرق إلى ما كان عليه من قبل إلى أن أفل نجمها بعد النصف الثاني من القرن (4هـ/10م).

ثالثا_ دوافع حركة الترجمة:

بدأت الترجمة عند المسلمين كضرورة سياسية وأمنية، ثمّ تطورت إلى حركة قوية شغلت وقتا وجهدا وكلّفت إمكانيات ضخمة جدا متركزة في ترجمة التراث العلمي للحضارات الأخرى، فصارت أحد أبرز المحطات العلمية في التاريخ الإسلامي، وقد أوصلها إلى هذه الدرجة إصرار حكام المسلمين وعلمائهم الشديد على تحقيق دوافعهم من وراء الحركة وهي:

_ تأكيد الإسلام على طلب العلم والحرص عليه والسعي إليه وبذل الجهد في سبيله لأهميته الدينية والدنيوية فهو أساس ومبدأ القول والعمل[2]، فأول ما نزل من الوحي خمس آيات تتحدث حول قضية واحدة تقريبا هي قضية العلم[3] قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴿1﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴿2﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴿3﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴿4﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴿5﴾﴾ العلق1-5؛ وهذا الحث على العلم والتعلم لا نجد له نظيرا في تاريخ البشرية جمعاء، كما يعتبر العامل الرئيسي في انبعاث الحركة العلمية بشكل عام[4]، فكان لابد على المسلمين من سلك سبل طلب العلم

---

(1) – عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، اعتنى به: هيثم جمعة هلال، ط1، مؤسسة المعارف، بيروت، 2007، ص 518.

(2)– البخاري: صحيح البخاري، تحقيق: الناصر محمّد، ط1، دار طوق النجاة، بيروت، 2001، باب: العلم قبل القول والعمل، ج1، ص 24.

(3)– راغب السرجاني: العلم وبناء الأمم، ط1، مؤسسة إقرأ، القاهرة، 2007، ص 8.

(4)– مفتاح يونس الرباصي: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول، ط1، جامعة7 أكتوبر، ليبيا، 2010، ص 55.

المختلفة بما فيها ترجمة العلوم، ومع اتّساع الدولة وضمّها لحضارات وثقافات عديدة واقترابها من أخرى تمتلئ خزائنها بمتون العلم، سَهُل الوصول إلى الكثير من المعارف ولم يبق سوى ترجمتها إلى العربية في أقرب وقت ممكن للاستفادة منها في بناء الحضارة الإسلامية.

ـ الجدل الديني الذي استعر مع أصحاب النحل المختلفة أوجب في نظر بعض المسلمين الأوائل التسلح بسلاح خصومهم من فلسفة ومنطق ليجادلوهم جدالا علميا مفحما، ردّا على ما أثاروه من شبهات[1] والوصول إلى هذه العلوم الفلسفية الأجنبية يمر حتما عبر الترجمة.

ـ حاجة المسلمين الملحّة للعلوم النافعة التي لم تكن من اهتمام العرب قبل الإسلام كالرياضيات والفلك، ولها علاقة مباشرة ببعض أولويات الدين والدنيا، فقد أوجب الإسلام فروضا مرتبطة بالوقت كالصلاة، فاضطروا لهذه العلوم لتسهيل حساب الأوقات وأداء صحيح لعباداتهم، فكان عليهم الاستعانة بإنتاج الحضارات الأخرى في هذا المجال[2]، لذلك نجدهم اهتموا بالعلوم العقلية التي تساهم في الدين والدنيا بشكل خاص، خاصة في بداية حركة الترجمة، لذلك نجدهم أعرضوا عن كتب الأدب حيث يقول المفكر عبد الرحمن بدوي (ت1422هـ/2002م) في هذا الشأن: "فلعلّ ترجمة كتب أرسطو أن تكون قد نشأت بالضرورة عن حاجة عملية كذلك وإلّا فإنّه إذا كانت المسألة مسألة حماسة للعلم ورغبة خالصة في تحصيله فحسب لكان هوميروس وأصحاب المآسي من بين من ترجمت كتبهم أيضا ولكن الواقع أنّ الناس لم يحفلوا بها ولم يشعروا بحاجة إليها"[3]، فالحاجة إذن كانت لما يساهم في بناء الدولة الوليدة، حتّى العلوم كالفلسفة والمنطق كانت ضرورية لرد الشبهات ومجادلة المخالفين (هذا تعقيب على اقتباسنا من عبد الرحمن بدوي وشرح لكلامه وليس تبريرا لمن رأى بضرورة ترجمة الفلسفة والمنطق واستعمالهما في الدفاع عن الإسلام).

ـ نشأة بعض الحكام والخلفاء خاصة العباسيين الفلسفية والكلامية، ودفاعهم عن آرائهم الفلسفية والكلامية المتبناة بشتى الوسائل الممكنة كالبرامكة[4] والخليفة المأمون الذي تأثّر بمذهب

---

(1)- عصام الدين مُحَّد علي: بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة من أواخر ق1 وحتى منتصف ق4هـ، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1986، ص 34.

(2)- عمر فروخ: المرجع السابق، ص 270.

(3) – عبد الرحمن بدوي: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1940، ص 11.

(4)- البرامكة: أسرة فارسية اشتغلت بالوزارة والولاية لخمس خلفاء عباسيين (134-187هـ/752-804م) من السفاح إلى هارون الرشيد الذي فتك بهم سنة (187هـ/804م) أولهم خالد بن برمك، اشتهرت بنفوذها وسخائها وخاصة مع أهل العلم، اختلف في سبب نكبتهم؛ ينظر ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله التركي، ط1، دار هجر، بيروت، 1997، ج13، ص 639.

الاعتزال[1]، لتتلمذه على بعض شيوخه كأبي هذيل العلاف البصري المعتزلي (ت235هـ/840م)[2] وقرّب إليه بعض المعتزلة كالمتكلم والأديب ثمامة بن أشرس المعتزلي[3] (ت225هـ/840م)، الذي يذهب بعض الباحثين إلى أنّه هو من أغراه بمذهب الاعتزال[4]، كما قرّب كثيرا من شيوخ الاعتزال ونشر عقيدتهم بما أوتي من سلطة، فلمّا قاوم أهل السنة عقيدة الاعتزال أراد نصرة هذا المذهب بالحجة والبرهان أولا، ثمّ عمد إلى القوة والاضطهاد لتثبيت عقيدة الاعتزال، وبفعل اهتمام هؤلاء بالتأويل الفاسد والفلسفة عملوا على تشجيع ترجمة كتبها إلى العربية[5].

ـ اتصال المسلمين واحتكاكهم بأمم كثيرة بعد الفتوحات الإسلامية، وقد وجدوا بين أيديهم حضارة متميزة عن حضارتهم ويمكن الاستفادة منها في بناء حضارتهم الخاصة والوليدة، فأقبلوا على نقلها إلى تراثهم ولغتهم[6].

ـ بناء مدينة بغداد عاصمة العباسيين سنة (145هـ/762م) والتي وفدت إليها مجتمعات من حضارات متعددة تباعا[7]، فكوّنت مجتمعا متعدد الثقافات من النصارى واليهود الناطقين باللغة السريانية، والفرس الناطقين بالفارسية وغيرهم من الإثنيات والأعراق المتعددة اللغات والثقافات[8]، فكان فكان لابد من بعث حركة الترجمة بقوة وبسرعة لتحقيق التجانس الثقافي بين هذه الثقافات وفي نفس الوقت الاستفادة مما نقلته من علوم.

---

[1]- المعتزلة: فرقة كلامية منحرفة ظهرت على يد واصل بن عطاء (ت131هـ/748م) أصولها تقديم العقل على النقل وتأويل النصوص عرفت عزها في عهد الخلفاء العباسيين المأمون والمعتصم والواثق لتأخذ في الأفول منذ عهد المتوكل إلى نهاية القرن (3هـ/9م) بعد أن خرج عنها أحد أبرز شيوخها أبو الحسن الأشعري (ت324هـ/936م) وفند حججها؛ ينظر الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص 48، 65؛ عبد الرحمن سالم: التاريخ السياسي للمعتزلة حتى نهاية القرن 3هـ، دار الثقافة، القاهرة، 1989، ص 334.

[2]- أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، ط1، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، 1960، ص 401.

[3]- مُحَمَّد أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000، ص 79؛ الزركلي: الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج2، ص 100.

[4]- مُحَمَّد أبو ريان: المرجع السابق، ص 79.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص 518.

[6]- عمر فروخ: المرجع السابق، ص 270؛ التميمي حيدر قاسم: بيت الحكمة العباسي ودوره في ظهور مراكز الحكمة في العالم الإسلامي، ط1، دار زهران، الأردن، 2011، ص 21.

[7]- سعيد خير الله: موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2011، ج1، ص 64.

[8]- جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د ت)، ج3، ص 549-550؛ ابن قتيبة: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، مقدمة المحقق، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992، ص 52.

ــ تطور الدولة بشكل كبير جدا فكان لزاما إعداد كوادر الدولة من الموظفين والإداريين الذين لديهم دراية بأمور المحاسبة والهندسة ومختلف شؤون التسيير، ما دفع إلى ترجمة علوم الحساب والهندسة والفلك، فكتاب "السند الهند" الهندي في الفلك والرياضيات ترجم في عهد الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور (136-158هـ/754-775م) وبأمر منه[1]، وعن طريق هذا الكتاب تطورت الأرقام عند المسلمين[2]، وكتاب "الأصول" لإقليدس[3] أشهر كتب الهندسة وقتئذ ترجم في العصر العباسي الأول (132-232هـ/750-847م) أيضا، في خلافة المنصور واهتم به العلماء والنقلة أيّما اهتمام وهو مبدأ علم الهندسة على الإطلاق[4]، حيث خطّت في هذا العصر قواعد الدولة العباسية ووضعت ركائزها.

ــ نظرة بعض المسلمين وقتئذ إلى قلّة موروثهم العلمي مقارنة بالتراث الضخم الذي تركته الأمم الأخرى كاليونان، فقد خرجوا من الجزيرة العربية مسلّحين بالإيمان والرغبة العارمة في نشر الدين الإسلامي، بيد أنّ العلوم الدنيوية كانت تنقصهم[5]، فقد كانوا في صدر الإسلام لا يعنون بشيء من العلم الدنيوي إلّا بلغتهم ومعرفة أحكام شريعتهم، وبعض المعارف الضرورية على قلتها وعلى رأسها الطب[6]، فكان لابد من استكمال هذا النقص بالاطلاع على علوم الحضارات الأخرى، وكون العلم تراكميا فلا بد من الانطلاق من حيث انتهى هؤلاء اختصارا للوقت والجهد وهذه العملية تمر حتما عبر ترجمة شاملة لهذه العلوم الضخمة بين يدي تلك الحضارات.

ــ تعجب المسلمين عامة وخاصة بموروث الأمم والحضارات السابقة، فقد أعجب بعض الخلفاء بآثار مصر كالخليفة المأمون الذي سعى إلى فتح بعض الأهرام (وهي الفتحة الوحيدة الحالية)، وقد نسجت العديد من الروايات والأساطير حول هذا الموروث المتنوع، إضافة إلى ما كان بين يدي رجالات

---

(1)- فيليب دي طرازي: خزائن الكتب العربية في الخافقين، دار الكتب، لبنان، (د ت)، ج1، ص 50.

(2)- القفطي: المصدر السابق، ص 205؛ ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل، بيروت، 1988، ج13، ص 180.

(3)- إقليدس: عالم رياضيات يوناني عاش بالإسكندرية في القرن (3ق م) لقّب بأبي وصاحب الهندسة لنبوغه فيها، له عدة مؤلفات أشهرها "الاسطروشيا" في الهندسة وسماه المسلمون "الأصول" وهو أشهر الكتب في المجال على الإطلاق عند اليونان والمسلمين، ترجم منذ عهد هارون الرشيد لقيمته العلمية؛ ينظر ابن النديم: المصدر السابق، ص 327؛ القفطي: المصدر السابق، ص 54.

(4)- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص 524.

(5)- محمّد زهير البابا: تأثير الحضارتين واللغتين اليونانية والسريانية في العلوم العربية، مجلة التراث العربي، ع71-72، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، السنة 18، 1998، ص129.

(6)- صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، تعليق ونشر: لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912، ص 47.

الثقافات الأخرى من أفكار غريبة عن الثقافة الإسلامية، فكان لابد من إيجاد سبيل لاقتحام هذه العوالم العجيبة والغامضة والمحيِّرة للمسلمين فكانت حركة الترجمة الوسيلة المثلى والسريعة لفك طلاسم هذه الثقافات المبهمة.

ـ الاهتمام الكبير لبعض الحكام المسلمين بالعلوم وحبهم الشديد لها وشغفهم بها، وتشجيعهم وإكرامهم لأهلها إلى درجة مدهشة، كالخليفة العباسي المأمون (198-218هـ/814-833م) الذي كان يعطي المترجم الشهير حنين بن إسحاق (سنذكره لاحقا في موضعه إن شاء الله) زنة ما يترجمه ذهبا مثلا بمثل[1]، ولا أدلّ على هذا أيضا من شهادة الرياضي والفلكي الشهير مُحَّد بن موسى الخوارزمي (ت بعد 232هـ/847م) عن علاقته بالخليفة المأمون: "...وقد شجعني ما فضّل الله به الإمام المأمون أمير المؤمنين مع الخلافة...من الرغبة في الأدب وتقريب أهله وإدنائهم وبسط كنفه لهم ومعونته إياهم على إيضاح ما كان مستبهما وتسهيل ما كان مستوعرا على أن ألّفت من كتاب الجبر والمقابلة..."[2]، كما أورد المؤرخ الأمريكي ول ديورانت (ت1401هـ/1981م) قصة عجيبة عن تعلّق الخليفة المأمون بالعلماء النابغين من كل الأقطار واستعداده غير المشروط لتلبية رغباتهم مقابل خدمة المسلمين، فقد وصله خبر أحد علماء الروم في الهندسة وهو ليو السلانيكي (ق3هـ/9م) وأعجب بعلمه فأرسل إليه يدعوه إلى بغداد وإلى الثراء والجاه، وعرض على الروم صلحا أبديا وألفي رطل من الذهب إذا أعاروه هذا العالم إلى أجل قصير فقط[3]، فقد كان المأمون مهتما بالعلماء وأهل العلم مشجعا لهم على التأليف والترجمة، ولا عجب أن نجد أنّ هذا الخليفة يمثل العصر الذهبي لحركة الترجمة وأحد أقوى الخلفاء في تاريخ المسلمين، فلا قوة بدون إيمان وعلم، ولم يقتصر الاهتمام على الخلفاء فقط، فقد شجعه الوزراء والكتاب والأسر العلمية الكبيرة[4]، كالوزير العباسي مُحَّد بن عبد الملك الزيات (ت233هـ/847م) الذي كان يغدق على أهل العلم بسخاء، حيث يقارب عطاؤه للنقلة والنسّاخ في كل شهر ألفي دينار، والكاتب ابن المدبر أحمد بن مُحَّد (ت258هـ/872م) الذي كان يعطي النقلة الشيء الكثير جدا[5]، والكاتب والشاعر ابن المنجّم علي بن يحيى (ت275هـ/889م) والذي كان حريصا على

[1]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 260.

[2]- الخوارزمي: الجبر والمقابلة، تقديم وتعليق: علي مشرفة وأحمد مُحَّد موسى، مطبعة بول باربيه، مصر، 1937، ص 15.

[3]- ول ديورانت: المرجع السابق، ج14، ص 182-183.

[4]- عبد الرزاق الشقيقي: عصر الترجمة والعصر الذهبي للطب العربي، مجلة التراث العربي، ع 42-43، السنة 11، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1991، ص 72.

[5]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 284.

العلم، وأقام في سبيله مكتبة ضخمة فتحها لأهل العلم وأجرى لهم فيها النفقة[1]، كما حرص على نقل كتب الطب وعلى الاهتمام بالمترجمين بشكل خاص[2]، وأسرة البرامكة الفارسية التي شغلت الوزارة للعباسيين عقودا عديدة (134-187هـ/752-804م) والتي دعّمت الحركة العلمية وخاصة الترجمة ووفّرت لها الإمكانيات الضرورية للنهوض بها[3]، وأسرة بني موسى بن شاكر[4] الذين كانوا من أهل العلم والمهتمين بأهله فكانوا يصرفون لجماعة من النقلة منهم حنين بن إسحاق وثابت بن قرة وغيرهما في الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة[5].

ـ الصراع الشعوبي الذي احتدم منذ القرن (2هـ/8م) بين العرب وغير العرب وخاصة الفرس، وصراع ثقافي بين أنصار الثقافة الفارسية وأنصار الثقافة اليونانية، وكان على كل طرف من الأجنحة المتنافسة إبراز محاسن فريقه ومثالب خصومه، فعمدوا إلى ترجمة آثارهم إلى العربية كلما وجدوها، وأكثر من ذلك انتحلوا كتبا في الصراع لإثبات آرائهم[6].

رابعا: العوامل المساعدة على تطور حركة الترجمة:

لم تكن الدوافع المذكورة كافية لإنجاح حركة الترجمة وازدهارها دون توفر معطيات مساعدة ودافعة للحركة والتي تمثلت في العوامل التالية:

ـ الحرية الدينية التي أشاعها العباسيون الأوائل، خاصة الخليفة المأمون ما أدى إلى انتشار الكلام في العقائد بما فيها الإسلام، من طرف غير المسلمين في أرض الإسلام وتأليف كتب في الرد على المسلمين فانتشرت الزندقة والأفكار المنحرفة التي نقلت من لغات النحل السابقة إلى العربية، ثمّ انبرى علماء الإسلام للرد عليهم[7].

---

[1]- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ج5، ص 2014.

[2]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 283.

[3]- ألدو ميلي: العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ترجمة، النجار عبد الحليم ومحمّد يوسف موسى، ط1، دار القلم، مصر، 1962، ص 137.

[4]- بنو شاكر: هم الإخوة محمّد وأحمد والحسن بنو موسى بن شاكر من الأسر العلمية الشهيرة في التاريخ الإسلامي، اهتموا بطلب العلوم والترجمة والمترجمين في العصر العباسي وبذلوا في ذلك الأموال الطائلة وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسة والنجوم وقد تركوا الكثير من الكتب المفيدة؛ ينظر ابن النديم: المصدر السابق، ص 332.

[5]- ابن النديم: المصدر السابق، ص 332؛ ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 260.

[6]- عبد الرحمن بدوي: الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1954، ج1، ص 8.

[7]- علي بن إبراهيم النملة: المرجع السابق، ص 66.

ـــ استقرار الأوضاع السياسية والعسكرية الداخلية والخارجية خاصة في العصر العباسي الأول (132-232ﻫ/750-847م) ما انعكس إيجابا على باقي المجالات بما فيها العلمية، فكان هو العصر الذهبي للترجمة، وهذا بفعل قوة الخلفاء وتحكمهم في كل المجالات الداخلية وهيبتهم الخارجية ما ساعدهم على الالتفات إلى الاهتمام ببناء الدولة وترسيخ أسسها الحضارية وعلى رأسها الجانب العلمي.

ـــ كثرة المدارس العلمية الغنية بتراثها العلمي في المشرق الإسلامي، والتي دخلت تحت سلطان المسلمين وتوحّدت تحت رايتهم تباعا، وهي الإسكندرية وأنطاكية وحران وجنديسابور ونصيبين وقنسرين وغيرها (سنأتي إليها لاحقا في موضعها إن شاء الله عزوجل)، وقد كانت مليئة بعلماء أهل الذّمّة من مختلف النحل التي استوعبها المسلمون وأحسنوا إليهم كما ذكرنا سابقا (راجع الفصل الأول)، وسمحوا لهم بالحفاظ على تراثهم وممارسة ثقافتهم[1]، ومع تطور الثقافة الإسلامية وتقريبها سياسيا بين هذه النحل بعدما كانت متناحرة، وبموازاة تطور اللغة العربية كان لزاما تلاقح هذه الثقافات واللغات، ومن العوامل التي سيرت العملية حركة الترجمة.

ـــ الرغبة في الحظوة عند الحكام والكسب والجاه من طرف كثير من المترجمين الذّمّيين[2]، الذين كان هدفهم جمع المال وإحراز الجوائز السنية والمناصب الرفيعة لا العلم[3]، فقد كان يندر أن يُقبِل التراجمة الذّمّيون على النقل بإرادتهم ومن تلقاء أنفسهم بل كانوا في كل الأحوال يعملون طاعة للخليفة أو رجال دولته أو أصحاب النفوذ[4] ورعاة العلوم، بعدما رأوا سخاء السلطة مع المترجمين[5] خاصة في العهد العباسي فأقبلوا على الترجمة بقوة[6] مما ساهم في تقوية الحركة أكثر.

ـــ تقوية الروابط الثقافية بعد الوحدة السياسية بين رقعة واسعة جدا تضم عدة ثقافات وأديان ولغات، منذ العهد الراشدي ثمّ الأموي وقطف ثماره العباسيون، وكان ذلك عن طريق الفتوحات، فساعد هذا الرابط السياسي على إيجاد قابلية نفسية لصهر هذه الفسيفساء الحضارية في بوتقة واحدة بعدما

(1)- ول ديورانت: المرجع السابق، ج13، ص 177.
(2)- محمّد زهير البابا: المرجع السابق، ع71-72، السنة 18، ص 129.
(3)- محمّد عبد الرحمن مرحبا: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2007، ج1، ص 313.
(4)- دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة وتعليق: محمّد عبد الهادي أبو ريدة، ط3، دار النهضة العربية، بيروت، (د ت)، ص 43.
(5)- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 188- 201-260؛ فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج1، ص 69.
(6)- علي بن إبراهيم النملة: المرجع السابق، ص 53.

فرقتها الصراعات السياسية والدينية والعرقية لقرون، فتلاقحت فيما بينها تحت راية المسلمين، وكانت الترجمة من أكبر دعائم هذا التلاقي والتلاقح[1].

ــ تطور صناعة الورق في العصر العباسي ما ساعد على رواج التأليف والنسخ ونقل الكتب[2]، فقد كانوا قبل ذلك يكتبون على الجلود المعروفة بالرقوق والألواح والجريد، وأوراق البردي (القراطيس) وبعض أنواع القماش (المهارق)، وغيره وهذه المواد صعبة الحفظ ثقيلة الوزن، مما صعّب التأليف، ولكن تغير الأمر مع دخول الورق وتطور صناعته على يد المسلمين[3]، فانخفض ثمنه وخف حمله وسهلت الكتابة فيه ويسر حفظه[4]، وفي ذلك يقول الأديب والمؤرخ القلقشندي أبو العباس (ت821هـ/1418م) في كتابه صبح الأعشى"...وبقي الناس على ذلك إلى أن تولى الرشيد الخلافة وقد كثر الورق وفشا عمله بين الناس أمر ألّا يكتب الناس إلّا في الكاغد، لأنّ الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة فتقبل التزوير بخلاف الورق فإنّه متى محي منه فسد، وإن كشط ظهر كشطه، وانتشرت الكتابة في الورق إلى سائر الأقطار، وتعاطاها من قَرُب وبَعُد، واستمر الناس على ذلك إلى الآن"[5]، ومما يدل على دور الورق في تطور الكتابة والترجمة والنسخ هو أنّ بيت الحكمة في بغداد (سنأتي إليها لاحقا في موضعها إن شاء الله تعالى) التي كانت أول وأكبر مركز للترجمة وقتئذ كانت ميزانية الورق الذي تستهلكه تشكل نسبة كبيرة جدا من مجموع ميزانيتها[6].

ــ تطور الدولة الاقتصادي الكبير جدا خاصة منذ العصر العباسيّ الأول ما وفّر للخلفاء والمهتمين بالعلوم الإمكانيات المالية الضخمة لدعم الحركة العلمية ومن ضمنها الترجمة إلى العربية التي تطلبت إمكانيات ضخمة كالإنفاق على جلب الكتب من المراكز البعيدة، وعلى المترجمين إلى غير ذلك من تكاليف العملية.

---

[1]- جوناثان ليونز: بيت الحكمة كيف أسس العرب لحضارة الغرب، ترجمة: مركز البابطين للترجمة، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، (د ت)، ص 85.

[2]- جوناثان ليونز: المرجع السابق، ص 86.

[3]- تعود بداية صناعة الورق إلى الصين ودخل منها إلى العالم الإسلامي بدءا من سمرقند ببلاد ما وراء النهر سنة (133هـ/751م) وعرف باسم "الكاغد" حيث تطورت صناعته ومنها إلى باقي الأمصار الإسلامية وعلى رأسها بغداد التي أقيم بها أول مصنع له سنة (177هـ/794م) واشتهرت بغداد بجودة صناعته؛ ينظر سعيد خير الله: المرجع السابق، ج3، ص 25.

[4]- يحيى وهيب الجبوري: المرجع السابق، ص 147.

[5]- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت)، ج2، ص 516.

[6]- ربحي مصطفى عليان: المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، ط1، دار صفاء، عمان، 1999، ص 53.

خامسا_ جذور مراكز حركة الترجمة في المشرق الإسلاميّ:

تعود جذور مراكز الترجمة التي ازدهرت في المشرق الإسلامي إلى الأمم التي سبقت الإسلام في المنطقة واشتهرت بتفوقها العلمي، وبدخولها تحت راية الإسلام حافظت على جوهرها واستمر عطاؤها العلمي[1]، بفضل السماحة الفريدة التي حظيت بها، بالرغم من أنّ أغلبها كانت مدارس لاهوتية والغلبة فيها للعلوم الدينية[2] لم يضيّق عليها من طرف المسلمين الأوائل، بالرغم من موقفهم من العقائد الفاسدة، وفي العهد العباسي كان التشجيع كبيرا للعلوم مهما كان مصدرها[3] وفحواها، خاصة في عهد المأمون (198-218هـ/814-833م)، فساهمت في حركة الترجمة وأمدت الحواضر الإسلامية بمشاهير العلماء والمترجمين، وعن هذا يعبر المؤرخ الأمريكي ول ديورانت (ت1401هـ/1981م) بقوله: "لقد كان بنو أمية حكماء إذ تركوا المدارس الكبرى المسيحية أو الصابئية أو الفارسية قائمة في الإسكندرية وبيروت وأنطاكية وحران ونصيبين وجنديسابور لم يمسوها بأذى، وقد احتفظت هذه المدارس بأمهات الكتب في مختلف العلوم...وما لبثت أن ظهرت ترجماتها إلى اللغة العربية على أيدي النساطرة المسيحيين أو اليهود، وشجع الأمراء من بني أمية وبني العباس هذه الاستدانة العلمية المثمرة"[4]، وما تجدر الإشارة إليه إليه هنا أنّ اللغة العربية لم تكن من لغات التعليم في هذه المراكز حيث لا نجد لها أثرا ملموسا، فلم تترجم مؤلفات هذه المراكز إليها[5]، وهذا راجع لاهتمام هذه المراكز بالعلوم الدينية والعقلية التي لم يكن للعرب فيها باع فلا ديانة سماوية أو وضعية بلغتهم، ومشهور عن العرب ابتعادهم قبل الإسلام وفي أيامه الأولى عن العلوم العقلية وضعفهم فيها[6]، كما أنّ تراثهم الأدبي غير مكتوب، ولم تكن هذه المراكز مهتمة به لاستغناء كل حضارة بأدبها، لهذا كانت لغات التعليم فيها هي السريانية واليونانية والفارسية، والترجمة تتم بين هذه اللغات، وببزوغ فجر الحضارة الإسلامية واهتمام المسلمين بمختلف العلوم استعانوا بعلماء هذه المدارس لخدمتهم وترجمة العلوم وتعريفهم بالعلوم الباقية من القرون الخالية، فأخذ هؤلاء يتوافدون تباعا على الحواضر الإسلامية الكبيرة التي غدت في وقت وجيز أهم من مراكزهم العتيقة التي أفل نجمها بعدما

---

(1) – علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط9، دار المعارف، القاهرة، (د ت)، ج1، ص 103؛ ألدو ميلي: المرجع السابق، ص 122.

(2) – عبد الرحمن بدوي: التراث اليوناني مرجع سابق، ص 54.

(3) – سعد محمّد الكردي: المرجع السابق، ع398، ص 156.

(4) – ول ديورانت: المرجع السابق، ج13، ص 177.

(5) – سعد محمّد الكردي: المرجع السابق، ع398، ص 156.

(6) – صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 47.

لم تستطع مقاومة إغراءات هذه المراكز الجديدة، وتنتمي هذه المدارس إلى ثلاث ثقافات هي اليونانية والرومية النصرانية في العراق والشام، والفارسية المجوسية في جنديسابور خاصة، والصابئة في حران بالعراق.

1_ مدرسة الإسكندرية[1]:

وهي أبرز مدن مصر وهي العاصمة وقتئذ، وكانت مركزا للروم البيزنطيين بالمنطقة، وهم المتحكمون فيها المتغلبون عليها، كما كانت كذلك مركزا لأهل البلاد وهم النصارى الأقباط، وعدّت من أشهر المراكز العلمية في المشرق قبل الإسلام[2]، حيث اشتهرت بعدة علوم على رأسها الفلسفة يقول عنها المؤرخ والطبيب القفطي (ت646هـ/1248م):" فلما بنى الإسكندر مدينة الإسكندرية رغّب الناس في عمارتها...فكانت دار الحكمة بمصر إلى أن تغلّب عليها المسلمون"[3]، كما تطورت فيها دراسة علوم أخرى كالطب والفلك والرياضيات[4]، التي كانت تدرس باللغتين اليونانية والقبطية ثمّ العربية بعد الفتح الإسلامي، ورغم قدمها حافظت على مكانتها السياسية والعلمية وظلّت قائمة رائدة إلى الفتح الإسلامي فكانت أول مركز علمي خضع للمسلمين بالمشرق[5]، وعلى يد علمائها كانت التراجم الأولى في التاريخ العلمي عند المسلمين، فقد قدّمت الكثير من العلماء والترجمات الشهيرة والمفيدة، ولكنها أخذت في الضعف تباعا بعد الفتح الإسلامي لانقطاع الصلة بينها وبين بيزنطة، كما لم تكن لعلمائها علاقة بأقباط مصر[6]، بفعل الخلافات العقائدية والسياسية الشديدة، وفي نهاية القرن (1هـ/7م) نقلها الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/718-720م) إلى مدينة أنطاكية[7]

---

[1]- الإسكندرية: مدينة كبيرة بمصر على بحر الروم (المتوسط) بناها الإسكندر الأكبر، فتحت علي يد عمرو بن العاص في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ أجمعين سنة (21هـ/642م)؛ ينظر البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1997، ص 217؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1995، ج1، ص 184.

[2]- مُحَمَّد زهير البابا: المرجع السابق، ع71-72، السنة 18، ص 127.

[3]- القفطي: المصدر السابق، ص 260.

[4]- عمر فروخ: المرجع السابق، ص 152.

[5]- عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق، ص 37.

[6]- مُحَمَّد أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000، ص 59.

[7]- أنطاكية: مدينة قديمة شمال الشام كانت من مدن الإمبراطورية البيزنطية المهمة، فتحت سنة (15هـ/637م) في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ وبقيت طوال القرنين (2-3هـ/8-9م) بيد المسلمين، ثم كانت سجالا بين المسلمين والروم ثم بين المسلمين والصليبيين حتى استعادها المماليك سنة (666هـ/1268م) (اليوم هي ضمن حدود دولة تركيا)؛ ينظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 269.

وحران[1] في سنة (99هـ/718م)[2]، لكن هذا لم يؤدي إلى إغلاقها واندثارها بل بقي نشاطها على ضعفه حيث ظلّت قائمة في العصر العباسيّ، ومن أشهر أطبائها الطبيب النصرانيّ سعيد بن توفيل (ت279هـ/892م) الذي كان طبيب أمير مصر أحمد بن طولون (254-270هـ/868-884م)[3].

2_ مدرسة أنطاكية:

كانت أنطاكية من المدن الرومية التاريخية، وإحدى أبرز المراكز الثقافية عند الروم، ثمّ في المشرق الإسلامي بعد فتحها، خاصة بعد انتقال بعض علماء الإسكندرية إليها، في عهد الخليفة الأموي الثامن عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/718-720م)، وقد اشتهرت بتعاليم الدين النصراني والفلسفة اليونانية[4]، وترجمة هذه العلوم إلى اللغة السريانية، ولكن أفل نجمها في خلافة الخليفة العباسي العاشر المتوكل (232-247هـ/847-861م) بانتقالها إلى حران[5].

3_ مدرسة حران:

وهي بالجزيرة شمال العراق، ولقربها من اليونان والروم تأثرت بحضارتهما، لتصبح في العهد الإسلامي من أكبر مصادر الحضارتين[6]، اشتهرت بالفلك والرياضيات لاهتمام أهلها بالنجوم والكواكب التي تدرس باللّغتين اليونانية والسريانية، ينتسب إلى هذه المدرسة العديد من المترجمين يأتي على رأسهم ثابت بن قرة الصابئ الذي ترك مؤلفات في الطب وترجم عدة مصنفات وعمل في خدمة الخليفة العباسي

---

[1]- حران: مدينة تاريخية تقع شمال العراق وهي مركز طائفة الصابئة الحرانيين فتحت في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب ﷺ سنة (17هـ/639م)، (تقع ضمن حدود دولة تركيا حاليا)؛ ينظر البلاذري: المصدر السابق، ص 172؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص 235.

[2]- لم تشر المصادر التي ذكرت نقل الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ﷺ علماء الإسكندرية إلى الأسباب الدافعة إلى ذلك، ولم يجد الباحثون فيما وصلوا إليه من مصادر ما يبين أسباب ذلك بشكل قاطع فبقيت القضية معلقة، وما قيل حول الموضوع في مجمله تخمينات، كالذي ذهب إليه المفكر علي سامي النشار (ت1980م) من أن السبب قد يعود إلى أن أنطاكية كانت مركزا للثقافة اليونانية زيادة على وقوعها بين المسلمين والإمبراطورية البيزنطية مما يسهل إحضار مختلف المخطوطات والكتب ودراستها وترجمتها؛ ينظر إبن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 171؛ عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق، ص 68؛ علي سامي النشار: المرجع السابق، ج1، ص 106.

[3]- إبن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر، (د ت)، ج3، ص 17.

[4]- عمر فروخ: المرجع السابق، ص 153.

[5]- المسعودي: المصدر السابق، ص 105.

[6]- توفيق اليوزبكي: التعريب في العصرين الأموي والعباسي، مجلة آداب الرافدين، ع7، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، ص 50.

السادس عشر المعتضد (279-289هـ/892-902م)، وابنه سنان الذي كان من كبار المترجمين وفي القرن (3هـ/9م) بدأ يأفل نجمها بانتقال أكثر علمائها إلى بغداد[1].

4_ مدرسة جنديسابور[2]:

اشتهرت هذه المدرسة الفارسية بعلم الطب، فقد كانت من المراكز الشهيرة في المشرق لما تميزت به من أساليب عملية في ممارسة الطب[3]، وكانت لغة العلم فيها الفارسية والسريانية ثمّ العربية بعد الفتح الإسلامي المبارك، وقد استعان الخلفاء العباسيون بعلمائها في العلاج والترجمة، فقد نبغ فيها العديد من العلماء كطبيب الخليفة العباسي المنصور جرجيس بن بختيشوع (ت153هـ/771م) وأسرته، وفيها ترجمت مؤلفات اليونان في الطب إلى السريانية ثمّ نقلت إلى العربية، وفي بداية العصر العباسي بدأت تفقد بريقها تباعا بانتقال علمائها إلى قصور الخلفاء في بغداد وسامراء[4].

5_ مدرسة الرها[5] ونصيبين[6]:

تأسست مدرسة الرها في القرن (2م) ونصيبين في سنة (320م)، وقد كانتا محل صراع بين الروم والفرس إلى أن دخلهما المسلمون في القرن (1هـ/7م)، وقد ظلّت الرها قبلة النصارى العلمية خاصة بعد اندثار مدرسة نصيبين النصرانية ووقوعها بيد الفرس سنة (363م)[7]، لتغلق بعد ذلك سنة (489م)

---

(1)- عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق، ص 71.

(2)- جنديسابور: مدينة قديمة بجنوب غرب بلاد فارس بناها الملك الفارسي سابور بن أردشير (241-272م) فتحت سنة (19هـ/640م) في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ (تقوم مقامها اليوم مدينة شاه آباد بالجنوب الغربي من إيران)؛ ينظر الحموي ياقوت: المصدر السابق، ج2، ص 171-172.

(3)- عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق، ص 56؛ عمر فروخ: المرجع السابق، ص 156.

(4)- عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق، ص 57.

(5)- الرها: مدينة تاريخية بين العراق وآسيا الصغرى قريبة من الشام تعاقب عليها البيزنطيون والفرس قبل أن يدخلها المسلمون صلحا بقيادة الصحابي الجليل عياض بن غنم في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ أجمعين سنة (16هـ/638م) ظلت بيد المسلمين إلى أن دخلها الصليبيون وأقاموا بها مملكة الرها سنة (490هـ/1098م) التي استمرت إلى أن استرجعها منهم المسلمون سنة (538هـ/1144م) (تمثلها اليوم مدينة أورفة بجنوب شرق تركيا)؛ ينظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص 106.

(6)- نصيبين: مدينة تاريخية بين العراق وبلاد الروم تأسست فيها مدرسة علمية راقية سنة (320م)، ظلت طوال تاريخها سجالا بين الفرس والروم إلى أن ملكها الفرس سنة (363م) إلى أن فتحت سنة (17هـ/639م) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ (ضمن حدود دولة تركيا اليوم)؛ ينظر ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج5، ص 288- 289.

(7)- دي لاسي أوليري: علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة: وهيب كامل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962، ص 65؛ سعد مُحَّد الكردي: المرجع السابق، ع398، ص 155.

وتفتح مدرسة نصيبين من جديد سنة (507م)[1]، واهتمت المدرستان بتعاليم اللاهوت بشكل خاص، إضافة إلى بعض العلوم كالطب والفلسفة[2] مع ترجمة العلوم المختلفة كالفلسفة وعلوم الدين الدين[3]، ومن أشهر أعلامها الفلكي توفيل بن توما النصراني (ت168هـ/785م) الذي قرّب من الخليفة العباسي المهدي وترجم بعض الكتب الأدبية إلى العربية، غير أنّ ترجماته الأدبية لم تحدث أدنى أثر في حياة المسلمين الفكرية ولم تشتهر لاهتمامهم بالعلوم العقلية والعملية كما أنّ للعرب في أدبهم ما يزهدهم في آداب الثقافات الأخرى، ومنهم رجل الدين النصراني تيودوروس أبو قرّة (ت نحو 204هـ/820م) له مؤلّفات جدلية مع الهراطقة واليهود والمسلمين بعضها باليونانية وبعضها الآخر بالعربية دافع فيها عن أهم عقائد النصرانية، ومع تأسيس الحواضر الإسلامية الكبرى واشتهارها كبغداد لم يبق للرها بريقها العلمي المعهود.

6_ بغداد:

وهي مركز ومنارة الحضارة الإسلامية والعالمية منذ تأسيسها كعاصمة للدولة والخلافة العباسية سنة (145هـ/762م) بقلب العراق على يد الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور (136-158هـ/754-775م)، فغدت قبلة العلماء من كل الأمصار وخاصة علماء المشرق الإسلامي بغض النظر عن مشاربهم، فورثت أكثر المراكز العلمية العتيقة في المشرق بفعل التشجيع الكبير من الخلفاء والوزراء والمهتمين بالعلوم بأهل العلم واستقطابهم إليها، ليكونوا في خدمتهم[4] وخدمة الحركة العلمية الوليدة، وقد بلغت أوج ازدهارها العام والعلمي بشكل خاص في عهد الخليفتين العباسيين هارون الرشيد (170-193هـ/787-809م) والمأمون (198-218هـ/814-833م) وبها تمت أعظم حركة للترجمة في تاريخ العالم الإسلامي، والتي سهر عليها رجالات الدولة بأنفسهم، يتقدمهم الخلفاء والأمراء حيث سخّروا لها مختلف الإمكانيات المادية والبشرية من أموال ومراكز علمية كبيت الحكمة (سنأتي إلى التعريف به لاحقا في موضعه إن شاء الله تعالى) وقوى بشرية كفأة يتقدمها علماء أهل الذّمّة من مختلف النحل.

[1]- فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج1، ص 36.

[2]- عمر فروخ: المرجع السابق، ص 155.

[3]- دي لاسي أوليري: المرجع السابق، ص 68.

[4]- دي لاسي أوليري: المرجع نفسه، ص 96.

وليتمكن العلماء والمترجمون ببغداد وغيرها من القيام بوظيفتهم على أفضل وجه، سخّر لهم الخلفاء والراعون للحركة العلمية إمكانيات ضخمة جدا، على رأسها الهياكل العلمية التي تتم فيها هذه العملية العلمية المهمة، ويحفظ فيها الإنتاج العلمي المدروس والمتوصل إليه، لأنّ المؤسسات العلمية المعروفة وقتئذ وعلى رأسها المساجد لم تكن ملائمة[1] ولا كافية لإنجاح هذه العملية الحساسة والمتداخلة، فظهرت منذ أوائل العهد العباسي عدة مؤسسات علمية ومكتبات خاصة وعامة تسهر على هذه العملية يأتي على رأسها بيوت الحكمة.

أـ بيت الحكمة البغدادي:

بيت الحكمة اسم أطلق على عدة مؤسسات علمية كبيرة في التاريخ الإسلامي، وكان يعرف أيضا بخزانة الحكمة ودار الحكمة، أشهر هذه المؤسسات الذي أسسه الخلفاء العباسيون في العهد العباسي الأول (132-232هـ/750-847م) ببغداد، وهو أول بيت حكمة أسسه المسلمون وأعظمها شأنا[2]، وقد ازدهر وذاع صيته في عصر الخليفة المأمون (198-218هـ/814-833م)، ثمّ يضعف دوره من بعده، وقد اختص بالترجمة وحفظ الكتب والبحث والرصد الفلكي والعناية بالعلم والعلماء في مختلف التخصصات العلمية.

وقد اختلف في مؤسسه هل هو الخليفة هارون الرشيد أم ابنه المأمون، والذي يظهر أنّه تأسس في عهد الرشيد[3] وازدهر في خلافة المأمون[4] هذا ما جعل كثيرا من المؤرخين والباحثين يعزون إنشاءه إلى

[1]- لأن عصب الترجمة هم غير المسلمين من أهل الذّمّة الذين لا يحلّ لهم دخول المساجد وفق تعاليم الشريعة الإسلامية.

[2]- الديوه جي سعيد: المرجع السابق، ص 31؛ سعيد خير الله: المرجع السابق، ج3، ص 80.

[3]- ينظر فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج1، ص 100؛ خضر عطا الله: بيت الحكمة في عصر العباسيين، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ت)، ص 29؛ شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ط8، دار المعارف، القاهرة، (د ت)، ص 112؛ كوركيس عواد: خزائن الكتب القديمة في العراق من أقدم العصور حتى سنة 1000هـ، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، 1986، ص 106؛ محمود عباس وحلاق حسان: العلوم عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت، 1995، ص 248؛ سعيد خير الله: المرجع السابق، ج3، ص 80؛ مفتاح الرباصي: المرجع السابق، ص 104؛ رمزية الاطرقجي: بيت الحكمة البغدادي وأثره في الحركة العلمية، مجلة المؤرخ العربي، ع14، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1980، ص 322؛ كمال السامرائي: مختصر تاريخ الطب العربي، دار النضال، لبنان، (د ت)، ج1، ص 305؛ سيف شاهين: تجارة الكتب عند العرب المسلمين في القرنين 3و4هـ 9و10م، مجلة حولية التاريخ الإسلامي الوسيط، مج5، كلية الآداب جامعة عين شمس، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006-2007، ص 18.

[4]- كوركيس عواد: المرجع السابق، ص 112.

المأمون[1]، فقد ذكرت بعض المصادر أنّ بيت الحكمة كان موجودا في عهد الرشيد من ذلك ما ذكره الأديب ابن النديم البغدادي (ق4هـ/10م) في خضم ترجمته للفضل بن نوبخت[2]: "أبو سهل الفضل بن نوبخت: فارسي الأصل وقد ذكرت نسب آل نوبخت في كتاب المتكلمين واستقصيته وكان في خزانة الحكمة لهارون الرشيد..."[3]، ويقول عن عَلَم آخر: "أخبار علان الشعوبي[4]: وهو علان الشعوبي أصله من الفرس وكان راوية عارفا بالأنساب والمثالب والمنافرات منقطعا إلى البرامكة وينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة..."، وقد نقل عنه أغلب من ترجم لهذا الأخير كالأديب ياقوت الحموي (ت626هـ/1229م):"[5] وغيره، وابن النديم من أقدم المصادر في فن الوراقة والتأليف وهذا ما يعطي مصداقية قوية لهذا الترجيح، وكما هو معروف فإنّ فترة حكم الخليفتين لم تكن متوازية، ولم يتشاركا الحكم، كما أنّ البرامكة لم يبلغوا خلافة المأمون فقد انتهت خدمتهم على يد هارون الرشيد سنة (187هـ/803م) كل هذا يفهم منه أنّ مؤسسه هو هارون الرشيد.

وهناك من ذهب إلى أنّ الخليفة أبا جعفر المنصور هو مؤسس بيت الحكمة[6]، ولكنه رأي تنقصه تنقصه الدقة وبعيد عن الصحة، فكل ما ذكر حول الخليفة المنصور في هذا الشأن أنّه كانت له خزانة كتب بقصره[7] لا غير، تركها من بعده لابنه الخليفة الثالث المهدي (158-169هـ/775-786م)،

---

(1)- عبد الرحمن بدوي: الفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1987، ص 8؛ زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، ط8، دار الجيل، بيروت، 1993، ، ص 379.

(2)- الفضل بن نوبخت: هو المتكلم الفضل بن نوبخت أبو سهل من أسرة آل نوبخت الفارسية الأصل والتي اشتغلت بالترجمة والنقل للعباسيين، ولم تذكر المصادر التي ترجمت له تاريخ وفاته باستثناء أنه عاصر الخليفتين الرشيد والمأمون؛ ينظر القفطي: المصدر السابق، ص 194؛ عمر كحالة: معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، (د ت)، ج8، ص 72.

(3)- ابن النديم: المصدر السابق، ص 335.

(4)- علان الشعوبي: ويعرف بعلان الوراق راوية ونسابة ووراق فارسي الأصل اشتهر بالشعوبي لعدائه للعرب من كتبه "الميدان" الذي ذم فيه العرب، وقد عمل بالنسخ في بيت الحكمة للبرامكة والرشيد والمأمون ولم تذكر المصادر التي ترجمت له تاريخ وفاته باستثناء أنه عاصر الخليفتين الرشيد والمأمون؛ ينظر ابن النديم: المصدر السابق، ص 135؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000، ج19، ص 367؛ ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية-الهند-، ط2، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1971، ج4، ص 187؛ عمر كحالة: المرجع السابق، ج6، ص 293.

(5)- ياقوت الحموي: معجم الأدباء مصدر سابق، ج4، ص 1631.

(6)- سعيد الديوه جي: المرجع السابق، ص 5؛ ربحي مصطفى عليان: المرجع السابق، ص 134؛ حيدر قاسم التميمي: المرجع السابق ص 41.

(7)- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002، ج2، ص 7؛ كوركيس عواد: المرجع السابق، ص 105؛ سعيد خير الله: المرجع السابق، ج3، ص 79.

ولم تعرف ببيت الحكمة ولا بغيره، حيث يذكرها المؤرخ ابن الأثير (ت628هـ/1231م) في ترجمته للمنصور بقوله:" وكان له سَفَطٌ[1] فيه دفاتر علمه، وعليه قفل لا يفتحه غيره، فقال للمهدي: انظر إلى هذا السَّفَطِ فاحتفظ به، فإنّ فيه علم آبائك، ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فإن أحزنك أمر فانظر في الدفتر الكبير، فإن أصبت فيه ما تريد، وإلّا ففي الثاني والثالث، حتى بلغ سبعة..."[2]، كما أنّ وجودها بقصره ولشخصه دون غيره، يوضح الإشكال ويزيل الغموض، وذلك بأنّها خزانة صغيرة لحفظ الكتب لا أكثر، وهذا مغاير تماما لما اشتهر به بيت الحكمة البغدادي، وإن أخذنا بوصف المؤرخ ابن الأثير لهذه الخزانة بـ "السَفَطٌ" و"عليه قفل" ولم يقل بابا فهذا يقودنا إلى التقليل من شأنها وأنّها لم تزد عن كونها خزانة صغيرة في قصر المنصور جعلها لحفظ بعض الكتب لا غير[3].

وكان بيت الحكمة البغدادي مؤسسة علمية متطورة جدا، مقارنة بالمعطيات العلمية المتوفرة وقتئذ، فقد حوت أغلب متطلبات العملية العلمية المتطورة من مكتبة وحجرات للتعليم وللنسخ والتجليد[4] وحجرات للنقل والترجمة[5] وقسم للرصد الفلكي، كما ضمّ بين جدرانه كمّا هائلا لا يحصى يحصى كثرة[6] من التراث الإسلامي والعالمي، من مختلف الثقافات وبمختلف اللغات[7] وفي عديد التخصصات والذي جلب من بلاد الروم وغيرها خاصة بعد فتح هرقلة[8]، وبعض الأمصار سنة (190هـ/805م)، حيث جلب هارون الرشيد عند فتحها ما لا يحصى من الكتب[9]، وبفضل ما بذله المأمون من بعده في سبيل ذلك.

---

[1]- سَفَطٌ: أداة لحفظ الأغراض الصغيرة تشبه القفة؛ ينظر مرتضى الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الإسكندرية، (د ت)، ج19، ص 350؛ أحمد مختار عبد الحميد وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، بيروت، 2008، ج2، ص 1073.

[2]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997، ج5، ص 194.

[3]- أحمد مختار عبد الحميد وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص 1073.

[4]- ابن النديم: المصدر السابق، ص 21؛ رمزية مُحَمَّد الاطرقجي: المرجع السابق، ع 14، ص 320.

[5]- سعيد خير الله: المرجع السابق، ج3، ص 80.

[6]- القلقشندي: المصدر السابق، ج1، ص 537.

[7]- سعيد خير الله: المرجع السابق، ج3، ص 82.

[8]- هرقلة: مدينة ببلاد الروم فتحت على يد الخليفة العباسي هارون الرشيد؛ ينظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص 398.

[9]- يحيى وهيب الجبوري: المرجع السابق، ص 1174.

وأوج ازدهار بيت الحكمة البغدادي كما قلنا سالفا كان في عهد الخليفة العباسي المأمون (198-218هـ/814-833م)، لما كان له من اهتمام عظيم بالعلم وأهله، فنالت في خلافته اهتماما عظيما ثمّ يخفت ذكرها من بعده[1]، لعدة عوامل منها انتقال دار الخلافة إلى سامراء سنة (221هـ/836م) على يد خليفته المعتصم (218-227هـ/833-842م) وما تلا ذلك من تعاقب للفتن على بغداد[2]، إضافة إلى نقص اهتمام بعض الخلفاء الذين خلفوا المأمون بالجانب العلمي وجهل بعضهم الآخر، فالمعتصم الذي خلف المأمون كان جاهلا عريا عن العلم وقراءته وكتابته ضعيفة[3] ولا تليق بحاكم لأمة الإسلام، كل هذا ساهم في هذا التراجع.

وأبرز دور قام به بيت الحكمة البغدادي هو الترجمة، حيث كان أكبر مؤسسة في العالم الإسلامي لهذه العملية العلمية التي أولاها العباسيون اهتماما خاصا، وجمعوا لها المترجمين الأفذاذ وأحضروا بين أيديهم الكتّاب والنّساخ، ومن يقوم بتدقيق الترجمات للوصول إلى ترجمة التراث الضخم الذي وصلوا إليه ترجمة مثالية ودقيقة[4].

بـ_ خزانة الحكمة لآل المنجّم في كركر[5]:

آل المنجّم من الأسر الفارسية العلمية الشهيرة في التاريخ العباسي، علا شأنهم في عهد الخليفتين العباسيين المأمون والمتوكل، أشهرهم الفلكي يحي بن أبي منصور (ت218هـ/833م) والأديب علي بن يحي (ت275هـ/889م)[6]، وقد كانت لهم دار عظيمة للكتب سموها خزانة الحكمة[7] بضواحي بغداد بغداد مفتوحة لأهل العلم[8]، وقد ترجمت لهم فيها كتب بطلبهم وممن ترجم لهم حنين بن إسحاق[9].

جـ_ خزانة الوزير عبد الملك الزيات بسامراء:

(1)- ربحي مصطفى عليان: المرجع السابق، ص 135.

(2)-كوركيس عواد: المرجع السابق، ص 113.

(3)- السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، 2004، ص 243.

(4)- رمزية مُحَّد الاطرقجي: المرجع السابق، ع14، ص 330.

(5)- كركر: مدينة ببلاد فارس، واسم لناحية في بغداد، وهو المقصود هنا؛ ينظر الحموي ياقوت: المصدر السابق، ج4، ص 453.

(6)- ابن النديم: المصدر السابق، ص 77.

(7)- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص 2014.

(8)- فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج1، ص 106.

(9)- سعيد الديوه جي: المرجع السابق، ص 67؛ أحمد عيسى: تاريخ النبات عند العرب، مؤسسة هنداوي للثقافة والعلوم، القاهرة، 2013، ص 64.

أنشاها الوزير العباسي مُحَمَّد بن عبد الملك الزيات (ت233هـ/847م) شمال بغداد بسامراء وكان وزيرا للخليفة المعتصم ثمّ الواثق وقتل في خلافة المتوكل، جمع فيها أنفس المصنفات وقيّض لها المترجمين الأفذاذ فنقلوا له العديد من الكتب خاصة الطبية[1] وكان يقارب عطاؤه لهم وللنساخ في كل شهر ألفي دينار[2]، لكنها لم تعمر فقد انقطعت أخبارها بعد نكبته على يد المتوكل سنة (ت233هـ/847م)[3].

د_ خزانة الفتح بن خاقان ببغداد:

وهي خزانة كتب كبيرة أنشأها وزير الخليفة العباسي المتوكل الفتح بن خاقان التركي (ت247هـ/861م)، الذي جعلها خزانة كتب عظيمة كثيرة الكتب بالغة الحسن[4] وكان ينفق الكثير على النقلة والمترجمين، ولكن اختفت آثارها بعد مقتله مع المتوكل سنة (247هـ/861م).

وتجدر الإشارة إلى أنّ الخزائن الثلاث الأخيرة لم تضطلع بنفس وظيفة بيت الحكمة للخلفاء العباسيين، وكانت أقل شأنا منها بكثير، كما عرف العالم الإسلاميّ في المشرق والمغرب مراكز شهيرة للكتب والترجمة ولكنها لا تدخل في الإطار الزماني والمكاني للبحث.

سادسا_ أدوار حركة الترجمة:

يمكن تقسيم أدوار حركة الترجمة إلى ثلاثة أدوار رئيسية، ينحصر الدور الأول بين سنتي (136-193هـ/754-809م) والدور الثاني بين سنتي (198-نهاية ق3هـ/814-نهاية ق8م) والدور الثالث بين سنتي (بداية ق4-منتصف ق 4هـ/بدايةق10- منتصف ق 10م)[5]، وما يهمنا في بحثنا الدورين الأولين الذين مثلا ذروة نشاط الحركة في المشرق الإسلامي.

ويظهر من خلال التقسيم الذي اعتمدناه أنّه يخضع للجانب السياسي، وهذا راجع إلى العناية العظيمة والتوجيه المباشر للخلفاء العباسيين لحركة الترجمة، حيث كان لكل خليفة سياسته العلمية الخاصة في طريقة توجيه الدفة من حيث العلوم المهتم بها والاهتمام بأهلها، كما أثّرت الأوضاع السياسية أيضا بشكل غير مباشر عليها، وهذا ينطبق على المرحلة الثالثة الأخيرة.

---

(1)- القفطي: المصدر السابق، ص 104.

(2)- ابن أبي اصيبعة: المصدر السابق ص 284.

(3)-كوركيس عواد: المرجع السابق، ص 179.

(4)- ابن النديم: المصدر السابق، ص 148.

(5)- عصام الدين مُحَمَّد علي: بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة من أواخر القرن الأول وحتى منتصف القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1986، ص 4؛ مُحَمَّد أبو ريان: المرجع السابق، ص 75.

يبدأ الدور الأول من خلافة المنصور (136-158ه/754-775م) إلى نهاية خلافة الرشيد (170-193ه/787-809م)، حيث شهد انطلاق حركة الترجمة كسياسة علمية للدولة العباسية الوليدة لعلمها بأهمية العلوم وحاجتها إليها في نفس الوقت، فالمنصور هو أول خليفة اهتم بجدّ بالترجمة فترجمت له الكتب العلمية بشكل خاص[1]، وأشهر مترجمي هذه المرحلة طبيب الخليفة المنصور جرجيس بن جبرائيل (ت153ه/771م) الذي استقدمه من جنديسابور، وهو من أوائل الذّمّيين الذين قادوا هذه الحركة العلمية حيث ترجم للمنصور كثيرا من الكتب اليونانية[2]، والطبيب والمترجم يوحنا بن ماسويه النصراني (ت243ه/857م) الذي ذاع صيته أيام هارون الرشيد، فقد ترجم كتب كثيرة جدا وكان أمينا على الترجمة ببيت الحكمة واستمر عطاؤه إلى عهد الخليفة المتوكل (232-247ه/847-861م)[3].

أما الدور الثاني الذي انحصر في الفترة (198-نهاية ق3ه/814-نهاية ق8م) فيمثّل العصر الذهبي للترجمة، لما لاقته من اهتمام وما عرفته من توسع وازدهار، من حيث كثرة التراث المترجم وتنوع العلوم المترجمة، خاصة في بدايته إذ يستهل بخلافة المأمون (198-218ه/814-833م) الذي تعتبر خلافته العصر الذهبي للعلوم والترجمة، حيث اعتنى بالحركة عناية شديدة، فأكرم المترجمين واهتم بعلوم جديدة على رأسها الفلسفة والمنطق، فسعى في طلب الكتب والعلماء من مختلف الحضارات بكل الوسائل فكان يعطي المترجم البارع بوزن الكتاب المترجم ذهبا، ومن ذلك أنّه اشترط على الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني (204-213ه/820-829م) في إحدى معاهدات الصلح بينهما أن يتنازل له عن إحدى المكتبات الشهيرة في القسطنطنية[4]، ولم يطلب مالا ولا غنائم أو ضرائب لعلمه أنّ الكتب العلمية هي أفضل الغنائم والأسلحة التي تحقق الغنى وتبني المجد والعز[5]، وقد أوردنا نزرا من شغفه بالعلم بالعلم والعلماء في خضم حديثنا عن دوافع الترجمة، واهتم من بعده في خلافة المعتصم والواثق بنو موسى بن شاكر بدعم الحركة دون فتور[6]، لإهمال الخليفتين المذكورين لها فسدّوا (بنو موسى) هذه الثغرة واستمر عطاؤها إلى خلافة المتوكل، فانبعثت من جديد عملية الترجمة وتطورت من الناحية الفنية أكثر

[1]- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، إيران، 1988، ج4، ص 223.

[2]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 183.

[3]- القفطي: المصدر السابق، ص 282.

[4]- فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج1، ص 48.

[5]- زغريد هونكة: المرجع السابق، ص 375.

[6]- جمعة عبد الله ياسين: اهتمام العلماء بالحركة العلمية في العراق، (232-334ه/847-946م)، مجلة آداب الفراهيدي، ع26، جامعة تكريت، العراق، 2016، ص 189.

بفعل دعم المتوكل، وبقاء الكثير من المترجمين الكبار الذين ميزوا عهد المأمون كحنين بن إسحاق العبادي (ت260هـ/873م) إضافة إلى توفر المصنفات غير المترجمة التي كانت محل اهتمام المأمون الذي كان شغوفا بجمعها ولم يسعفه الوقت للوقوف على ترجمتها فترجمت في عهد المتوكل، إضافة إلى دخول عنصر جديد في العملية وهم أبناء مدرسة حران الصابئة بقيادة ثابت بن قرة الحراني (ت288هـ/901م) وما حملوه من ثقافة وطرق في الترجمة[1] وبالرغم من أنّ المتوكل توفي في منتصف القرن (3هـ/9م) سنة (ت247هـ/861م) إلّا أنّ الحركة استمرت رغم ضعفها النسبي بدعم من بعض الخلفاء وبنشاط بعض علماء أهل الذّمّة الكبار ومساهماتهم يأتي على رأسهم ثابت بن قرة الصابئ (ت288هـ/901م) وإسحاق بن حنين (ت297هـ/910م) وقسطا بن لوقا البعلبكي (ت300هـ/912م) الذي بوفاته ينتهي هذا الدور الذهبي لحركة الترجمة عند المسلمين، وهذا ما يبين لنا أنّ بعض علماء أهل الذّمّة استطاعوا بفعل نبوغهم أن يحافظوا على نسق ازدهار حركة الترجمة رغم تراجع وتيرة الدعم بعد وفاة المتوكل، وهذا لم يقتصر على النصف الثاني من القرن (3هـ/9م) بل استمر إلى منتصف القرن (4هـ/10م) الذي يمثل الدور الثالث والأخير.

ينحصر هذا الدور في الفترة (بداية ق4-منتصف ق4هـ/بدايةق10-منتصف ق10م) وفيه بدأ أفول نجم الحركة، بفعل تراجع اهتمام الخلفاء بها لضعفهم السياسي والاقتصادي وكثرة الاضطرابات، إضافة إلى إحاطة المترجمين في الدورين السابقين بأغلب التراث العلمي الذي أمكنهم الوصول إليه، فحنين بن إسحاق مثلا حسب المستشرقة زغريد هونكة ترجم أغلب الكتب الطبية القديمة[2]، فلم يبق بعد هؤلاء الكثير ليهتم به، ومن أبرز مترجمي أهل الذّمّة في هذا الدور المنطقي والطبيب أبو زكريا يحيى بن عدي النصراني (ت364هـ/975م) الذي انتهت إليه سيادة الترجمة والفلسفة في عصره[3] ونكتفي بهذه الإشارة حتى لا نخرج عن الإطار الزماني للبحث.

سابعا_طرق الترجمة:

تمت عملية ترجمة العلوم التي حمل لواءها أهل الذّمّة بطريقتين هما: طريقة المترجم يوحنا بن البطريق (ت نحو200هـ/815م) وطريقة المترجم حنين بن إسحاق (ت260هـ/873م)[4]. والطريقتان ظهرتا في

(1)- جمعة عبد الله ياسين: المرجع السابق، ع26، ص 190.

(2)- زيغريد هونكة: المرجع السابق، ص 384.

(3)- ابن النديم: المصدر السابق، ص 324.

(4)- صلاح الدين الصفدي: شرح لامية العجم، ط1، المطبعة الأزهرية، مصر، 1889، ج1، ص 46.

في سياق تطور العملية والحرص على الوصول إلى ترجمة علمية تمكّن من الفهم الدقيق للمؤلفات المترجمة[1].

وقد قامت طريقة ابن البطريق على ترجمة اللفظ دون المعنى، ما شكّل صعوبة في ترجمة الكلمات من لغة إلى أخرى، لأنّه لا توجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية وكذلك اختلاف تراكيب الجمل وما إلى ما ذلك من اختلافات ما قد يؤدي إلى تغير المعنى[2]، هذا ما حتّم على رعاة الترجمة البحث عن طرق أفضل منها وتنقيح الكتب ثانية فكانت طريقة حنين بن إسحاق.

والتي قامت على ترجمة المعنى بعد فهم اللفظ دون النظر إلى تطابق الألفاظ ما أخرج تراجم ممتازة لم تحتج إلى الكثير من التنقيح، باستثناء الكتب الرياضية التي كان شيخ هذه الطريقة ضعيفا فيها[3]، ولم يكتف حنين بهذا فحسب فكان قبل ترجمة أي كتاب يقارن بين ما توافر له من نسخ حول الكتاب ويختار أجودها نصا وإن لم يجد يراجع الترجمة متى توفرت له النسخ[4].

يتجلى لنا من كل هذا اهتمام المسلمين بالترجمة كان منذ بداية حضارتهم في صدر الإسلام حيث عنوا بكل أشكال الترجمة، لتتوسع بشكل كبير في العصر العباسي الذي ازدهرت فيه ترجمة العلوم المختلفة من مختلف اللغات خاصة الفلسفة والطب والفلك والتي نبغ فيها مترجمون من أهل الذّمّة.

المبحث الثاني: مجالات حركة الترجمة.

بدأت حركة الترجمة التي دعّمها حكام المسلمين وقادها أهل الذّمّة لضرورات دينية ودنيوية فاهتم المسلمون بترجمة ما يحتاجونه في ضبط مواقيت عباداتهم وما تصلح به أبدانهم خاصة، لكن هل استمر الاهتمام بهذه العلوم فقط أم اتسعت الحركة لتشمل علوم أخرى؟.

قلنا سابقا أنّ المسلمين اهتموا أولا بنقل العلوم العقلية وعلى رأسها الفلك والطب لتلحقها العلوم الأخرى تباعا، وهذا الترتيب أملته الضرورة الشرعية والدنيوية[5] بفعل حاجتهم أولا إلى معرفة المواقيت معرفة صحيحة لارتباطها بالعبادات، وارتباط الطب بدفع الأمراض وصلاح أبدانهم[6].

---

(1)- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 493.

(2)- علي بن إبراهيم النملة: المرجع السابق، ص 21.

(3)- ميخائيل عواد: حنين بن إسحاق، مجلة المورد، مج3، ع3، وزارة الإعلام العراقية، دار الحرية، بغداد، 1974، ص 16.

(4)- عبد الرحمن بدوي: الفلسفة والفلاسفة، ص 9.

(5)- عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت، 1970، ص 114؛ خالد يوسف صالح: حركة الترجمة في بلاد الشام في العصر الأموي، مجلة كلية التربية الأساسية، مج11، ع1، جامعة الموصل، العراق، 2011، ص 241.

(6)- عصام الدين مُحَّد علي: المرجع السابق، ص 37.

ويمكن تصنيف مجالات حركة الترجمة حسب المجال العلمي المهتم به أو حسب المجال الجغرافي والتاريخي الذي اهتمت الحركة بتراثه، وبما أنّ حركة الترجمة كانت بدايتها التركيز على العلوم دون النظر إلى مصدرها أكان يونانيا أم فارسيا أم هنديا فإنّ التصنيف العلمي الصحيح يكون حسب العلوم المترجمة، والتي ظهرت حسب الضرورة أشهرها الطب والفلك والكيمياء والفلسفة والمنطق والحساب[1].

أولا- الطب والصيدلة:

اهتم المسلمون كما رأينا سالفا بعلم الطب منذ أيامهم الأولى، فقد حرصوا في الصدر الأول بعد علم الدين على علم الطب لأهميته في صلاح دنياهم بسلامة أبدانهم، كما كان مستواهم الطبي قبل الإسلام وفي أيامه الأولى ضعيفا جدا[2]، فاستقدموا الأطباء الأفذاذ العالمين بالترجمة ليجمعوا بين العلاج والتعليم والنقل، فانكبّوا على الاهتمام بترجمة التراث الطبي للحضارات السابقة وخاصة اليونانية منه لسبقها في هذا العلم[3]، فقد احتل اليونان المرتبة الأولى في ضخامة التراث المترجم في الطب وفي مختلف العلوم، وتأتي الهند في هذا الجانب في المرتبة الثانية بعد بلاد اليونان[4]، وبهذا كان مترجمو أهل الذّمّة هم نجوم الترجمة الطبية[5] بدون منازع يتقدمهم الطبيب والمترجم حنين بن إسحاق العبادي، فلا نجد بين أيدينا من مصادر ما يشير إلى أطباء مسلمين في القرنين قيد الدراسة اللذين يمثلان بداية حركة الترجمة على أوسع نطاق.

بدأت ترجمة بعض كتب الطب في العصر الأموي بمبادرات فردية محتشمة، وفي خلافة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/718-720م) ظهر جليا على يديه الاهتمام بالطب، فقد قرّب إليه الأطباء كالتابعي الجليل والطبيب عبد الملك بن أبجر الكنانيّ (ت150هـ/767م) الذي كان نصرانيا مقيما بالإسكندرية وأسلم على يديه وصاحبه[6]، كما اهتم بكتب الطب فأخرج للناس كتاب "الكناش في الطب" للطبيب والقس أَهْرُن بن أعين السكندريّ (ق1هـ/7م)[7] الذي ترجم في عهد الخليفة الأموي الرابع مروان بن الحكم (64-65هـ/684-685م) على يد الطبيب والمترجم ماسرجويه اليهوديّ

---

(1)- خالد يوسف صالح: المرجع السابق، ص 242-244.

(2)- فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، ترجمة: عبد الله حجازي، جامعة الملك سعود، السعودية، 2009، مج3، ج1، ص 1.

(3)- مريزن سعيد مريزن العسيري: المرجع السابق، ص 31-32.

(4)- ول ديورانت: المرجع السابق، ج13، ص 180.

(5)- كمال السامرائي: المرجع السابق، ج1، ص 321.

(6)- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 171.

(7)- ابن جلجل: المصدر السابق، ص 61؛ ابن النديم: المصدر السابق، ص 358؛ سعيد الديوه جي: المرجع السابق، ص 10.

البصري (ق1هـ/7م) من السريانية إلى العربية، وهو أقدم كتاب في الطب مترجم للعربية[1]، ومع بداية العصر العباسي(132هـ/750م) أصبح علم الطب العلم الشاغل للعباسيين نظرا لما أولوه من عناية للأطباء ومترجمي كتب الطب، فبلغ الأطباء المترجمون عندهم مكانة لم يبلغها أحد من العلماء ومترجمي العلوم الأخرى منذ عهد خليفتهم الثاني أبي جعفر المنصور (136-158هـ/754-775م) الذي اهتم بالأطباء بشكل خاص[2] فقرّبهم ووفّر لهم ضروريات البحث والتعليم والترجمة وكان أول من استقدمه من العلماء وقرّبه الطبيب والمترجم جرجيس بن بختشيوع (ت153هـ/771م)، وسار على هذا النهج وزاد فيه الخليفة الرشيد فأدنى الأطباء وأكرمهم ووفر لهم كل ما يحتاجونه وعلى رأس ذلك بيت الحكمة التي كانت على رأس مراكز الترجمة بالمشرق، ومن الأطباء الذين ذاع صيتهم في عهده الطبيب والمترجم يوحنا بن ماسويه النصراني (ت243هـ/857م) الذي ترجم كتب كثيرة جدا وكان أمينا على الترجمة ببيت الحكمة واستمر عطاؤه إلى عهد الخليفة المتوكل (232-247هـ/847-861م)[3]، وعرفت ترجمة كتب كتب الطب أوجها كباقي العلوم الأخرى في عهد المأمون الذي ازدهرت الترجمة في خلافته بفعل اهتمامه العظيم بها وإجزاله الكبير للمترجمين وإكرامه لهم وعلى رأسهم الطبيب والمترجم حنين بن إسحاق الذي لقب بشيخ تراجمة الإسلام لسبقه الكبير في الترجمة وطرقها وإتقانها ولكونه لم يمت إلا بعدما أتم ترجمة التراث اليوناني الذي بلغه خاصة في الطب[4]، فكان المأمون يجازيه على الكتاب المترجم بمثل وزنه ذهبا مثلا بمثل[5]، وأشهر الكتب الطبية المترجمة هي كتب أبقراط[6] وجالينوس[7] لأهميتها في الطب[8]

---

(1)- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ص 4.

(2)- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 183.

(3)- القفطي: المصدر السابق، ص 282.

(4)- زيغريد هونكة: المرجع السابق، ص 384؛ فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج1، ص 16.

(5)- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 260.

(6)- أبقراط: طبيب يوناني شهير، عاش في القرن (4ق م)، اشتهر بتعليم الطب والتأليف فيه على نطاق واسع، وترك الكثير من التلامذة البارعين الذين فرض عليهم شروط صارمة قبل ممارسة الطب، وألزمهم بأداء قسم قبل ذلك عرف بقسم أبقراط الذي مازال مفروضا إلى يومنا هذا ومعروفا باسمه (ت حوالي 370 ق م)؛ ينظر ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 45؛ ول ديورانت: المرجع السابق، ج7، ص 187-188.

(7)- جالينوس:طبيب وفيلسوف يوناني شهير عاش في القرن (2م) اشتهر ببراعته وتفوقه الطبي، حيث يعد أحد أكبر الأطباء اليونانيين الذين ساهموا في تطور النظريات الطبية كالتشريح، وكان محل اهتمام الأطباء المترجمين في الحضارة الإسلامية (ت200م)؛ القفطي: المصدر السابق، ص 100.

الطب[1] والتي ترجم أغلبها إن لم نقل كلها، على حد تعبير زغريد هونكة في خضم حديثها عن حنين بن إسحاق[2] في العصر العباسي، فقد ذكر حنين بن إسحاق لجالينوس نحو 140 كتابا مترجما أغلبها من ترجمته[3]، أما من الناحية التاريخية فأول كتاب ظهر في بداية القرن (2هـ/8م) هو كتاب "الكناش" الذي أخرجه الخليفة عمر بن عبد العزيز للناس للاستفادة منه وكان قد ترجم في صدر الدولة الأموية، وبالنسبة لكبار الأطباء المترجمين فنجد شيخ المترجمين حنين بن إسحاق الذي برع في الترجمة وترجم كتب كثيرة جدا وخاصة كتب الطبيب اليونانيّ جالينوس (ت200م) التي لم يترك منها كتابا وصل إليه إلا ترجمه إلى العربية أو صحّح ترجمته[4] كالجزء الثاني من كتاب الطب والصيدلة "الأدوية المفردة" لجالينوس، الذي ترجمه ماسرجويه البصري اليهودي في الدولة الأموية وصححه هو من بعده[5]، كما ترجم وصحح كتب الطب اليونانية المهمة التي نقلها إلى السريانية الطبيب السرياني سِرجيوس الرأس عيني (ت536م) والتي لعبت دورا مهما في تاريخ الطب[6]، وقد ساهم الفرس في ترجمة كتب الطب الهندية عن طريق ترجمتها إلى لغتهم ثمّ إلى العربية فكانوا وسيطا بين الحضارتين، فبمساهمتهم هذه سرّعوا وصول الطب والتراث الهندي عامة إلى المسلمين[7] ومن الكتب الهندية ما ترجمه منكه الهندي الذي نقل كتاب "السموم" لمؤلفه شاناق الهندي[8] من الهندية إلى الفارسية ثمّ نقل إلى العربية[9] وهناك أطباء وتراجمة هنود منهم من من لم تشر المصادر إلى أسمائهم واستفيد من تراثهم الكثير على رأس ذلك مجال العقاقير الطبية[10]، ومما تميزت به الترجمة الإسلامية للطب القديم الاهتمام بكل ما يتعلق بالصناعة الطبية من الناحيتين النظرية

---

[1]- مريزن سعيد مريزن العسيري: المرجع السابق، ص 31-32.

[2]- زيغريد هونكة: المرجع السابق، ص 384.

[3]- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ج1 ص 112.

[4]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 262.

[5]- أحمد عيسى: تاريخ النبات عند العرب، مؤسسة هنداوي للثقافة والعلوم، القاهرة، 2013، ص 52.

[6]- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ج1، ص 272.

[7]- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ج1، ص 274.

[8]- شاناق الهندي: لم نعثر له على ترجمة دقيقة وافية فيما بين أيدينا من مصادر، غير ما ذكره إبن أبي أصيبعة من أنّه كان من أطباء الهند المشهورين وعالما بالنجوم، ذا حظوة عند ملوك الهند وذكر بعض كتبه أشهرها "السموم"؛ ينظر إبن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 474.

[9]- إبن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، ص 474.

[10]- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ج1، ص 297.

والتطبيقية مثلتهما بشكل أساسي كتب أبقراط النظرية التي ركزت على شروط الممارسة الطبية ومصنفات جالينوس العملية التي اهتمت بالتطبيق كطرق التشريح.

ثانيا- الفلسفة والمنطق:

الفلسفة أو علم الحكمة هي "علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية وموضوعه الأشياء الموجودة في الأعيان والأذهان"[1]، وكانت هي الميدان الثاني الذي الذي حظي باهتمام المسلمين وإن ظهرت العناية بترجمة كتب الفلسفة والمنطق عندهم متأخرة مقارنة بعلوم أخرى كالكيمياء والفلك والطب ولكن عنايتهم بهما بعد الولوج إليهما كانت عظيمة خاصة في عهد الخليفة العباسي المأمون الذي كان طالبا لهما ومهتما بهما، زيادة على الحرية الفكرية التي أشاعها بين رعيته من المسلمين وأهل الذّمّة ما أدّى إلى انتشار الأفكار الفلسفية والاهتمام بكتب الفلسفة التي لم يكن للعرب والمسلمين في أيامهم الأولى أثر يذكر فيها إلا ما أخذوه من أفكار بعيدة عن دينهم[2] من أهل النحل التي خالطوها بعد الفتوحات أو بالتحاق غير المسلمين بالأمصار الإسلامية، وكانت الأفكار الفلسفية تعج في ربوع المشرق الإسلامي بفعل كونه مهد للديانات السماوية السابقة التي اختلطت بعد تحريفها بالفلسفة، إضافة إلى كثرة المراكز العلمية العتيقة التي اهتم أغلبها بالفلسفة عدا عدد قليل جدا كجنديسابور التي غلب عليها الطب، فكانت أبرز الحضارات التي تركت تراثا فلسفيا كبيرا الفارسية واليونانية وهذه الأخيرة بشكل خاص، كل هذا الزخم الفلسفي في المنطقة كان من الصعب وقف زحفه نحو الفكر الإسلامي فأدرك حكام وعلماء المسلمين الأوائل تناقضه مع عقيدتهم الصافية الواضحة فحاربوه بقوة وبكل الوسائل الشرعية[3] فخفّفوا من توغله بين المسلمين إلى حين، وكانت البداية مع الفلسفة الفارسية بفعل فتحها أولا فقضي على هذه الفلسفة في مهدها ولم يسمح بالأخذ منها فلم تدخل إلى المسلمين في صدر دولتهم وحفظهم الله تعالى من شرها[4]، من ذلك أنّه لما فتحت بلاد فارس

---

[1]- صديق بن حسن القنوجي: أبجد العلوم، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2002، ج1، ص 376.

[2]- ابن تيمية: الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق، تحقيق: العمران علي بن محمد، ط1، دار عالم الفوائد، مكة، 2008، ص 137؛ السيوطي: صون المنطق، تحقيق: علي سامي النشار وسعاد علي عبد الرزاق، مجمع البحوث الإسلامية، مصر، (د ت)، ج1، ص 33-34؛ علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط9، دار المعارف، القاهرة، (د ت)، ج1، ص 102.

[3]- سفر الحوالي: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، ط1، دار الكلمة، القاهرة، 1999، ص 289.

[4]- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، ط1، دار القلم ودار الشامية، دمشق-بيروت، 1991، ص 32.

فارس وجد فيها الفاتحون كتبا كثيرة فكتب فاتحها الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص (ت55هـ/674م) إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أجمعين ليستأذنه في شأنها ونقلها إلى المسلمين، فكتب إليه عمر: "أن اطرحوها في الماء، فإن يكن فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منه، وإن يكن ضلالا فقد كفانا الله" فطرحوها في الماء أو في النار[1]، وسواء صحت هذه الرواية التي انفرد بها ابن خلدون غير مسندة مع فقره في علم الحديث أم لا، فالواقع التاريخي يظهر تأخّر دخول الفلسفة إلى المسلمين إلى غاية اتصالهم باليونان مما يدل على المقاومة التي لقيتها الفلسفة من كل مصادرها من طرف الرعيل الأول من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، ولم يتبق إلّا أصول الفلسفة اليونانية، أما بالنسبة لمدرسة الإسكندرية التي فتحت بموازاة فتح فارس، فقد رُكِّز على الاستفادة من تراثها الطبي بشكل خاص واقتصرت الاستفادة الفلسفية على التتلمذ المباشر عند بعض علمائها[2]، ولم نجد فيما بين أيدينا من مصادر ما يشير إلى ترجمة كتبها الفلسفية، لذلك بدأت الأفكار الفلسفية تتوغل منذ بداية القرن (2هـ/8م) على يد المعتزلة الذين أطلقوا على فلسفتهم علم الكلام[3] والذي اتخذوه حسب زعمهم أسلوبا للدفاع عن الإسلام أمام أعدائه ولفهم ما أشكل عليهم فهمه من أمور الدين، هذه الأفكار الأولى التي يظهر أنّها دخلت عن طريق الاحتكاك بغير المسلمين والتعلم على أيديهم ولم تكن نتاجا للترجمة، فأول ذكر لترجمة كتب الفلسفة يرجع إلى الأديب ابن المقفع الفارسي (ت142هـ/759م) الذي انفرد بذكره الأديب والمتكلم الجاحظ البصري (ت255هـ/869م) في خضم حديثه عن عجز الترجمة عن تأدية المعنى الحقيقي لصاحب الكتاب الأصلي مقارنا بين المترجمين وأصحاب الكتب فيقول: "فمتى كان...ابن المقفّع مثل أرسطو طاليس..."[4]، وهذا يفهم منه أنّه ترجم بعض كتبه ولكن ترجمته حسب الجاحظ لن تكون في مستوى مقصد أرسطو، والأديب ابن النديم البغدادي (ق4هـ/10م) الذي قال عن ابن المقفع إنّه لخّص بعض كتب الفلسفة ونقل بعض كتب المنطق[5]، وتفرّد المؤرخ صاعد الأندلسي (462هـ/1070م) بالقول إنّه ترجم لأرسطو بعض الكتب[6] ومن جاء بعدهم عيال عليهم في الخبر وبالأخص ابن النديم

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة مصدر سابق، ص 517.

[2]- علي سامي النشار: المرجع السابق، ج1، ص 104.

[3]- سليم طه التكريتي: أثر الترجمة في تطور الفكر العربي الإسلامي، مجلة أقلام، ع21، ج9، وزارة الثقافة والإرشاد، العراق، السنة 1، 1965، ص 68، ص 70.

[4]- الجاحظ: الحيوان، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ج1، ص 53-54.

[5]- ابن النديم: المصدر السابق، ص 300-308.

[6]- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 49.

وصاعد الأندلسي، ولكن فيما أوردوه من الغموض والتناقض والاضطراب ما يجعلنا نعلّق الخبر[1]، ولو افترضنا أنّ ابن المقفع ترجم فعلا بعض كتب الفلسفة لأرسطو أو غيره فإنّ تأثير ذلك كان ليكون ضعيفا جدا لأنّ هذه الجهود المنفردة لن تستطيع إحداث التغيير بمفردها خاصة إذا علمنا أنّ الفترة التي نشط فيها ابن المقفع (النصف الأول من القرن 2هـ/8م) كانت الأولوية فيها للكيمياء والفلك والحساب والطب، ولم تلق الفلسفة فيها عناية تذكر من الدولة أو المهتمين بالعلوم، زيادة على توجسهم منها ومحاربتهم لها، فبقي نطاق الفلسفة ضيقا جدا إلى خلافة الخليفة العباسي المأمون (198-218هـ/814-833م) حيث انفتح باب ترجمة كتب الفلسفة والمنطق بقوة[2] وكانت الفلسفة اليونانية هي المقصد للتراجمة الذّمّيين وخاصة كتب فيلسوفها الكبير أرسطو (384-322ق م)[3] وبالرغم من بدايتها المتأخرة إلّا أنّ ضجيجها كان كبيرا جدا لعظم الاهتمام بها وكثرة الكتب المترجمة وما رافق ذلك من الكلام والجدل فيها وشيوع المناظرة التي شجعها المأمون[4] حول مواضيعها البارزة، فضلا عن آثارها الجمة (التي سنوردها لاحقا في موضعها إن شاء الله تعالى)، وكان الذي حمل لواء ترجمة الفلسفة اليونانية التراجمة السريان كونهم أعلم بها وباللّغة اليونانية، لأنّ مراكزهم التقليدية ورثت الكثير من تراث هذه الحضارة فضلا عن الاحتكاك مع الروم البيزنطيين في الشام بشكل خاص، حيث كانوا هم الغالبين على الترجمة عموما والطب والفلسفة بشكل خاص، حيث بلغ عددهم في بداية حركة الترجمة زهاء أربعين مترجما عالما بالطب أو الفلسفة[5]، فقد ترجموا الكثير من كتب الفلسفة والمنطق على رأسها كتب أرسطو في المنطق، ونجد من أشهر المترجمين والترجمات ابن ناعمة عبد المسيح الحمصي (العصر العباسي الأول) الذي نقل عن اليونانية إلى العربية والسريانية بعض الكتب وعرّب "السوفسطيقا" لأرسطو، والمنطقي متى بن يونس القنائي (ت328هـ/939م) أستاذ الفيلسوف المسلم الفارابي

[1]- عبد الرحمن بدوي: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية مرجع سابق، ص 101؛ سعد محمّد الكردي: المرجع السابق، ع398، ص 162.

[2]- سعد محمّد الكردي: المرجع السابق، ع398، ص 165.

[3]- الشهرستاني: المصدر السابق، ج2، ص 114.

[4]- جمعة عبد الله ياسين: اهتمام العلماء بالحركة العلمية في العراق، (232-334هـ/847-946م)، مجلة آداب الفراهيدي، ع26، جامعة تكريت، العراق، 2016، ص 181.

[5]- بولس بهنام: كيف انتقلت الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية، مجلة الأديب، ألبير أديب، ع3، مطابع دار الأحد، لبنان، 1944، ص 25.

(ت339هـ/950م)، وهو أحد أبرز مترجمي كتب أرسطو[1] قال عنه الأديب ابن النديم البغدادي (ق4هـ/10م): "متى بن يونس: أبو بشر متى بن يونس...إليه انتهت رياسة المنطقيّين في عصره"[2].

ثالثا- الفلك:

فرض علم الفلك نفسه على المسلمين لعلاقته المباشرة بحساب عباداتهم، وقد اتفق فقهاء المسلمين على جواز معرفة الناس لعلم الفلك والنجوم للاهتداء بهما في سبلهم، ومعرفة المواقيت الدينية المرتبطة بالأهلة، كعلاقة الشمس المباشرة بالصلوات والقمر بصوم رمضان[3] وأمّا ما نهي عنه هو الاعتقاد بالتأثير، وأما الحساب والتسيير فلا حرج فيه[4]، بل محبذ في بعض الأمور كما بيّنا إذا لم يتعارض مع الشرع، أما الاعتقاد بالتأثير في الحوادث فهو اعتقاد فاسد[5] وأشهر المصنفات المترجمة في هذا المجال الكتاب الهندي الشهير "السدهنتا" بأمر من الخليفة المنصور سنة (155هـ/773م) وهي رسائل هندية في علم الفلك والحساب، والكتاب اليوناني الشهير "المجسطي" للعالم اليوناني بطليموس[6] الذي ترجمه حنين بن إسحاق إلى العربية، ومن أبرز الذّمّيين في هذا العلم سند بن علي اليهودي (ت بعد 249هـ/864م) الذي كان مهتما بحركة النجوم وعمل آلات الرصد والإسطرلاب وله زيج مشهور اعتمده المنجّمون مرجعا[7] مدة من الزمن، وله مصنفات كثيرة في هذه الصناعة.

رابعا- الكيمياء:

عرف المسلمون الكيمياء أو علم الصنعة بمعنى صناعة الذهب والفضة منذ القرن الأول الهجري السابع الميلادي إلى عهد الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية الذي يعتبر الكيميائي العربي الأول[8] وأول كتاب نقل إلى العربية كان في الكيمياء ويعود إلى مجموعة رسائل للكيميائي الشهير زوسيموس

---

(1)- فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج1، ص 60.

(2)- ابن النديم: المصدر السابق، ص 324.

(3)- عبد المجيد المشعبي: التنجيم والمنجّمون وحكمهم في الإسلام، ط1، مكتبة الصديق، السعودية، 1994، ص 160.

(4)- عبد الرؤوف المناوي: فيض القدير في شرح الجامع الصغير، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1937، ج1، ص 203.

(5)- عبد المجيد المشعبي: المرجع السابق، ص 212.

(6)- بطليموس: كلوديوس بطليموس فلكي ورياضي يوناني كبير (ت ق 2م) يعتبر بلا جدال من أعظم علماء الفلك الأقدمين من أهم أعماله كتاب "المجسطي" الذي يعتبر أقدم كتاب فلك وظلت أفكاره مؤثرة في علم الفلك لمدة طويلة جدا حتى التاريخ الحديث مع أعمال الفلكي الشهير كوبرنيكس (ت1543م)؛ ينظر ول ديورانت: المرجع السابق، ج11، ص 106.

(7)- عبد المجيد المشعبي: المرجع السابق، ص 120.

(8)- فؤاد سزكين: المرجع السابق، ط1، 1986، مج4، ص 5.

السكندري (عاش ما بين ق 3و5م) كتبت سنة (38هـ/659م)[1]، وتعد كتب سقراط المزيفة في الكيمياء من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الكيمياء الإسلامية[2].

خامسا- الرياضيات:

نالت الرياضيات أهمية كبيرة عند المسلمين لفائدتها الدينية والدنيوية لعلاقة فروعها المباشرة كالحساب بالعبادات والتشييد، واعتمدوا في ذلك على ما وصلهم من اليونان والهند، هذه الأخيرة التي عرف العرب حسابها عن طريق الفرس[3]، ولقد ورث المسلمون عن اليونان كثيرا مما ورثوه من علوم الأقدمين، فترجموا الكتاب اليوناني الشهير "الأصول" لإقليدس أشهر كتب الهندسة وقتئذ والذي ترجم في بداية العصر العباسي في خلافة المنصور واهتم به النقلة أيّما اهتمام فهو مبدأ علم الهندسة على الإطلاق[4]، ولكن كان للهند مكانة متقدمة في علم الحساب، منذ الأيام الأولى لحركة الترجمة المنظمة فقد أمر المنصور كذلك سنة (155هـ/773م) بترجمة "السدهنتا" وهي رسائل هندية في علم الفلك والحساب يرجع تاريخها إلى عام (425ق م) ويرى المؤرخ الأمريكي ول ديورانت (ت1981م) أنّه ربما كانت هذه الرسائل هي الوسيلة التي وصلت بها الأرقام العربية من الهند إلى المسلمين ففي سنة (197هـ/813م) استخدم الرياضي الكبير مُحَّد بن موسى الخوارزمي (ت بعد 232هـ/847م) الأرقام الهندية في جداوله الرياضية، ثمّ نشر في عام (209هـ/825م) رسالة بعنوان "الخوارزمي عن أرقام الهنود" وتعرف في اللاتينية باسم Algoritmi de numero Indorum[5]، ومن المترجمين الهنود في هذا العلم الذين وصلت أخبارهم إلينا منكه وابن دهن وعبد الله بن علي، والطبيب كنكه الذي برع في الرياضيات والنجوم، وقد ساهموا في الترجمة بأمر من يحيى بن خالد البرمكي[6].

سادسا- علم النبات:

---

[1]- فؤاد سزكين: المرجع نفسه، مج4، ص 20-21.

[2]- فؤاد سزكين: المرجع نفسه، مج4، ص 136.

[3]- فؤاد سزكين: المرجع نفسه، ترجمة: عبد الله حجازي وآخرون، ط1، 2002، مج5، ص 15.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص 524.

[5]- ول ديورانت: المرجع السابق، ج13، ص 180.

[6]- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ج1، ص 295.

علم النبات فرع من علم الفلاحة عند المسلمين الأوائل الذين لم يفرقوا بين الاسمين في القرون الأولى[1]، وبشيوع الترجمة عرف المسلمون فنون الزراعة وأنواع المحاصيل الزراعية التي كانوا يجهلونها واستفادوا من خبرات عدة أمم كانت علومهم بعيدة المنال[2]، حيث تمت ترجمة كتب كبار العلماء اليونان في علم النبات والفلاحة، للاستفادة منها في خدمة الزراعة الإسلامية، فقد اهتم الحكام بشؤون الفلاحة والمحاصيل النباتية، وعلى رأسهم الخليفة المأمون الذي كان يوصي بالاهتمام بتنويع المحاصيل والعناية بها لتزداد جودتها وكميتها[3]، وممن ترجم كتب النبات الناقل اصطفن بن بسيل (ق3هـ/9م) حيث ترجم كتاب "الأدوية المستعملة" لأوريباسيوس[4] وكتاب "الحشائش" لديوسقوريدس[5] من اليونانية اليونانية (في عصر المتوكل) ويعرف أيضا بـ "هيولي علاج الطب"، وأيضا بـ "الأدوية المفردة" و أيضا "الخمس مقالات"، هذا الكتاب الذي اعتنى به المترجمون الذّمّيون والعلماء المسلمون عناية كبيرة مقارنة بكتب النبات والأدوية الأخرى، لسبقه في تركيب العقاقير وصناعة الأدوية من النباتات الطبية، وبقي عمدة في تخصصه مدة طويلة[6].

ولم يتوقف المسلمون عند دراسة النبات من حيث علاقته بالطب والصيدلة بل تعدوا ذلك إلى طرق زراعته والعناية به وحصاده، وهو ما يعرف بالفلاحة التي تدارسوها وفق النظريات العلمية الخاصة بها حسب كل حضارة، فقسموها حسب الحضارات المتفوقة فيها وهي الفلاحة الرومية والنبطية حيث درسوا فلاحة الحضارتين[7] وترجموا تراثهما للإفادة منه، فنجد الفلاحة الرومية أو اليونانية التي وضع

(1)- مهدي محقق: نظرة إلى فن الفلاحة في الإسلام، ترجمة: عماد الدين عبد الرزاق، مجلة التراث العلمي العربي، ع1، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، 2014، ص 89.

(2)- محقق مهدي: المرجع السابق، ع1، ص 88.

(3)- محقق مهدي: المرجع السابق، ع1، ص 90.

(4)- أوريباسيوس: طبيب يوناني كبير، عاش في القرن (4م)، له عدة كتب في الطب وأشهر كتاباته كانت في الأمراض الغذائية وطب الأطفال وتشريح الأعضاء الباطنية (ت403م)؛ ينظر ابن النديم: المصدر السابق، ص 354؛ كمال السامرائي: المرجع السابق، ج1، ص 179.

(5)- ديوسقوريدس: أو ذياسقوريذوس العين زربي طبيب يوناني عاش في القرن (1م)، عالم بالأدوية وبصناعتها اشتهر بكتابه "الحشائش" الذي أخرج فيه صناعة الأدوية من النباتات الطبية، وهو من أشهر الكتب في صناعة الأدوية وقتئذ كما كان مهتما بكتب أبقراط الطبية (ت90م)؛ ينظر القفطي: المصدر السابق، ص 142.

(6)- القفطي: المصدر السابق، ص 142؛ أحمد عيسى: المرجع السابق، ص 54.

(7)- مهدي محقق: المرجع السابق، ع1، ص 91؛ أحمد عيسى: المرجع السابق، ص 117.

أصولها اليونان والرومان ومن أشهر كتبهم "الفلاحة الرومية" لقسطوس بن سكوار أسكينه[1]، الذي ترجم عدة ترجمات أحسنها ترجمة سرجس بن هليا الرومي (ق3هـ/9م)[2] والكتاب اليوناني "فلاحة الأرض" الذي ترجم للبرامكة سنة (179هـ/795م)[3]، والفلاحة النبطية[4] بالعراق القديم التي تركت بصمة في الفلاحة أشهرها كتاب "الفلاحة النبطية" لقوثامي النبطي[5] وقد ترجم هذا الكتاب الشهير على يد مترجم مسلم هو الكيميائي واللغوي ابن وحشية النبطي (ت317هـ/930م)[6] وسماه "كتاب إفلاح الأرض وإصلاح الزرع والشجر والثمار ودفع الآفات عنها"، وقد اشتغل ابن وحشية هذا بالنجوم والصنعة والفلاحة وأكثر ما ترجم من اللغة النبطية[7] ومن الكتب المترجمة أيضا "تفسير كتاب أرسطو طاليس في النبات" الذي ترجمه إسحاق بن حنين ثمّ أصلحه ثابت بن قرة ووضع له هذا الاسم وإن ثبت الكتاب فلم يثبت تأليف أرسطو له فيبدوا أنّه من الكتب المنتحلة المزيفة المنسوبة له[8]، كما اهتموا بعالم الحيوان الذي هو جزء من الفلاحة وكان أشهر مصدر لعلم الحيوان الإسلامي هو كتاب "الحيوان" لأرسطو طاليس الذي ترجمه يحي بن البطريق في القرن (2هـ/8م)[9].

يظهر من كل هذا اتساع الترجمة إلى اللغة العربية لتشمل مختلف المجالات العلمية، والتي اهتمت بتراث مختلف الحضارات السابقة اليونانية والفارسية والهندية والصينية والمصرية وغيرها، ولكن بشكل خاص التراث اليوناني، حيث شملت معظمه في الفلسفة والطب والفلك والرياضيات[10]، وبذلك تجمّع للمسلمين مادة علمية خصبة ومتنوعة صقلوها وفق أحكام ثقافتهم فمكنتهم من تطوير حضارتهم تطويرا ماديا مذهلا.

---

(1)- قسطوس بن سكوار أسكينه: لم نجد له ترجمة فيما وصلنا إليه من مصادر.

(2)- حاجي خليفة: المرجع السابق، ج2، ص 1447.

(3)- مهدي محقق: المرجع السابق، ع1، ص 92.

(4)- النبطية: هي الحضارة النبطية التي قامت بشمال شبه الجزيرة العربية والشام (شرق الأردن) في القرن (4ق م) عاصمتها البتراء لغتها هي العربية بدأت كمجتمع رعوي ثم استقر ومارس الزراعة والتجارة؛ ينظر عبد الوهاب الكيالي: المرجع السابق، ج1، ص 337.

(5)- قوثامي: أو قوتعامي له الكتاب الشهير الفلاحة النبطية وقد اختلف في تاريخ كتابته وقد ترجم في نهاية القرن (3هـ/9م)؛ ينظر أحمد عيسى: المرجع السابق، ص 122.

(6)- مهدي محقق: المرجع السابق، ع1، ص91- 92؛ أحمد عيسى: المرجع السابق، ص 119-127.

(7)- فؤاد سزكين: المرجع السابق، ط1، 1986، مج4، ص 416.

(8)- فؤاد سزكين: المرجع نفسه، ط1، 1986، مج4، ص 467.

(9)- فؤاد سزكين: المرجع نفسه، مج3، ج1، ص 554.

(10)- فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج1، ص 68؛ عبد الرحمن بدوي: الفلسفة والفلاسفة المرجع السابق، ص 10.

المبحث الثالث: كبار المترجمين:

أجمع مؤرخو المسلمين القدامى على أنّ كبار المترجمين وحذاقهم أربعة هم حنين بن إسحاق ويعقوب بن إسحاق الكندي وثابت بن قرة وعمر بن فرخان الطبري[1]، وهذا من حيث البراعة ولكن من حيث العدد والانتشار فقد استحوذ مترجمو أهل الذّمّة على الترجمة في القرنين الأول والثاني الهجريين السابع والثامن الميلاديين بشكل كامل فلم يظهر من المترجمين المسلمين إلا عدد قليل جدا على رأسهم الأديب والناقل ابن المقفع (ت142هـ/759م) والمترجم عمر بن فرخان الطبري (ت199هـ/815م)، وفي القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ظهر بعض المترجمين المسلمين على رأسهم الفيلسوف الكندي يعقوب بن إسحاق (ت252هـ/866م)[2]، ولكن رغم شهرة الكندي في حركة الترجمة إلّا أنّ دوره كمترجم مجهول حيث لم تصلنا من تراجمه إلّا القليل جدا[3].

وهناك ملاحظة تتعلق بالتراجمة من أهل الكتاب وهي نقص المترجمين اليهود حيث يبدو أنّ اهتمام اليهود بالعلوم وقتئذ كان ضعيفا مقارنة بالصنائع، يقول عنهم الأديب والمتكلم الجاحظ البصري (255هـ/868م) في هذا الصدد: "...ولا تجد اليهودي إلا صباغا، أو دباغا، أو حجاما، أو قصابا، أو شعابا"[4]، وهذا بالرغم من التسامح والحرية التي تمتعوا بها خاصة في عهد المأمون، وهذا بشهادة المؤرخين المؤرخين غير المسلمين يقول المؤرخ العراقي النصراني غنيمة يوسف رزق الله (ت1369هـ/1950م): "...وأكثرهم تساهلا المأمون فإنّه رأف برعاياه واستفاد من مواهبهم العقلية وذخائرهم العلمية على اختلاف أديانهم وتباين مذاهبهم وأطلق الألسنة والأقلام حرة تتكلم ما تشاء وتسطّر ما تريد لا ينازعها منازع ولا تسيطر عليها سلطة غشوم فضاهت حرية النشر والكلام في زمانه الحرية المستتبة اليوم بين ظهراني الأمم العريقة في الحضارة"[5]، وهذا لأنّنا لا نجد لهم أثرا بارزا بالرغم من هذه الحرية والإمكانيات المتوفرة والتأريخ الذي كان دقيقا في نقل الأخبار في هذه الفترة مثلما نجد أخبار علماء النصارى والصابئة والهنود، وهناك سبب آخر قد يكون وراء قلة العلماء اليهود المتفاعلين مع الحضارة الإسلامية وهو اهتمامهم بأمور دينهم وما يتصل بها بشكل خاص يقول عنهم المؤرخ والفلكي صاعد الأندلسي

---

[1]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 286؛ سليم طه التكريتي: أثر الترجمة في تطور الفكر العربي الإسلامي، مجلة أقلام، ع21، ج9، وزارة الثقافة والإرشاد، العراق، السنة 1، 1965، ص 68.

[2]- يحيى وهيب الجبوري: المرجع السابق، ص 150.

[3]- عبد الرحمن بدوي: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ص 60.

[4]- الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964، ج3، ص 316.

[5]- غنيمة يوسف رزق الله: نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ط1، مطبعة الفرات، بغداد، 1924، ص 108.

(ت462هـ/1070م): "ولقد كان ليهود بغداد تضلع من فقه دينهم وحسابات أعيادهم وسني تاريخهم حتى أنّ يهود الأندلس كانوا يرجعون إليهم في كل ذلك..."[1]، هذا الدين السلالي الذي يقيد أبواب بحثهم في علوم معينة لا تتعارض مع أصول نحلتهم وفي هذا يورد الجاحظ واصفا لمنهج اليهود العلمي:"وإنّما اختلفت أحوال اليهود والنصارى في ذلك لأنّ اليهود ترى أنّ النظر في الفلسفة كفر، والكلام في الدين بدعة، وأنّه مجلبة لكل شبهة، وأنّه لا علم إلا ما كان في التوراة وكتب الأنبياء، وأنّ الإيمان بالطب وتصديق المنجّمين من أسباب الزندقة والخروج إلى الدهرية، والخلاف على الأسلاف وأهل القدوة، حتى إنّهم ليبهرجون المشهور بذلك، ويحرمون كلام من سلك سبيل أولئك"[2]، لهذا نجد أنّ أغلب النقلة من النصارى.

ومن أشهر مترجمي أهل الذّمّة حسب تاريخ ظهورهم نجد:

1- جورجِس بن جبريل بن بُخْتيشوع: (ت نحو153هـ/771م) طبيب ومترجم نصراني من أوائل الأطباء عند العباسيين حيث استدعاه الخليفة المنصور من جنديسابور ليداويه سنة (148هـ/765م) واشتغل بطب المنصور وترجمة الكتب الطبية اليونانية إلى العربية ولم يمكث ببغداد إلا أربع سنوات ليعود إلى جنديسابور ببلاد فارس[3] وبها توفي، كان معالجا ماهرا تمكن حتى من علاج الأمراض المستعصية[4].

2- منكه الهندي: دخل بغداد في عهد الخليفة هارون الرشيد، قال عنه الطبيب والمؤرخ ابن أبي أصيبعة (ت668هـ/1270م): "منكه الهندي كان عالما بصناعة الطب، حسن المعالجة لطيف التدبير فيلسوفا من جملة المشار إليهم في علوم الهند، متقنا للغة الهند ولغة الفرس، وهو الذي نقل كتاب شاناق الهندي في السموم من اللّغة الهندية إلى الفارسي، وكان في أيام الرشيد هارون وسافر من الهند إلى العراق في أيامه واجتمع به وداواه"[5]، ثمّ نقل هذا الكتاب الشهير إلى العربية[6]، كان يترجم إلى الفارسية ثمّ إلى إلى العربية أو إلى العربية مباشرة.

3- كنكه الهندي: قصد بغداد بداية العهد العباسي ترجم له ابن أبي أصيبعة بقوله: " كنكه الهندي حكيم بارع من متقدّمي حكماء الهند وأكابرهم وله نظر في صناعة الطب وقوى الأدوية وطبائع

---

[1]- غنيمة يوسف رزق الله: المرجع السابق، ص 112.

[2]- الجاحظ: رسائل الجاحظ مصدر السابق، ج3، ص 314.

[3]- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ج1، ص 322.

[4]- فؤاد سزكين: المرجع نفسه، مج3، ج1، ص 323.

[5]- الطبري: المصدر السابق، ج8، ص 352؛ ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 375.

[6]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 474.

المولدات وخواص الموجودات وكان من أعلم الناس بهيئة العالم وتركيب الأفلاك وحركات النجوم... كنكه هو المقدم في علم النجوم عند جميع العلماء من الهند في سالف الدهر، ولكنكه من الكتب "كتاب النموذار في الأعمار" كتاب "أسرار المواليد" كتاب "القرانات الكبير" كتاب "القرانات الصّغير" كتاب "الطب" وهو يجري مجرى الكناش كتاب في "التّوهّم" "[1].

4- يوحنا بن البطريق: (ت نحو200هـ/815م) أحد أكبر المترجمين النصارى وروادهم حيث نبغ في الترجمة اللفظية للمصنفات وبها اشتهر، وكان طبيبا ومتفلسفا ولكن لم تتطرق المصادر إلى نشاطه الطبي ولا إلى مؤلفاته الطبية وترجماته باستثناء طريقته في الترجمة وبعض الكتب ذات محتوى حيواني وصيدلاني منها كتاب "السموم"[2].

5- بختيشوع بن جورجِس: ويكنى أبا جبريل طبيب ومترجم نصراني مشهور كان من المتقدمين عند العباسيين خدم الرشيد واشتهر في خلافته كما خدم الأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وكسب بالطب ما لم يكسبه مثله[3] عمل بجنديسابور خلفا لوالده ثمّ انتقل إلى بغداد سنة (171هـ/787م) لخدمة الخلفاء العباسيين والطب الإسلامي حتى اعتبر أبرع أطباء وقته[4].

جبريل بن بختيشوع بن جورجِس: (ت213هـ/828م) طبيب ومترجم نصراني سرياني زكّي ليكون طبيبا لجعفر بن يحيى البرمكي سنة (175هـ/791م) ثمّ أصبح طبيبا للخليفة هارون الرشيد سنة (190هـ/805م) ثمّ لخليفته الأمين ليسجنه بعدها المأمون بعد خلافته ليطلق بعدها سنة (202هـ/817م) لما احتاج لخدمته أحد خاصة المأمون ليدخل سنة (212هـ/827م) في خدمة المأمون ويختص بطبه وقدم له نصائح طبية صنّفها في رسائل مهمة منها "رسالة في المطعم والمشرب" و"صفات نافعة" ومن كتبه أيضا "كتاب في الباه" و"مقالة في العين" و"المدخل إلى صناعة المنطق" و"صنعة البخور" صنفه للمأمون[5]، وفي مقابل ذلك كان حظيا عند الخلفاء، رفيع المنزلة عندهم، وكانوا كثيري الإحسان إليه وحصل له من جهتهم من الأموال ما لم يحصله غيره من الأطباء.

---

[1]- ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، ص 473.

[2]- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ج1، ص 342.

[3]- ابن النديم: المصدر السابق، ص 358.

[4]- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ج1، ص 325.

[5]- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ج1، ص 344-345.

6- الحجاج بن مطر: (ت218ھ/833م) النصراني كان من كبار المترجمين ببيت الحكمة في عهد المأمون ونقل عدة كتب مهمة منها "أصول الهندسة لإقليدس"[1].

7- سلمويه بن بنان النصراني: (ت225ھ/840م) طبيب ومترجم نصراني كان طبيبا خاصا للخليفة المعتصم وبلغ بخدمته منزلة كبيرة[2] وصفه حنين بن إسحاق بأنّه أفضل أطباء عصره من آثاره "مختصر في الطب" و"تدبير الصحة"[3].

8- يوحنا بن ماسويه: (ت243ھ/857م) طبيب ومترجم نصراني ولد بجنديسابور ثمّ ارتحل إلى بغداد ووّكل إليه الرشيد إدارة المستشفيات والمدارس الطبية، عمل طبيبا لأربعة خلفاء من المأمون إلى المتوكل وكان مجلسه أعمر مجلس ببغداد وكان الخلفاء لا يأكلون طعاما إلّا بحضرته[4] لثقتهم في أمانته وبراعته.

9- علي بن ربن الطبري: طبيب ومترجم نصراني (ت نحو250ھ/864م) اشتهر في عدة علوم كالطب والفلسفة واشتغل بالفلك كذلك، حظي بمكانة كبيرة عند الخليفة المتوكل (232-247ھ/847-861م) وقد أسلم على يد الخليفة المعتصم (218-227ھ/833-842م) من كتبه "فردوس الحكمة" وهو أشهرها و"حفظ الصحة" و"الدين والدولة"[5].

10- حنين بن إسحاق: العبادي النصراني (ت260ھ/873م) والعباد هم من نصارى الحيرة بالعراق هو شيخ تراجمة الحضارة الإسلامية[6]، كبير مترجمي الكتب اليونانية إلى العربية، ومن أغزر المترجمين والأطباء إنتاجا، لازم بني شاكر بعد عودته من رحلة قام بها إلى بلاد الشام، فرغّبوه في الترجمة بالعطاء الجزيل فنقل لهم كثيرا من الكتب الطبية فأكثر ترجماته كانت لهم[7]، إضافة إلى الخليفة المأمون الذي كان يعطيه زنة ما يترجمه ذهبا مثلا بمثل[8]، كما كان حنين ذا حظوة عند الخليفة المنتصر (247ھ/861م) وخليفته المستعين (247-252ھ/861-866م) والخليفة المعتز

---

(1)- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 280.

(2)- ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، ص 234.

(3)- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ج1، ص 345.

(4)- القفطي: المصدر السابق، ص 283.

(5)- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ج1، ص 361-366.

(6)- فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج1، ص 16.

(7)- ابن النديم: المصدر السابق، ص 356.

(8)- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 260.

(252-255هـ/866-869م) والخليفة المهتدي (255-256هـ/870-870م) والخليفة المعتمد على الله (256-279هـ/870–892م) وكان أعلم أهل زمانه من المترجمين الذّمّيين باللغات اليونانية والسريانية والعربية فنبغ بشكل خاص في الترجمة، التي كان ينقلها بالمعنى بعد الاطلاع على عدة نسخ مع حرصه على الاطلاع على النسخة الأصلية كما قام بمراجعة الترجمات السابقة ويظهر أنّ هذا الجهد الكبير في الترجمة العلمية والمراجعة هو ما جعل المأمون يكرمه بالذهب مقابل كل كتاب، كما برع في طب العيون وماهرا في صناعة الكحل، وله تصانيف مشهورة بالجودة[1]، كما اهتم بشرح تفسير الكتب الطبية المهمة، واشتهر بعناوينه لهذه الكتب فكان يسبقها بعبارة "ثمار تفسير لكتاب..." و"جوامع كتاب..." وأيضا "شرح كتاب..."، وهذه المصطلحات جوامع وثمار غير مألوفة في الكتب العربية، وهذا من إبداعاته لصالح اللغة العربية، زيادة على تبسيطه الكبير للكتب اليونانية بالعربية، وهذان العملان من أعظم أعماله التي خدمت العلم الإسلامي خدمة عظيمة لا تقدر بثمن[2]، من أبرز كتبه "مسائل في الطب للمتعلمين" وهو كتاب مهم نال قيمة علمية كبيرة عند المسلمين ثمّ في الغرب الأوروبي[3] وكتاب "الأغذية" و"أوجاع المعدة" و"جوامع جالينوس في أسرار النساء" وعشرات الكتب والشروح والمختصرات التي أفادت العلوم الإسلامية[4].

11- إصطفن بن بسيل: (ق3هـ/9م) من كبار المترجمين الذّمّيين، وهو من طبقة حنين بن إسحاق[5] اشتهر بترجمة كتب النبات وكتاب "الحشائش" الشهير[6] وكتاب "الأدوية المستعملة" و"كتاب و"كتاب حركات الصدر والرئة" لجالينوس[7].

12- ثابت بن قرة الصابئ: (ت288هـ/901م) الحراني الطبيب والرياضي والفيلسوف الصابئ، يعد أحد أشهر النقلة والأطباء الذّمّيين نشأ بحران واشتغل بها صيرفيا ثمّ انتقل إلى بغداد وبرع في الطب وغلبت عليه الفلسفة والمنطق فانفرد بريادة الطب والفلسفة في عصره[8] ونقل عدة كتب فيهما

---

(1)- ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، ص 262.

(2)- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ج1، ص 380-382.

(3)- فؤاد سزكين: المرجع نفسه، مج3، ج1، ص 384.

(4)- فؤاد سزكين: المرجع نفسه، مج3، ج1، ص 390-398.

(5)- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 281.

(6)- أحمد عيسى: المرجع السابق، ص 54.

(7)- القفطي: المصدر السابق، ص 104.

(8)- أحمد عيسى: المرجع السابق، ص 66.

فيهما كانت له مكانة عظيمة عند العباسيين خاصة عند الخليفة المعتضد (279-289هـ/892-903م)[1] له من الكتب كتاب "في النبض" وكتاب و"وجع المفاصل والنقرس" و" جوامع كتاب الأدوية المفردة لجالينوس" و"جوامع كتاب المرة السوداء لجالينوس" و"جوامع كتاب سوء المزاج المختلف لجالينوس" و"جوامع كتاب الأمراض الحادة لجالينوس" و"جوامع كتاب الكثرة لجالينوس" و"جوامع كتاب تشريح الرحم لجالينوس" وأفضل كتبه ولكن لم يتمه هو "تسهيل المجسطي" وغيرها كثير جدا[2].

13- إسحاق بن حنين: بن إسحاق العبادي (ت297هـ/910م) من كبار المترجمين وغلبت عليه ترجمة كتب الفلسفة خاصة كتب أرسطو[3] كترجمته لجزء من كتاب "الإلهيات" و"كليات أرسطو طاليس"، كما ترجم كتاب الفلك والرياضيات الشهير لبطليموس "المجسطي" ومن كتبه كتاب "الأدوية المفردة " وكتاب "كناش الخف" وكتاب "تاريخ الأطباء"[4].

14- حبيش بن الحسن الأعسم الدمشقي: (ت نهاية ق3هـ/9م) الطبيب ابن أخت حنين بن إسحاق وعنه أخذ علم الطب ترجم كثيرا من الكتب الطبية وألف أيضا له "تعريف أمراض العين" وقد أرفقه بصور للعين وأمراضها[5] ومن كتبه أيضا "جالينوس في الأدوية المفردة" نقله لبني موسى بن شاكر[6].

15- قسطا بن لوقا البعلبكي: (ت300هـ/912م) اشتهر في الطب والرياضيات والفلسفة كان يتقن اليونانية والسريانية والعربية اشتهر بجلبه مخطوطات يونانية إلى بغداد عند قدومه إليها نقل منها "الكون والفساد" و"السماع الطبيعي" لأرسطو، وأشرف على الترجمة ببيت الحكمة، كما نقل وأصلح الكثير من الكتب، وبوفاته سنة (300هـ/912م) انتهت طبقة القرن (3هـ/9م)[7].

16- متّى بن يونس القنائي: (ت328هـ/939م) أبو بشر، ويلفظ أيضا ابن يونان وهو من دير قُنّي قرب المدائن التي كانت بها مدرسة عامرة ومكتبة قديمة[8]، وهو مترجم وفيلسوف نسطوري اشتهر

---

(1)- القفطي: المصدر السابق، ص 93.

(2)- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 298؛ الزركلي: المرجع السابق، ج2، ص 98.

(3)- أحمد عيسى: المرجع السابق، ص 65.

(4)- القفطي: المصدر السابق، ص 39- 66-95؛ الزركلي: المرجع السابق، ج1، ص 294.

(5)- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ج1، ص 412.

(6)- أحمد عيسى: المرجع السابق، ص 65.

(7)- جمعة عبد الله ياسين: المرجع السابق، ع26، ص 191.

(8)- فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج1، ص 34.

بالمنطق الأرسطي وترجمته وشرحه لكتبه حتى بلغ درجة كبيرة فيه وكان المعول عليه في هذا الفن في وقته[1]، من كتبه "تفسير الثلاث مقالات الأواخر" وغيره من الكتب المترجمة والمؤلفة[2].

يظهر لنا من كل هذا أنّ الترجمة هي نقل الكلام من لغة إلى أخرى وقد اهتم بها المسلمون وعلى رأسهم خاصتهم اهتماما بالغا حتى غدت حركت علمية شاملة تطورت تباعا منذ العهد الأموي وبلغت أوجها عند العباسيين الذين أولوها عناية خاصة فقرّبوا أهلها وجلّهم من أهل الذّمّة الذين قادوا هذه الحركة لأغراض متباينة.

المبحث الرابع: نتائج حركة الترجمة:

تداخلت في حركة الترجمة عدة معطيات متباينة الأصول والأهداف، فقد قامت بين المسلمين بإرادة إسلامية ولكن بسواعد غير مسلمة لها دوافعها الخاصة، والتي اعتمدت على مصادر خارجة عن الأصول الإسلامية كل هذا أدى إلى انعكاسات عديدة لهذه الحركة على المسلمين ففي ماذا تمثلت؟.

بالرغم مما أحدثته حركة الترجمة من قفزة نوعية في تطور العلوم عند المسلمين حتى يظهر لمتتبعها أنّها كانت عملية مفيدة وناجحة إلّا أنّ الحقائق الدينية والتاريخية التي انجلت بعد الحركة تباعا تبين كثيرا من النتائج السلبية العظيمة التي نتجت عنها والتي سنوردها أولا بدليلها لأثرها العظيم والخطير ونتبعها بالنتائج الايجابية.

أولا: النتائج السلبية:

نتج عن حركة الترجمة آثار كارثية على دين ودنيا المسلمين، ما زالت آثارها شاخصة إلى يومنا هذا وهذا للمحدثات والبدع السيّئة العظيمة التي ظهرت بفعل ترجمة كتب الحضارات الوضعية المخالفة لأصول المسلمين، وللمكانة المتقدمة التي بلغها النقلة الذّمّيون، والتي مكّنتهم من بث أفكارهم المنحرفة تلقينا أو تقليدا من جهلة المسلمين لهؤلاء ذوي الحظوة عند الحكام المسلمين، وأبرز هذه النتائج السلبية:

-دخول الفلسفة بين علوم المسلمين: فقد ظهرت عدة علوم جديدة بين معارف المسلمين وعلى رأسها الفلسفة والمنطق والتي ظهرت نتيجة لحركة الترجمة[3] بشكل مباشر بفعل نقل الفلسفة اليونانية إلى إلى اللّغة العربية[4]، فلم يعرف المسلمون في الصدر الأول هذا الدجل والتأويل الفاسد الذي تنطوي عليه

[1]- المسعودي: التنبيه والإشراف مصدر سابق، ص 105.

[2]- القفطي: المصدر السابق، ص 242.

[3]- مفتاح يونس الرباصي: المرجع السابق، ص 111.

[4]- عبد الرحمن بدوي: الفلسفة والفلاسفة مرجع سابق، ص 5.

عليه الفلسفة فقد كان السلف يمنعون الخوض في الفلسفة بقوة[1]، من ذلك معاقبة الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ صَبِيغ بن عسل التَّيْمِي لخوضه في الأمر، فقد تواتر أنّ رجلا يقال له صَبِيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن الكريم وعن تأويله، فأرسل إليه عمر بن الخطاب ﷺ ولما جاءه ضربه لسؤاله في هذا الموضوع ومنع الناس من مجالسته[2]، وهذا لخطر ما أقدم عليه على عقيدته وعقيدة المسلمين، ويقول الإمام الشافعي (ت204هـ/819م): "حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صَبِيغ"[3]، وقيل للإمام أبي حنيفة (ت150هـ/767م) ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام فقال: "مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف وإيّاك وكل محدثة فإنّها بدعة"[4]، وسأل رجل الإمام مالك بن أنس (ت179هـ/795م) عن القرآن فقال: "لعلّك من أصحاب عمرو بن عُبيد[5] لعن الله عمرا فإنّه ابتدع هذه البدع من الكلام ولو كان الكلام علما لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع ولكنّه باطل يدل على باطل"[6]، وحرّم الإمام الشافعي النظر في علم الكلام بفعل ما يخشى منه من إثارة الشبه والانجرار إلى البدع[7]، فقد روي عن العلامة أبي يوسف القاضي الحنفي البغداديّ (ت182هـ/798م) قوله: "ثلاثة لا يسلمون من ثلاثة: من طلب الدّين بالفلسفة لم يسلم من الزّندقة، ومن طلب المال بالكيمياء لم يسلم من الفقر، ومن طلب غرائب الحديث لم يسلم من الكذب"[8].

وكذلك المنطق وحتىّ إن لم يثبت موقف وكلام صريح من الصحابة والتابعين وتابعيهم رضوان الله عليهم أجمعين في علم المنطق لأنّه لم يظهر عند المسلمين في بداية عهدهم، فقد تكلّموا فيه بظهوره بين

---

(1)- السيوطي: صون المنطق مصدر سابق، ج1، ص 45.

(2)- مالك بن أنس: الموطأ، تحقيق: مُحَمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، 1985، ص 455؛ الدارمي: سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم الداراني، ط1، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، 2000، ج1، ص 252؛ أبو عبد الله الداني: سلسلة الآثار الصحيحة، مراجعة وتقديم: العبيلان عبد الله، ط1، دار الفاروق، مصر، 2003، ج2، ص 73.

(3)- الهروي: ذم الكلام وأهله، تحقيق: الشبل عبد الرحمن، ط1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1998، ج4، ص 246؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ج10، ص 29.

(4)- الهروي: المصدر السابق، ج5، ص 207.

(5)- عمرو بن عبيد: هو المتكلم عمرو بن عبيد البصري (ت144هـ/761م) شيخ المعتزلة في عصره اشتهر بالزهد زيادة على بدعة الاعتزال والقول في القدر؛ ينظر الذهبي: المصدر سابق، ج6، ص 104؛ الزركلي: المرجع السابق، ج5، ص 81.

(6)- الهروي: المصدر السابق، ج5، ص 73.

(7)- السيوطي: صون المنطق مصدر سابق، ج1، ص 52.

(8)- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984، ج2، ص 78.

المسلمين مباشرة، ولم يؤخروا البيان عن وقت الحاجة، فبدأ الموقف منه في أواخر القرن (2هـ/8م) ومن أوائل من تكلم فيه الإمام الشافعي (ت204هـ/819م) الذي قال فيه: "ما جهل الناس ولا اختلفوا إلّا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطو طاليس"[1]، ومن الأدلة التي ساقها في تحريم النظر في المنطق أنّه لم يرد الأمر به لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية ولم يثبت عن السلف الخوض فيه[2]، وهذا ما سار عليه كذلك أئمة المسلمين من تحريم الكلام في الدين بأصول فلسفية ومنطقية، وحجّتهم في ذلك أنّ السلف لم يتكلموا في الدين بذلك[3]، فقد اهتم السلف بأصول دينهم وما ينفعهم في دنياهم كالطب والفلك والحساب، وحتّ العرب قبل إسلامهم وبالرغم من شركهم كانت تغلب عليهم الفطرة والابتعاد عن الهرتقات.

وبدأ دخول كتب الفلسفة والمنطق إلى بلاد المسلمين على يد بعض خاصة المسلمين أولهم يحيى بن خالد بن برمك (ت190هـ/805م)[4]، الذي طلبها من بلاد الروم، فأرسلت إليه فجمع المترجمين عليها، وكان من شرها أنّه قلّ من نظر فيها وسلم من الزندقة[5]، ثمّ الخليفة المأمون الذي اهتم بها بقوة، فذكر أنّه لما هادن ملك قبرص طلب منه خزانة كتب لليونان، وكانت عندهم محفوظة لا يطّلع عليها، فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك، فكلهم أشاروا بعدم تجهيزها إليه إلّا رجل دين واحد، فإنّه قال: جهزها إليهم فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلّا أفسدتها وأوقعت بين علمائها[6]، ويقول اللغوي والمؤرخ الصفدي (ت764هـ/1363م) في سياق كلامه عن المأمون: "...فانفتح باب الجدل واحتاج كل أحد إلى ترجيح مذهبه وقوله بحجة عقلية أو نقلية أو مركبة منهما فهذا الأمر كان غير مأمون قبل المأمون، نعم زاد الشر شرا والضر ضرا وقويت به حجج المعتزلة وغيرهم وأخذ أصحاب الأهواء ومخالفوا السنة مقدمات عقلية من الفلاسفة فأدخلوها في مباحثهم وفرّجوا بها مضايق جدالهم وبنوا عليها قواعد بدعهم فاتسع الخرق على الراقع وكاد منار الحق الواحد

---

[1]- السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص 48.

[2]- السيوطي: المصدر نفسه، ج1، ص 64.

[3]- السيوطي: المصدر نفسه، ج1، ص 67.

[4]- يحيى بن خالد بن برمك: أبو الفضل وزير العباسيين وشيخ البرامكة ومؤدب الخليفة هارون الرشيد اشتهر بالجود بلغ مكانة عظيمة عند هارون الرشيد، وبعد نكبة البرامكة سجنه إلى وفاته سنة (190هـ/805م)؛ ينظر الزركلي: المرجع السابق، ج2، ص 98.

[5]- السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص 39-41.

[6]- صلاح الدين الصفدي: شرح لامية العجم، ج1، ص 46؛ السيوطي: صون المنطق مصدر سابق، ج1، ص 41؛ شمس الدين السفاريني: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، ط2، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، 1982، ج1، ص 9.

يشتبه بالثلاث الأثافي والرسوم البلاقع..."[1]، فهذه الكتب كانت لها أخطار عظيمة على عقيدة جهلة المسلمين لا يعلمها إلا الله تعالى يرى الأديب والمتكلم الجاحظ: "إنّ من بين الأشياء التي تخفى بعناية عن عيون الناس إلى جانب الشراب المكروه الكتاب المتهم"[2] وهذا لما فيه من الشبهات، وهذه شهادة متكلم مبتدع ولكنّه عالم باللّغة فما بالنا بشهادة أهل الأثر.

فدخول الفلسفة والتأويل التي كان يتعاطاها الذّمّيون وأتباعهم من جهلة المسلمين جعلتهم يتنطعون للخوض في القرآن الكريم والسنة المطهرة مع أنّ ذلك لا يتأتّى إلّا لجهابذة العلماء المتمكنين من اللّغة العربية وأصول الدين وليس للأعاجم وجهلة المسلمين، فقد أشار السلف إلى أنّ من أسباب الابتداع الجهل بلسان العرب[3]، فجاء عن التابعي الجليل الحسن البصري (ت110ھ/728م) عن المبتدعة قوله: "إنّما أهلكتهم العجمة"[4]، ووصف الأديب ابن قتيبة الدينوري (ت276ھ/889م) المعاصر لحركة الترجمة ذلك بقوله في باب ذكر العرب وما خصّهم الله به من العارضة والبيان واتّساع المجاز: "وإنّما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللّغات، فإنّه ليس في جميع الأمم أمّة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجال ما أوتيته العرب خصّيصى من الله، لما أرهصه في الرسول وأراده من إقامة الدليل على نبوّته بالكتاب، فجعله علمه، كما جعل علم كل نبي من المرسلين من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه...وكان لمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم الكتاب الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، لم يأتوا به، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا..."[5]، فللعرب المجازات في الكلام والاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والإخفاء والإظهار والتعريض والإفصاح والكناية والإيضاح إلى غير ذلك من القواعد البديعة التي نزل بها القرآن فلهذا لا يستطيع أحد من التراجمة أن يترجمه كما ترجمت الكتب السماوية الأخرى[6]، لأنّه إن نقل باللّفظ لم يفهمه المتلقي وإن نقل بالمعنى فبلفظ آخر فهو تفسير مخالف لنص القرآن، كما أنّ قبول المسلمين للفلسفات الباطلة والاستعانة بها في معرفة العقائد، وتقريرها هي بمثابة

---

(1)- صلاح الدين الصفدي: المصدر السابق، ج1، ص 46.

(2)- مصطفى عبد الحميد: نظرية الجاحظ في الترجمة، مجلة المورد، مج7، ع4، وزارة الثقافة والفنون، العراق، 1978، ص 44.

(3)- السيوطي: صون المنطق مصدر سابق، ج1، ص 52.

(4)- البخاري: التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، الهند، (د ت)، ج5، ص 93.

(5)- ابن قتيبة الدينوري: تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت)، ص 17.

(6)- السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص 62.

شهادة تزكية لها، وهذا يرفع من شأنها كما قد يشير إلى حاجة المسلمين وفقرهم إليها، مع أنّ الواقع هو أنّ الإسلام في أشد الغنى عنها[1].

-فساد عقيدة بعض المسلمين: وهذا من أعظم الكوارث على المسلمين يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه (ت728هـ/1328م): "ثمّ بنبوّة خاتم المرسلين وأظهر الله من نور النّبوّة شمسا طمست ضوء الكواكب وعاش السلف فيها برهة طويلة ثمّ خفي بعض نور النّبوّة؛ فعرّب بعض كتب الأعاجم الفلاسفة من الروم والفرس والهند في أثناء الدولة العباسية ثمّ طلبت كتبهم في دولة المأمون من بلاد الروم فعرّبت ودرسها الناس وظهر بسبب ذلك من البدع ما ظهر"[2]، ويقصد هنا بشكل خاص الفلسفة والمنطق ويقول المفكر محمّد إقبال (ت1356هـ/1938م) رحمه الله: "إنّ الفلسفة اليونانية مع أنّها وسّعت آفاق النظر العقلي عند مفكري الإسلام، غشّت على أبصارهم في فهم القرآن"[3]، فقد أدّت ترجمة كتب الفلسفة والمنطق الأرسطي إلى شيوع التأويل الفاسد والجدل، وهذا لإقبال بعض جهلة المسلمين عليها بعد أن فتنوا بها فقد حاولوا التفلسف والتأويل وفق منهجها فراحوا يفسرون تعاليم الإسلام في ضوئها، وحاولوا التوفيق بينها وبين الإسلام، وعملوا على تفسير القرآن على ضوء الفكر اليوناني[4] الوضعي المنحرف الذي نهت عنه تعاليم الإسلام الإلهية وحذّر منها العلماء يقول الأصولي والمؤرخ الذهبي (ت748هـ/1347م): "والحكمة الفلسفية الإلهية ما ينظر فيها من يرجى فلاحه ولا يركن إلى اعتقادها من يلوح نجاحه فإنّ هذا العلم في شق وما جاءت به الرسل في شق ...إذ الدين مازال كاملا حتى عرّبت هذه الكتب ونظر فيها المسلمون فلو أعدمت لكان فتحا مبينا"[5]، ويقول في موضع آخر: "والمنطق نفعه قليل وضرره وبيل وما هو من علوم الإسلام"[6]، هذه الفلسفة والمناهج التأويلية الفاسدة التي شهد بفسادها حتى غير المسلمين يقول مثلا المؤرخ الأمريكي ول ديورانت (ت1401هـ/1981م): "كان تحول سقراط والسوفسطائيين عن دراسة العالم الخارجي إلى دراسة العالم الداخلي ومن الطبيعة إلى علم

---

[1]- عبد الله الجلابوع: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية من الأفكار الهدامة، ط1، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 2003، ج1، ص 129.

[2]- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمّد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1995، ج2، ص 84.

[3]- محمّد إقبال: تجديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة: عباس محمود، ط2، دار الهداية، مصر، 2000، ص 10.

[4]- عثمان جمعة ضميرية: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ط2، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، 1996، ص 65-66.

[5]- الذهبي: زغل العلم، تحقيق: العجمي محمّد بن ناصر، مكتبة الصحوة الإسلامية، الكويت، (د ت)، ص 44-45.

[6]- الذهبي: المصدر السابق، ص 43.

الأخلاق، كان هذا التحول سببا في تحويل التفكير اليوناني من مشاكل الطبيعة والنشوء والتطور إلى مشاكل ما وراء الطبيعة والأخلاق وظل العلم واقفا لا يتحرك مائة عام كاملة خضع فيها اليونان لسحر الفلسفة ومفاتنها"[1]، فهو يشير مباشرة إلى تعطيل هذه الفلسفة للحضارة اليونانية، فهذا الفساد بين المسلمين كان بفعل حرية التكلم في العقائد وحرية نقل وترجمة الكتب المختلفة خاصة في عصر المأمون الذي بدأت تظهر في عهده نتائج مثالبه بسرعة ككثرة المتنبئين والفتنة العظيمة "خلق القرآن"، فهذا التأثّر بالفكر اليوناني الباطل شرعا وعقلا ظهر بعد ترجمة كتب الفلسفة والمنطق اليونانيين، وكان من أبرز أسباب الانحراف بعد أن فتن بها بعض المسلمين كالمعتزلة وكانت مدخلا للقول ببدع كثيرة، وهذا التأثير واضح في مزج علم الكلام بمنطق أرسطو وغيره، مما تصدى لبيانه ونقضه علماء الإسلام كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره ممن يمثلون منهج الأصالة بالعودة إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة[2]، فالفيلسوف والطبيب الكندي (ت بعد 256هـ/870م) كان من رواد علم التنجيم وله مكانة في الطب التنجيمي[3]، مع العلم أنّ نشأته كانت فلسفية فانحرف ولم تحمه فلسفته من التأثّر بخرافات التنجيم.

ويذهب الإمام الشافعي إلى أنّ سبب ظهور البدع في عهد المأمون هو الجهل باللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة والاهتمام بلغة اليونان وعلومهم، التي لا تمكّن من فهم نصوص القرآن الكريم والسنة المشرفة وفق ما أراده الله تعالى ورسوله ﷺ[4]، ويفهم مما ذهب إليه الإمام الشافعي أنّ ترجمة ما يتعلق بالأفكار وإدخالها في فهم أصول الدين مع أصلها غير العربي يحول دون فهم صحيح للنصوص، ما يستفاد منه نهيه عن الدخول إلى أصول الدين عبر طريق غير طريق اللغة العربية وقواعد السلف، ويقول الأديب والمتكلم الجاحظ البصري في هذا الشأن قولا مفيدا نورده على طوله لأهميته يقول: "...والخطأ في الدين أضرّ من الخطأ في الرياضة والصناعة والفلسفة والكيمياء، وفي بعض المعيشة التي يعيش بها بنو آدم، وإذا كان المترجم الذي قد ترجم لا يكمل لذلك، أخطأ على قدر نقصانه من الكمال، وما علم المترجم بالدليل عن شبه الدليل؟ وما علمه بالأخبار النجوميّة؟ وما علمه بالحدود الخفيّة؟ وما علمه بإصلاح سقطات الكلام، وإسقاط الناسخين للكتب؟ وما علمه ببعض الخطرفة لبعض المقدّمات؟ وقد علمنا أنّ المقدّمات لا بدّ أن تكون اضطراريّة، ولا بدّ أن تكون مرتّبة، وكالخيط

[1]- ول ديورانت: المرجع السابق، ج7، ص 194.

[2]- عثمان جمعة ضميرية: المرجع السابق، ص 213.

[3]- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ج1، ص 375.

[4]- السيوطي: صون المنطق مصدر سابق، ج1، ص 48.

الممدود وابن البطريق وابن قرّة لا يفهمان هذا موصوفا منزّلا، ومرتّبا مفصّلا، من معلّم رفيق، ومن حاذق طبّ فكيف بكتاب قد تداولته اللّغات واختلاف الأقلام، وأجناس خطوط الملل والأمم؟! ولو كان الحاذق بلسان اليونانيّين يرمي إلى الحاذق بلسان العربية، ثمّ كان العربي مقصّرا عن مقدار بلاغة اليوناني لم يجد المعنى والناقل التقصير، ولم يجد اليونانيّ الذي لم يرض بمقدار بلاغته في لسان العربية بدّا من الاغتفار والتجاوز، ثمّ يصير إلى ما يعرض من الآفات لأصناف الناسخين، وذلك أنّ نسخته لا يعدمها الخطأ، ثمّ ينسخ له من تلك النسخة من يزيده من الخطأ الذي يجده في النسخة، ثمّ لا ينقص منه ثمّ يعارض بذلك من يترك ذلك المقدار من الخطأ على حاله، إذا كان ليس من طاقته إصلاح السّقط الذي لا يجده في نسخته"[1]، هذا رأي أحد شيوخ المعتزلة الذين انحرفوا نتيجة لهذا الفساد فما بالنا برأي السلف وأهل الأثر والنقل، ويأتي اليوم من يدافع عن حركة الترجمة والفلسفة.

-انتشار الزندقة: حيث ساهمت حركة ترجمة العلوم التي انفتحت على مصراعيها على الثقافات الشركية الخطيرة التي عملت جاهدة على التوغل بين المسلمين، وعلى رأسها النحل الفارسية المجوسية التي تجلّت في ثوب الزندقة، يقول عنها المؤرخ المسعودي (ت346هـ/957م): "...لما انتشر من كتب ماني[2]

وابن دَيصان[3]، ومرقيون[4] ممّا نقله عبد الله بن المقفع، وغيره، وترجمت من الفارسية والفهلوية[5] إلى العربية، وما صنّفه في ذلك ابن أبي العوجاء[1]...من تأييد المذاهب المانية، والدَّيْصانية والمرقيونية فكثر

---

[1]- الجاحظ: الحيوان، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ج6، ص 462.

[2]- ماني: ماني بن فاتك يعرف بالحكيم، رجل دين مجوسي ولد ببابل سنة (215م) ادعى النبوة وسمّى نفسه فارقليط الذي بشر به المسيح عليه السلام فجاء بعقيدة مزيج من المجوسية والمسيحية والهندية واليهودية، وقال أنّ الإنسان خلقه الشيطان، ودعا إلى الثنوية وأباح نكاح الأخوات والبنات، والاغتسال بالبول، وغيرها من الضلالات، فتبعته جماعة عرفت بالمانوية، قتله أحد ملوك الفرس سنة (275م)؛ ينظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997، ج5، ص 272؛ ول ديورانت، المرجع السابق، ج11، ص 295؛ محمّد إبراهيم الفيومي: تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ط4، دار الفكر العربي، القاهرة، 1994، ص 308.

[3]- ابن ديصان: رجل دين مجوسي سمي بديصان نسبة إلى نهر ولد عليه وكان قبل ماني، وأتباعه الديصانية يقولون بالنور والظلمة، والفرق بينهم وبين المانوية في النور والظلمة منها أنّ المانوية يقولون إنّ النور والظلمة حيّان والديصانية يقولون إنّ النور حيّ والظلمة ميّتة؛ ينظر ابن النديم: المصدر السابق، ص 411.

[4]- مرقيون: رجل دين قبل ابن ديصان وأتباعه المرقيونية وهم ثنوية يقولون بإلهين وأصل ثالث جامع أقل من النور وفوق الظلمة وغيرها من الشركيات؛ ينظر الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص 258.

[5]- الفهلوية: لغة من لغات الفرس القديمة؛ ينظر الخوارزمي: مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت)، ص 138.

بذلك الزنادقة، وظهرت آراؤهم في الناس،..."[2]، والتي كان لها تأثير خطير جدا على الإسلام والمسلمين حيث اقتبست منها بعض التعاليم كالمانوية وبها دلّست على كثير من جهلة المسلمين.

-تفرق المسلمين: أدت حركة الترجمة بشكل مباشر إلى ظهور الفرق الإسلامية المبتدعة التي كان مبدأ بعضها سياسيا بحتا كالخوارج والشيعة ولكنها مع الوقت وبدخول تراجم الفلسفة والمنطق وما شاكلها وتشجيع دراستها والتعمق فيها[3] غدت الخلافات عقدية[4] وزادت انحرافا[5]، كما نشأت فرق جديدة ذات أصول عقدية وبدأ التكلم في أصول الدين بما يخالف مذهب ومنهج السلف، فكثر الخلاف والجدال قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ المائدة 14؛ يفسر الإمام الطبري الآية بقوله: "وأولى التأويلين في ذلك عندنا بالحق، تأويل من قال:-أغرى بينهم بالأهواء التي حدثت بينهم- لأنّ عداوة النصارى بينهم إنّما هي باختلافهم في قولهم في المسيح، وذلك أهواء، لا وحي من الله"[6]، وذلك كثمرة لنقضهم الميثاق فتعصبت كل طائفة لرأيها فثارت بينهم الخصومات وكثر الجدل فنشأ عن ذلك العداوات والبغضاء وستستمر إلى يوم القيامة[7]، وعن الإمام الجليل عبد الرحمن الأوزاعي (ت157هـ/774م) قال: "بلغني أنّ الله إذا أراد بقوم شرّا ألزمهم الجدل ومنعهم العمل"[8]، وهذا ما حصل لجهلة المسلمين بعد اشتغالهم بكتب الفلسفة والمنطق، فعن التابعي الجليل إبراهيم النّخعِيّ (ت96هـ/715م) في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء﴾

[1]- ابن أبي العوجاء: عبد الكريم بن نويره الهذلي زنديق جمع عدة ضلالات كالقول بالتناسخ والميل إلى الرافضة والقدرية، واشتهر بوضع الحديث، قتله أمير البصرة في خلافة المنصور سنة (155هـ/772م)؛ ينظر البلاذري: أنساب الأشراف، ج4، ص 97؛ عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1977، ص 255.

[2]- المسعودي: مروج الذهب مصدر سابق، ج4، ص 224.

[3]- مُحَّد باكريم مُحَّد: وسطية أهل السنة بين الفرق، ط1، دار الراية للنشر والتوزيع، السعودية، 1994، ص 300.

[4]- عصام الدين مُحَّد علي: المرجع السابق، ص 40؛ يونغ وآخران: الدين والتعليم والعلم في العصر العباسي، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016، ص 23.

[5]- مُحَّد العبدة وطارق عبد الحليم: مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم، ط2، دار الأرقم، الكويت، 1986، ص 112؛ مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب، ط11، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1996، ص 119.

[6]- الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد مُحَّد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000، ج10، ص 137.

[7]- أبو بكر جابر الجزائري: أيسر التفاسير، ط5، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2003، ج1، ص 609.

[8]- الهروي: المصدر السابق، ج5، ص 125.

المائدة14؛ قال: "أغري بينهم الجدال والخصومات في الدّين"[1]، وقال شيخ الإسلام الهروي عبد الله بن مُحَمَّد الأنصاري (ت481هـ/1089م): "فإنّ هذه الأمة لم يؤتوا في دينها من شيء ما أوتوا فيه من قبل التكلف والجدال وهما داء الأمم السالفة ولم يأتيا أمرا بخير قطّ وكتاب الله تعالى أنهى شيء عنهما أمرا والرسول المصطفى ﷺ أكره الخلق لهما وإن الله عزوجل لم يقبض إليه رسوله ﷺ حتى خار له وأغنى به وأكمل له الدين وأتمّ به النّعمة فترك الأمّة على واضحة ليلها كنهارها وما من طائر يطير بجناحيه إلّا وعندها فيه من نبيّها علم إلّا أن يضلّ عبد عمد عين فكان من أواخر ما أنزل على نبيّه ﷺ قوله جلّ ثناؤه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ المائدة 03"[2]؛ فكان هذا من أكبر أسباب التفرق التي عانى منها منها المسلمون ولازالت مؤثرة الى يومنا هذا.

-تغير النظم السياسية: والتي كانت منحرفة أصلا، وكان ذلك من نتائج ترجمة الكتب السياسية وكتب النظم، فأصبح الحكم أشبه بنظام الفرس والروم منذ عهد الخليفة المنصور، حيث صار مطلقا محكم القواعد ينطوي على أبّهة الحكم وتمجيد الحاكم، وهذا ما لم يكن قبل العباسيين، وكل هذا بفعل تراجم الفرس كابن المقفع في رسائله[3]، والذين كان هدفهم من ترجمة كتب السياسة الفارسية تقرير قواعد الحكم العباسي وبناء فلسفته على أسس فارسية، حتىّ ظنّ الناس أنّه لا سياسة إلّا للفرس، فسيطر نظام الحكم الفارسي على الأذهان، ففي خضم الصراع الشعوبي بين العرب والفرس في القرنين (2-3هـ) وموجة الذم والمدح كان الفرس يوصفون بالتفوق في سياسة الحكم حتى قالوا في هذا الصدد: "فللفرس السياسة والآداب والحدود والرسوم"[4]، واستقر كل هذا بفعل النقلة الفرس[5]، فنتج عن هذا استئناس بعض الحكام بأبّهة الحكم والتشاغل عن حوائج الناس دون أن ننسى ما يتم تبذيره على هذه المظاهر المبالغ فيها على حساب أمور أولى تنفع الرعية والدولة ممّا أدى إلى اتساع الفجوة بين الحكام والمحكومين.

-تدخل المترجمين في الشؤون الداخلية والعلمية: من نتائج ذلك أيضا التأثيرات السياسية الخطيرة بفعل ما بلغوه بعلمهم فتوغلوا إلى أماكن حساسة ما كانوا ليدخلوها كالطبيب إسرائيل بن زكريا بن الطيفوري (ت248هـ/862م) الذي كان بارعا في الطب، كبير القدر عند الخلفاء كثيري الاحترام له[6]

---

[1]- الهروي: المصدر نفسه، ج5، ص 43.

[2]- الهروي: المصدر السابق، ج1، ص 8.

[3]- عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق، ج1، ص 72-73.

[4]- التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2003، ص 72.

[5]- عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق، ج1، ص 6.

[6]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 225.

فاستغل هاته المكانة والثقة فانصاع لقادة الجيش لقتل الخليفة المنتصر (247-248هـ/861-862م) ففصده بريشة مسمومة فقتله[1]، وكما يقول ابن أبي أصيبعة عن المترجم ثابت بن قرة الصابئ: "وهو أصل ما تجدّد للصابئة من الرئاسة في مدينة السلام وبحضرة الخلفاء"[2]، ويقول عنه الذهبي: "فابن قرة هو أصل رئاسة الصابئة المتجددة بالعراق فتنبّه الأمر"[3]، فبفعل مكانته عند الخلافة استطاع تجديد وتأصيل نحلة الصابئة ببغداد وعلو شأنهم، وقد اشتهر يهود العراق بالتنجيم وبه دخلوا على الخلفاء[4]، وكان لجبرائيل بن بختيشوع بن جورجِس مكانة عجيبة عند الخليفة الرشيد وكانت تقوى في كل وقت حتى إنّ الرشيد قال لأصحابه: "كل من كانت له إلي حاجة فليخاطب بها جبرائيل، لأنيّ أفعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني"[5]، فيظهر أنّ علمه وعمله بالترجمة مكّنه من الحظوة عند الخليفة وتلبية رغبات الحاشية فما بالنا برغباته هو، وأكيد أنّها تتوافق مع عقيدته النصرانية، واستغل الطبيب والمترجم بختيشوع بن جبريل بن بختيشوع بن جورجِس النصراني (ت256هـ/870م) مكانته عند الخلفاء في التمكين لدينه من ذلك اهتمامه بدير في المدائن دفن به والده بختيشوع فوفّر له ما يقوم به من الرهبان والنفقات[6]، ونفس الشيء بالنسبة ليهود العراق المنجّمين، فقد استغل هؤلاء وهؤلاء دورهم العلمي في الترجمة وغيرها للتقرب من الخاصة وعلى رأسهم الخلفاء وتحقيق مآربهم الخبيثة وجعلهم سلما لشهواتهم[7].
لشهواتهم[7].

كما استغلوا هذه المكانة والثقة في ترجمة الغث والسمين من الكتب وعملوا على تزوير مؤلفي الكتب والزيادة فيها بالكذب فانتحلوا الكتب لإثبات آرائهم[8] يقول الجاحظ: "...فإنّا نوجدكم من كذب التّراجمة وزيادتهم، ومن فساد الكتاب، من جهة تأويل الكلام، ومن جهة جهل المترجم بنقل لغة

---

[1]- الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمّد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت)، ج1، ص 356؛ ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمّد الأرناؤوط، خرّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، 1986، ج3، ص 225.

[2]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 295.

[3]- الذهبي: سير أعلام النبلاء مصدر سابق، ج13، ص 485.

[4]- يوسف رزق الله غنيمة: المرجع السابق، ص 105.

[5]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 188.

[6]- القفطي: المصدر السابق، ص 112.

[7]- ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمّة، تحقيق وتعليق: يوسف بن أحمد البكري وشاكر العاروري، ط1، رمادي للنشر، السعودية، 1997، ج1، ص 461.

[8]- عبد الرحمن بدوي: الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1954، ج1، ص 8.

إلى لغة، ومن جهة فساد النّسخ..."[1]، ويظهر أنّ هذا راجع للتكسب من الترجمة التي كانت تدر عليهم كثيرا فاستغلّوا شغف رعاة الترجمة بها فزوّروا كثيرا من الكتب خاصة كتب أرسطو الذي نسبت إليه الكثير من الكتب[2]، إضافة فساد نحلهم فعملوا على إدخال هذا الفساد على المسلمين.

-ضعف المسلمين: كما كانت ترجمة العلوم الفاسدة عاملا من عوامل إضعاف الدولة الإسلامية وهزيمتها بعد ذلك عسكريا على المدى البعيد، فترجمة كتب التنجيم والفلسفية اليونانية التي وصلت إلى قمة الجهاز السياسي في الدولة العباسية وخاصة في عهد المأمون كانت إحدى عوامل الهزيمة الثقافية، بل الهزيمة العسكرية، وهذا بفعل التناحر الداخلي الذي أضعف المسلمين فأسباب الخلافات والصراع بينهم بدأت سياسية ثمّ غذّتها الاختلافات العقائدية التي دخلت نتيجة الترجمة والاختلاط بغير المسلمين، والتي أدّت بعد ذلك إلى الانقسام ثمّ الضعف وما تلاه من الغزوين الصليبي والتتري، فالخلاف بين السنّة والشيعة وما سبّب من صراع غذّته الانحرافات العقائدية التي جاءت نتيجة للترجمة، فأولى الدول الخارجة عن الخلافة كانت بسبب عقائدي كدولتي الخوارج (المدرارية والرستمية) بالمغرب الإسلامي، وهذا الربط بين ترجمة الفلسفة والتنجيم وغيرهما من العلوم الفاسدة والمفسدة والهزيمة الثقافية والعسكرية، هو واضح بيّن لا ريب فيه، وذلك أنّ سر قوة الإسلام وتمكّن أهله في الأرض إنّما كان بالتزام أهله بالدين الصافي واستغنائهم عن غيره من التشريعات والأفكار الوضعية، ووحدته العقدية ولكن بعد الترجمة العشوائية كان ما ابتدع واستحدث وأشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من العلماء من ظهور البدع ما ظهر[3] وما وما تبع ذلك من الخلاف ثمّ الانقسام ثمّ الضعف فالانهيار فضعُف السبب الذي به ظهر الإسلام وساد وانتشر، فكان لزاما أن يضعف المسلمون[4].

ثانيا: النتائج الايجابية:

بالرغم مما انقشعت عنه حركة الترجمة من نتائج سلبية وانتكاسات خطيرة إلّا أنّها أفادت المسلمين من بعض الوجوه تمثلت في الآتي:

– إظهار سماحة الإسلام: من خلال تقريب المسلمين خاصتهم وعامتهم لغير المسلمين من كل النحل والإحسان إليهم وإكرامهم مقابل جهودهم المختلفة وخاصة العلمية، والسماح لهم بالحفاظ على

---

[1]- الجاحظ: الحيوان مصدر سابق، ج6، ص 462.

[2]- فؤاد سزكين: المرجع السابق، ط1، 1986، مج4، ص 467.

[3]- ابن تيمية: مجموع الفتاوى مصدر سابق، ج2، ص 84.

[4]- مصطفى الشكعة: المرجع السابق، ص 524.

عقيدتهم وعدم إكراههم على غيرها، والأكثر من ذلك سمح لهم التعبير عنها بكل حرية حتى في مجالس الحكام التي ولجوها بكل سماحة.

– تجلّي الروح العملية والعلمية للإسلام والمسلمين: وهذا ما بيّنه السعي الحثيث للعمل وطلب العلم بكل الوسائل، من طرف المسلمين خاصتهم وعامتهم وهذا ما أمر به الإسلام وحبّبه لما فيه من حكم عظيمة، تخدم الإسلام كدين علم وعمل، والمسلمين كحاملي هذا الدين العظيم، فهموا جوهر رسالته فطبّقوها بقوة في قرونهم الأولى، مستغلين كل السبل العملية والعلمية إلى ذلك بما فيها إنتاج وكفاءات الثقافات الأخرى وهذا ما تجسد في حركة الترجمة التي قام بها الذّمّيون لنقل الثقافات السابقة، وهذه الروح أدت بهم إلى قفزة نوعية نحو التطور الحضاري سمحت لهم بتسيد الأمم، وبغيابها اليوم نرى التدهور الرهيب في مختلف الجوانب الحضارية للمسلمين فلا علم ولا عمل ولا سعي إليها مع إيمان رهيب بالخرافات والأوهام، وهذا ما يستنتج منه سوء فهم لجوهر الإسلام.

– تطور العلوم المفيدة: يقول المفكر مُحَمَّد كرد علي (ت1372هـ/1953م) "فحضارة الإسلام إذا أنصفنا قامت بفضل التراجمة والنقلة من اليعاقبة والإسرائيليين والمسلمين، لا بأيدي علماء الكلام مثلا وقد كان على يد هؤلاء التشتيت وعلى يد أولئك الجمع، وشتان بين المفرق والمجمع"[1]، فقد تطورت عدة علوم كالطب والحساب والهندسة والفلك بفعل ترجمة كتبها إلى العربية كالطب الذي تطور بعدها بقوة عند المسلمين، وهذا للاهتمام الكبير بترجمة كتب الطب، فوضعت قاعدة متينة لتعليمه وتعاطيه وترجمة كتب الطب المنتخبة والمعتمدة في تعليم الطب في المشرق، ممّا سهل الرجوع إليها والاستفادة منها من طرف الأطباء والطلبة، ككتب أبقراط وجالينوس الطبية[2]، كما ظهر التخصص الطبي عند المسلمين وتطورت مصنفاتهم الطبية منها المصورة، وأقاموا المستشفيات المتطورة بمعطيات ذلك الوقت، فقد فتحت ترجمة كتب الطب آفاق كبيرة أمام طلبة الطب المسلمين فانكبّوا على دراستها والاستفادة منها كما كانت هي مادة الامتحان أمام هؤلاء الطلبة[3]، كما ظهرت وتطورت الهندسة الإسلامية عبر توارث من الحضارات السابقة كبلاد ما بين النهرين، ثمّ انتقلت إلى المسلمين في القرن (2هـ/8م) عن طريق الترجمة لتظهر بعد فترة وجيزة هندسة إسلامية خالصة وبدأت التصحيحات للمعارف الهندسية المترجمة نظريا ثمّ

(1)– مُحَمَّد كرد علي: القديم والحديث، ط1، المطبعة الرحمانية، مصر، 1925، ص 68-69.

(2)– مريزن سعيد مريزن العسيري: المرجع السابق، ص 31-32.

(3)– سليم طه التكريتي: أثر الترجمة في تطور الفكر العربي الإسلامي، مجلة الأقلام، ج7، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، ، 1965، ص 71-72.

تطبيقيا بظهور اختراعات كبيرة في المجال، كاستعمال الفرجار على يد العالم الرياضي أبو الوفاء البوزجاني (ت338هـ/998م) واستخدامه بشكل ممنهج في الهندسة وهذا بشهادة المستشرقين[1]، ومن العلوم التي ازدهرت كذلك كنتيجة لحركة الترجمة ولم تكن موجودة من قبل الرياضيات، حيث تطورت الرياضيات الإسلامية فاخترعوا الأرقام الخاصة بهم، وبرز بعض العلماء المسلمين المستفيدين من الترجمة منهم مُحَمَّد بن موسى الخوارزمي الذي عاش في عهد المأمون والذي ألف كتاب "الجبر والمقابلة" الشهير الذي غدا من أبرز الكتب في المجال واعتمد عليه الأوروبيون فيما بعد[2].

– حفظ التراث العلمي القديم: فالمعلوم أنّ العلم تراكمي، فترجمة التراث العلمي للحضارات السابقة ساهم في حفظه وهذا مما يحسب لرعاة الترجمة وعلى رأسهم الخلفاء فإنّهم بهذا الصنيع حفظوا التراث اليوناني واللاتيني من الضياع، والأهمية هنا للعلوم التطبيقية وغيرها من العلوم ومصنفاتها التي وصلنا اسمها ولم نرها إلا في نسختها المترجمة إلى العربية[3] فقد فقدت أصولها اليونانية وبقيت تراجمها العربية[4] فقد نقل المسلمون في أقل من قرنين ما لم يتمكن الرومان من نقله في عدة قرون[5]، وهذا لكون عملية الترجمة أنّها كانت سياسة دولة، وهذا بإسهام العلماء غير المسلمين فقد قدم مترجمو أهل الذّمّة خدمات جليلة للطب الإسلامي مثلا، وذلك بتسريعهم وتيرة تطوره عن طريق توفير التراث الطبي للحضارات السابقة، حيث جعله المسلمون قاعدة للانطلاق وتطوير إنتاجهم الخاص كما ذكرنا، إضافة إلى أنّهم كانوا أساتذة الأطباء المسلمين الذين سنجد بداية ظهورهم الفعلي في نهاية القرن (3هـ/9م) فلولا هؤلاء ما كان ليعرف كم كان سيتأخر وصول الطب العلمي إلى المسلمين[6]، وهذا ما يبيّن تراكمية العلوم التي لم تخرج منها الحضارة الإسلامية.

– تطور مهنة الوراقة والنسخ: والتي ظهرت وازدهرت بجهود المسلمين والذين أولوها عناية خاصة كما ساهمت فيها أيضا حركة الترجمة، وهذا بفعل كثرة التأليف ونسخ الكتب التي ساعدت عليها عملية الترجمة الضخمة والمنظمة، فكثرت الكتب أكثر وتداولها مما ساهم في زيادة تطور عملية النسخ والكتابة

---

[1]– يلماز عرفان: مكتشف الكنز المفقود فؤاد سزكين، ط1، دار النيل، القاهرة، 2015، ص 209-210.

[2]– مفتاح يونس الرباصي: المرجع السابق، ص 111.

[3]– فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج1، ص 68؛ ول ديورانت: المرجع السابق، ج 13، ص 179.

[4]– عبد الرحمن بدوي: الفلسفة والفلاسفة مرجع السابق، ص 10.

[5]– فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج1، ص 47.

[6]– كمال السامرائي: المرجع السابق، ج1، ص 321-322.

والتجليد والحفظ، كما أدى ذلك إلى تطور الخط[1] بفعل العمل على تحسين النسخ والحرص الكبير على تزيين الكتب لرواج سوقها والتسابق لاقتنائها من طرف أهل العلم وغيرهم من عامة المسلمين.

يتجلى لنا في الأخير أنّ الترجمة هي نقل الكلام والوثائق من لغة إلى أخرى وقد عرفها والمسلمون منذ أيامهم الأولى، تدفعهم إلى ذلك الحاجة الدينية والدنيوية للتعامل مع الآخر وتراثه، هذا التراث الذي بدؤوا يهتمون به تباعا، وازداد الشغف به منذ القرن (2هـ/8م)، يتقدمهم في ذلك حكامهم ولكنّهم استعانوا في فك طلاسمه على علماء أهل الذّمّة فوفّروا لهم الإمكانيات الضخمة والفريدة حتى يتمكّنوا من القيام بنقله بأحسن الطرق وتحت أفضل الظروف، فغلب بذلك الذّمّيون على الحركة وصاروا روادها فمكّنهم ذلك من بلوغ أعلى المراتب وتحقيق أكبر المكاسب، التي استغلوها للثراء والحظوة عند خاصة المسلمين وأيضا في ترجمة ما يوافق أهواءهم، فنتج عن حركة الترجمة التي قادوها تأثيرات خطيرة ونتائج كثيرة على الحياة العلمية عند المسلمين، فكانت الباب الذي دخل منه غير المسلمين إلى الحياة العلمية الإسلامية، كما وضعوا بواسطتها كثيرا من القواعد لمختلف العلوم، وعلى رأسها الفلسفة والمنطق، هذه القواعد التي كانت منطلقا لعلماء المسلمين في رسم معالم علومهم واجتهاداتهم الخاصة، ما أدّى إلى نتائج أخرى أكثر خطورة بفعل الأصول الفاسدة لهذه العلوم خاصة الفلسفة والمنطق والتنجيم، لأنّ خطر أهل الذّمّة كان ظاهرا والتوجس منهم قائما ولكن خطر أهل الملّة كان مستترا والتوجس منهم في البداية كان شبه منعدم، ما يسّر تغلغل فكر من جعل الذّمّيين شيوخه وأصولهم منهجه كالمعتزلة ومن نحا نحوهم، فسهل تغلغله إلى الحياة العلمية الإسلامية وأحدث الويلات الجسيمة في أصول المسلمين ما أجّج الخلاف وقوّى الشقاق الذي مازال شاخصا إلى يومنا هذا.

[1]- علي بن إبراهيم النملة: المرجع السابق، ص 159.

الفصل الثالث: إسهامات أهل الذِّمّة في العلوم في القرنين (2-3هـ/8-9م):

1- دور أهل الذِّمّة في العملية التعليمية.

2- دورهم في العلوم العقلية.

3- دورهم في العلوم النقلية.

الفصل الثالث: إسهامات أهل الذّمّة في العلوم في القرنين (2-3هـ/8-9م):

اهتم المسلمون منذ فجر حضارتهم بالعلوم اهتماما عظيما، بدءا بالعلوم النقلية وعلى رأسها أصول الدين الإسلاميّ، ثم العلوم العقلية، هذه الأخيرة التي أولاها العباسيون عناية خاصة حتى عرفت دولتهم بدولة الحضارة (مقارنة بالدولة الأموية دولة الفتوحات)، هذه الحضارة التي شارك فيها جميع المهتمين بالعلوم بما فيهم أهل الذّمّة، والسؤال المطروح في ماذا تمثل دور الذّمّيين في العملية العلمية؟، وكيف كانت إسهاماتهم في مختلف العلوم العقلية والنقلية في القرنيين الثاني والثالث الهجريين الثامن والتاسع الميلاديين؟.

المبحث الأول: دور أهل الذّمّة في العملية التعليمية.

اهتم المسلمون اهتماما عظيما بالعملية التعليمية، ليقينهم بدورها المحوري في التّحكم في مختلف العلوم وبناء حضارتهم، فيسّروا للعملية التعليمية مختلف الوسائل والكفاءات المساعدة عليها، ومن هذه الكفاءات علماء أهل الذمة، فكيف كانت إسهاماتهم في مختلف فروع العملية التعليمية؟.

1- التعليم:

ركّز أهل العلم من الذّمّيين جهودهم العلمية بين المسلمين على ما كان يهتم به رعاة العلوم من الحكام والمعتنين بالعلوم، زيادة على المبادرة الشخصية، هذه الاهتمامات التي كانت تختلف وتتطور من فترة إلى أخرى، ومن هذه الاهتمامات والمبادرات التي أسهم فيها العلماء الذّمّيون التعليم، الذي كان من أكبر الأمور المعتنى بها بين المسلمين وقتئذ، لأمر الدين الإسلاميّ به لفائدته الدنيوية والأخروية.

وبفعل كفرهم وجحدهم للإسلام، فقد كانوا أبعد الناس عن علوم الإسلام النقلية، لذلك تركّزت إسهاماتهم التعليمية في العلوم العقلية، وعلى رأسها الطب والفلسفة والكيمياء والرياضيات والفلك والجغرافيا والتاريخ وخرافات التنجيم وعلم الفلاحة.

فالتعليم من أبرز أدوار أهل العلم الذمّيين العلمية المفيدة (التعليم كعملية مجردة بغض النظر عن منهجية التعليم والمواد المدروسة ونتائجه) التي نجزم بما لا يترك مجالا للشك أنّهم (علماء أهل الذّمّة) ساهموا فيها بقوة وخاصة العلوم العقلية، وذلك بتكوين كبار العلماء المسلمين وطلبة العلم في هذه الفترة (القرنين 2-3هـ/8-9م)[1]، وإن كان بين أيدينا الكثير من الإشارات إلى تكوينهم لعوام التلامذة

[1]- وليم الخازن: الحضارة العباسية، المكتبة الشرقية، بيروت، 1984، ص 114.

في مختلف الأمصار الإسلامية، لكن في المقابل لم تشر المصادر التي بين أيدينا[1] بشكل جليّ ومباشر في أكثر الأحيان إلى علاقتهم بكبار العلماء المسلمين في هذه الفترة إلّا في القليل النّادر، فلم تذكر المصادر المهمّة والمتخصصة في الموضوع (المذكورة سابقا) أساتذة أشهر العلماء المسلمين وقتئذ كالفلكيّ الكبير مُحَمَّد بن إبراهيم الفزاريّ (ت نحو 180هـ/796م) وهو أول من صنع الإسطرلاب[2]، والفيلسوف أبو نصر الفارابيّ (ت339هـ/950م)[3] الذي ذكِر أنّه أخذ عن الفيلسوف والمترجم متّى بن يونس النصرانيّ (ت328هـ/939م) الذي اعتبر رأس الفلسفة في عصره[4]، ولم نجد غيره كأستاذ غير مسلم له، وكالطبيب البارع مُحَمَّد بن زكريا الرازيّ (ت313هـ/925م) الذي أشير إلى أنّه تعلّم الكثير على يد الطبيب علي بن ربن الطبريّ[5] (ت نحو250هـ/864م) الذي أسلم في عهد الخليفة المعتصم (218-227هـ/833-842م)[6]، ولكنّ الرازيّ ولد سنة (251هـ/865م)[7] وهذا ما يبيّن خطأ المعلومة كون ابن ربن الطبريّ توفي سنة (250هـ/864م)، وعند الزركليّ في الأعلام أنّه توفي سنة (247هـ/861م)[8]، أي قبل ميلاد الرازيّ فكيف التقيا؟ ومتى درّسه؟، والرياضيّ والفلكيّ أبو عبد الله مُحَمَّد بن موسى الخوارزميّ (ت بعد 232هـ/847م)، هذان العالمان المسلمان الأخيران (الرازيّ والخوارزميّ) تركا بصمة فريدة في علميهما، فقد تفحّصا ودرسا كتب[9] علماء أهل الذّمّة وتعلّما على أيديهم، كما

---

[1]- كابن النديم في "الفهرست"، وصاعد الأندلسي في "طبقات الأمم"، والقفطي في "إخبار العلماء بأخبار الحكماء"، وابن أبي أصيبعة في "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، والذهبي في "سير أعلام النبلاء".

[2]- دونالد هيل: العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، ترجمة: أحمد فؤاد باشا، سلسلة عالم المعرفة، مطابع السياسة، الكويت، 2004، ص 27.

[3]- التاريخ يخرج عن الفترة قيد الدراسة ولكن كان للفارابي تأثّر وتأثير في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي كما تتلمذ في هذا القرن بفعل ميلاده سنة (260هـ/874م).

[4]- الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993، ج24، ص 266.

[5]- القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: شمس الدين إبراهيم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص 178؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د ت)، ص 414.

[6]- القفطي: المصدر السابق، ص 178؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ج14، ص 354.

[7]- الزركلي: الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج6، ص 130.

[8]- الزركلي: المصدر السابق، ج4، ص 288.

[9]- الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ج7، ص 247؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000، ج3، ص 62.

أشير إلى أنّ الرازيّ أخذ الكثير عن كتب القدماء الطبية[1]، وهذا بإقراره بنفسه في بعض كتبه، كما نقله نقله عنه المؤرخ ابن أبي أصيبعة (ت668ه/1270م) قال الرازيّ: "إنّه كان لي صديق نبيل يسامرني على قراءة كتب...جالينوس"[2]، وقد ثبت عن الخوارزميّ أنّه صنّف كتابا في الفلك استنادا إلى مصادر هندية هندية وإغريقية[3]، فلم يكن هناك وقتئذ علماء مسلمون كبار في الطب والرياضيات قبلهما، ولا يعقل أن يكون الرازيّ بما بلغه من مكانة في الطب قد تعلّم على يد طبيب واحد هو ابن ربن الطبريّ، الذي لم تذكر المصادر التي وصلتنا غيره كمعلم مشهور له في الطب، مع عدم ثبوت العلاقة بينهما طبعا، وإذا سلّمنا بصحّة المعلومة وخطأ التواريخ المحددة لحياتيهما، أو قد يكون طبيب آخر يحمل نفس الاسم (علي بن ربن الطبريّ)، وذكرت بعض المصادر أيضا اسم معلم آخر له غير معروف اسمه الايرانْشهريّ[4]، لم نجد إلّا اسمه دون تفاصيل العلاقة بينهما، وكما هو معروف لم تكن هناك مدارس إسلامية كبيرة للطب والرياضيات ومختلف العلوم العقلية، ولا كتب طب ورياضيات بالعربية إلّا ما ترجمه أهل الذّمّة عن غير المسلمين، كما لم يقوما برحلات علمية خارج العالم الإسلاميّ بل أكثر من ذلك تعلّم ونبغ ببغداد كل من الخوارزميّ[5] والرازيّ[6]، فالرازيّ لم يهتم بالطب إلّا في كبره[7] وهذا بعد دخوله بغداد بعد سن الثلاثين[8]، العاصمة العباسية التي كانت مركزا علميا يسيطر عليه أهل الذّمّة في الجانب العقلي والمادي، فتعلّم منهم المسلمون هذه العلوم، ثمّ فاقوهم علما بفعل الهمّة العالية التي غذّتها العقيدة الإسلامية، وهذا ما كان غائبا عند الذمّيين، فمع أنّهم برعوا في الترجمة والقدرة على دراسة مصنفات الحضارات السابقة التي كانت القاعدة المنطلق منها في كثير من العلوم وعلى رأسها الطب والرياضيات والفلك والكيمياء، إلّا أنّهم لم ينبغوا في العلوم التي تخصصوا فيها، بفعل وضاعة أهدافهم من الممارسة العلمية التي لم تزد عن الأغراض الدنيوية.

---

[1]- ابن النديم: الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1997، ص 360.

[2]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، 416.

[3]- دونالد هيل: المرجع السابق، ص 49.

[4]- الايرانْشهري: لم نجد عن هذا الطبيب معلومات وافية فيما وصلنا إليه من مصادر ومراجع غير ما ذكره فؤاد سزكين بأنّه من أساتذة أبي بكر الرازي في الطب؛ ينظر فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، ترجمة: حجازي عبد الله، جامعة الملك سعود، السعودية، 2009، مج3، ج1، ص 429.

[5]- ابن النديم: المصدر السابق، ص 336؛ القفطي: المصدر السابق، ص 216؛ الزركلي: المرجع السابق، ج7، ص 116.

[6]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 414؛ القفطي: المصدر السابق، ص 206.

[7]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 414.

[8]- الزركلي: المرجع السابق، ج6، ص 130؛ عمر كحالة: معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، (د ت)، ج10، ص 07.

ومن أبرز المعلمين الذمّيين الطبيب والمترجم الشهير حنين بن إسحاق (ت260هـ/873م) الذي كان تحته تسعون تلميذا يتعلمون على يديه[1]، فقد برع في الترجمة والطب ونقل ذلك إلى تلامذته، فمن أهم كتبه في مجال التعليم الطبي "مسائل في الطب للمتعلمين" وهو كتاب طبي تعليمي قيّم حظي بقيمة علمية كبيرة عند المسلمين ثمّ في الغرب الأوروبي بعد ذلك[2]، وقبله نجد الطبيب النصرانيّ تياذوق (ت88هـ/708م)، طبيب الأمير الأمويّ الحجاج بن يوسف الثقفيّ (ت95هـ/714م) والذي كان يدرّب التلامذة النجباء في الطب، منهم من اشتهر من بعده بين المسلمين فانتفعوا منه، أشهرهم فرات بن شحاثا اليهوديّ، الذي عاش إلى عهد الخليفة العباسيّ أبي جعفر المنصور (136-158هـ/754-775م) وتوفي في خلافته[3]، وكان من اهتمامات هذا الطبيب الأدوية وإعدادها بشكل خاص[4].

وكان الطبيب يوحنا بن ماسويه النصرانيّ (ت243هـ/857م) يعقد مجلسا كبيرا للعلم ببيته في بغداد، يقول عنه الطبيب والمؤرخ ابن أبي أصيبعة (ت668هـ/1270م) في كلام تواتر إليه عن أحد أهل بغداد: "...كان مجلس يوحنا بن ماسويه أعمر مجلس كنت أراه بمدينة السلام لمتطبب أو متكلم أو متفلسف لأنّه كان يجتمع فيه كل صنف من أصناف أهل الأدب..."[5]، فلم يقف عند الترجمة والعلاج والعلاج فقط، بل كان يدرّس ببغداد أعدادا كبيرة من التلامذة[6]، وكان أبو بشر متّى بن يونس النصرانيّ النصرانيّ (ت328هـ/939م) الفيلسوف والمنطقيّ الكبير ببغداد يعلّم الناس فن المنطق، وله صيت عظيم وشهرة وافية في فنه، فكان يجتمع في حلقته خلق كثير من المشتغلين بالفلسفة والمنطق، وهو يقرأ عليهم كتب الفيلسوف أرسطو طاليس في المنطق، ويملي على تلامذته شروحها، فكتب عنه في شرحها سبعون مصنفا[7]، فضلا عن اعتماد العلماء في بغداد وغيرها عليه في المنطق الأرسطيّ لما بلغه فيه من مرتبة

---

(1)- فيليب دي طرازي: خزائن الكتب العربية في الخافقين، دار الكتب، لبنان، (د ت)، ج2، ص 764.

(2)- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ج1، ص 384.

(3)- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 231.

(4)- ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، ص 230؛ فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ج1، ص 319.

(5)- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 247.

(6)- ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطوان صالحاني اليسوعي، ط2، دار المشرق، بيروت، 1992، ص 131.

(7)- ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994، ج5، ص 153؛ ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمّد الأرناؤوط، خرّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، 1986، ج4، ص 210.

وتحصيل وشرح[1]، وهذا العدد الكبير من التلامذة بين يديه بمدينة بغداد كان أغلبهم من أهلها المسلمين، فقد كانت حاضرة الإسلام وأهله هم الغالبون فيها في شتّى المجالات حتى العلمية إلّا ما استأثر به أهل الذّمّة من العلوم وترجمتها وتدريسها، وهم العلماء الوافدون لأغراض شتّى لا التلامذة، فطلبة الفلسفة غير المسلمين في هذه الفترة المبكرة من الحضارة الإسلامية (القرنين 2-3هـ/8-9م) لم يكونوا بحاجة إلى السفر إلى بلاد الإسلام لتحصيلها، وهي لم تدخله بقوة بعد، وأمصارهم تغنيهم عن الأمصار الإسلامية، وحتى شيوخ المنطق والفلسفة جاؤوا من تلك الأمصار إلى المشرق الإسلاميّ وبغداد بشكل خاص للعطاء وتحصيل المال والجاه لا لتحصيل العلم.

ومن أدوارهم التعليمية المهمة أيضا وخاصة الأطباء منهم، امتحان الأطباء والصيادلة الصغار والمتربصين، فقد كلّف مثلا الطبيب إسرائيل بن زكريا بن الطيفوريّ (ت248هـ/862م) بامتحان الصيادلة المتربصين في خلافة المعتصم (218-227هـ/833-842م) ليعرف الصالح للمهنة ممن لا يصلح لها[2] حتى يسمح له بممارستها، وهذا لحساسيتها ودقتها وما يترتب عليها من نتائج ومسؤوليات عظيمة لتعلقها بحياة الإنسان.

وساهموا أيضا بتوفير بعض أساسيات العملية التعليمية وعلى رأسها المصادر العلمية الثمينة التي يحتاجها المتعلمون وغيرهم، من ذلك قيام الطبيب والمترجم الشهير حنين بن إسحاق بفتح مكتبته الثمينة المتنوعة أمام أهل العلم لينهلوا منها[3].

فقد تركّز دور أهل الذّمّة في التعليم بموازاة الترجمة والشرح والجمع والفهم، ففي القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي توافر للعلماء المسلمين قاعدة علمية مهمة يمكن الاعتماد عليها، كما قطع المصطلح العلمي العربي أشواطا متقدمة في التطور والبحث قبل مدرسة حنين بن إسحاق (ت260هـ/873م) التي يعزا لها وضع المصطلح العلمي العربي للترجمة[4]، وما إن حلّ القرن (4هـ/10م) حتى كان المسلمون بيدهم أشهر الترجمات العربية للتراث اليونانيّ في العلوم[5]، وبتراكم هذه القاعدة المعرفية ظهر الإبداع على على يد العلماء المسلمين مباشرة دون انتظار، فمارسوا في الطب التجريب، وفي الكيمياء والهندسة

[1]- القفطي: المصدر السابق، ص 211.

[2]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 224.

[3]- فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج2، ص 764.

[4]- فؤاد سزكين: المرجع السابق، ط1، 1986، مج4، ص 217.

[5]- حربي عباس محمود وحسان حلاق: العلوم عند العرب أصولها وملامحها الحضارية، دار النهضة العربية، بيروت، 1995، ص 247.

التطبيق، وفي علم الفلك التحقيق[1]، حيث ازدهرت أغلب العلوم بشكل عام منذ منتصف القرن (3هـ/9م) بعد مرحلة التأسيس التي ساهم فيها بشكل مباشر أهل الذّمّة[2]، وكان من نتائج ذلك ظهور علماء مسلمين كبار تركوا تراثا عالميا عظيما ككتاب "الحاوي في الطب" لأبي بكر الرازيّ (ت313هـ/925م)، الذي يعتبر أشهر كتاب في الطب اعتمدت عليه أوروبا من الفترة الوسيطة إلى نهاية العصور الحديثة، فقد ترجم إلى اللّغة اللاتينية لأهميته سنة (677هـ/1279م) ، واعتبر أبو بكر الرازيّ عند الأوروبيين من أعظم الأطباء في التاريخ لما قدّمه في علم الطب للحضارة الإسلامية خاصة والحضارة الإنسانية بشكل عام[3].

2- فتح المكتبات:

لم يقتصر دور أهل العلم من الذمّيين على ترجمة الكتب بالمكتبات وفي مختلف مراكز العلم فحسب، بل ساهموا أيضا في جمعها وفتح المكتبات ودور العلم والإشراف عليها لتيسير الوصول إليها والإفادة منها، كما ساهموا كذلك في بناء المكتبات والمدارس بعدما نقلوا بعض مراكزهم العتيقة إلى الأمصار الإسلامية الوليدة والشهيرة، وعلى رأسها العاصمة بغداد، فالبطريرك[4] سبريشوع الثاني (219-224هـ/835-839م) زعيم النصارى النساطرة[5] في المشرق، أسّس ببغداد ثلاث مدارس كبيرة هي مدرسة فثيون ومدرسة دار الروم ومدرسة كليل يشوع، ووفّر لها كتبا كثيرة بالعربية للمطالعة متاحة للمعلمين والتلامذة[6].

وأقام آل بختشيوع الأطباء النصارى مكتبة كبيرة بمدينة بغداد التي استقروا بها أحضروا مصنفاتها من عدة أمصار عتيقة، وكانت بمختلف اللغات ولمختلف النحل، فقد فتحوها أمام الجميع للاستفادة

[1]- محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الازدهار 02، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2000، ص 32.

[2]- محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 41.

[3]- حربي عباس محمود وحسان حلاق: المرجع السابق، ص 291.

[4]- البطريرك: أو فطرك أو فطريخيس هو أعلى سلطة عند النصارى في المشرق أطلق منذ القرن 5م وكان يسمى الجاثليق؛ ينظر فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج2، ص 510.

[5]- النساطرة: النسطورية فرقة دينية نصرانية ظهرت في القرن 5م بالقسطنطنية على يد الأسقف نسطوريوس الذي كان يقول أنّ في المسيح جزء لاهوتيا، لكنه ليس من طبيعة المسيح البشرية، وأنّ اتحاد اللاهوت بعيسى الإنسان ليس اتحادا حقيقيا، بل ساعده فقط، وفسّر الحلول الإلهي بعيسى على المجاز أي حلول الأخلاق والتأييد والنصرة، وقد أدت أفكاره إلى عزله ونفيه وإبعاد أتباعه؛ ينظر منقذ السقار: الله ﷻ واحد أم ثلاثة، ط1، دار الإسلام، مصر، 2007، ص 190؛ عرفان عبد المجيد فتاح: النصرانية نشأتها التاريخية وأصولها وعقائدها، ط1، دار عمار للنشر، عمان، 2000، ص 91.

[6]- فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج2، ص 510.

منها، زيادة على ما صنّفه أطباء هذه الأسرة من المصنفات منها "التذكرة" و"كناش الكافي" في خمس مجلدات، و"الروضة الطبية في الفنون الأدبية" و"مناقب الأطباء" و"منافع الحيوان" و"رد على اليهود" وغيرها[1]، وكذلك الطبيب والمترجم الشهير حنين بن إسحاق (ت260هـ/873م) الذي فتح مكتبته الثمينة والمتنوعة أمام أهل العلم المسلمين، كم ساهم في التعليم بنفسه[2]، فضلا عن مساهمته في تطوير طريقة نقل الكتب وترجمتها بطريقة المعنى التي نسبت إليه في الحضارة الإسلامية وكانت من بين أسباب شهرته ومكانته العلمية.

وبفعل هذه الثورة والثروة العلمية والتعليمية هبّ أبناء المسلمين بقوة نحو هذه المراكز العلمية المعطاءة التي يسهر عليها مختلف العلماء بما فيهم علماء أهل الذّمّة، كبيت الحكمة ونحوه وتعلموا حتى نبغوا في مختلف العلوم وسادوا[3].

3- توفير الكتب:

ساهم أهل العلم من الذّمّيين بقوة في جلب الكتب من الآفاق، بطلب وتشجيع من الخلفاء ورجال الدولة والمهتمين بالعلوم من المسلمين، كالخليفة المأمون (198-218هـ/814-833م) الذي كان أكبر المعتنين بالعلوم وجمع المصنفات المهمّة وطلبها من مصادرها، فبعث مرة جماعة من أهل الذّمّة المشهورين، وهم المترجم والطبيب يوحنا بن البطريق النصرانيّ (ت نحو200هـ/815م) والمترجم الحجاج بن مطر النصرانيّ (ت218هـ/833م) والطبيب والمترجم يوحنا بن ماسويه النصرانيّ (ت243هـ/857م) وغيرهم لإحضار المصنفات اليونانية من خزائنها الشهيرة في بلاد الروم، وكذلك رسل بني موسى بن شاكر (ق 3هـ/9م) الذين يقول عنهم (بنو شاكر) الأديب ابن النديم: "...ممن عني بإخراج الكتب من بلاد الروم...بنو شاكر المنجّم...وبذلوا الرغائب وأنفذوا حنين بن إسحاق وغيره إلى بلاد الروم فجاءهم بطرائف الكتب وغرائب المصنفات..."[4]، ولعلّهم اختاروا الكتب الفاسدة في هذه البعثات العلمية فهم أعلم بمحتواها الذي يخفى على الحكام والعلماء المسلمين لجهلهم بلغتها، فهل كان سيرضى الحكام الأوائل مثلا بكتب إلحادية، إلى أن تترجم وقد تحرّف وتنتحل ثمّ تقرأ وعندها يكون الأوان قد فات بافتتان بعض جهلة المسلمين بها، فأخذوا ممّا وجدوا ما اختاروه أو يسِّر لهم الوصول إليه، فلمّا حملوه إلى

---

[1]- فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج2، ص 761.

[2]- فيليب دي طرازي: المرجع نفسه، ج2، ص 764.

[3]- فيليب دي طرازي: المرجع نفسه، ج1، ص 68.

[4]- ابن النديم: المصدر السابق، ص 301.

بغداد أمِروا بنقله تباعا إلى العربية، وكانت الكتب التي أحضروها في مختلف التخصصات في الفلسفة والمنطق والهندسة والفلك والموسيقى والطب، وهناك أيضا من علماء أهل الذّمّة من حمل معه كتبا عند دخوله إلى الأمصار الإسلامية، منهم المترجم قسطا بن لوقا البعلبكيّ (ت300هـ/912م) الذي حمل معه كتبا عند دخوله إلى بغداد، لتتمّ بعدها ترجمتها إلى العربية[1]، ولم تقتصر فائدة هذه الكتب التي أدخلوها على الترجمة على يد الذمّيين فقط، بل استفاد منها أيضا العلماء المسلمون ممّن اهتم بالترجمة كفيلسوف العرب يعقوب بن إسحاق الكنديّ (ت252هـ/866م) الذي كان مترجما بارعا ولكنّه لم يشتهر بين المترجمين لأنّه لم يرتزق منها[2]، كما استفيد منها في التعليم وتطوير العلوم بعد ترجمتها وشرحها.

يتجلى لنا ممّا سبق أنّ علماء أهل الذّمّة ساهموا بقوة في العملية العلمية عند المسلمين في بداية تاريخهم العلمي، وتركوا بصمتهم في كثير من علوم الحضارة الإسلامية وعلى رأسها العلوم العقلية، بما كوّنوا من تلامذة غدا أكثرهم علماء كبارا، وبما سهّلوا الوصول إلى العلوم المختلفة بتوفير ضروريات العملية العلمية.

المبحث الثاني: دور أهل الذّمّة في العلوم العقلية.

دخل أهل العلم من الذمّيين إلى الحياة العلمية الإسلامية عبر باب الترجمة بشكل خاص والتي أسهموا فيها بقوة وتركوا فيها آثارا متباينة ولكن هل اقتصر دورهم العلمي على ترجمة العلوم أم امتد إلى المساهمة في هذه العلوم؟.

قسّم العلماء المسلمون العلوم إلى قسمين رئيسيين[3]، هما العلوم النقلية وتشمل العلوم الشرعية وعلوم اللغة، والعلوم الطبيعية العقلية (الحِكمية)، فالعلوم الشرعية هي العلوم التي تتصل مباحثها بالدين، وعند المسلمين مباحث الدين الإسلاميّ وبها يتميز المسلمون عن سواهم من الأمم الأخرى، فهي مختصة بالأمة الإسلامية، أو هي العلوم الإسلامية الصرفة، ومن العلوم النقلية علوم اللغة العربية كعلم النحو وعلم اللسان والبيان والبلاغة والأدب، ولهذه العلوم اللسانية أهمية في معرفة

---

(1)- ابن النديم: المصدر السابق، ص 301؛ القفطي: المصدر السابق، ص 199.

(2)- فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج2، ص 763.

(3)- وهذا ما ذهب إليه العلامة عبد الرحمن بن خلدون في تصنيفه للعلوم، حيث صنفها إلى صنفين صنف طبيعي عقلي كالفلسفة، وصنف نقلي على رأسها علوم الشريعة واللّغة؛ ينظر عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، اعتنى به: هيثم جمعة هلال، ط1، مؤسسة المعارف، بيروت، 2007، ص 471.

الإسلام، أما العلوم العقلية فهي العلوم التي تخرج عن أصول الدين واللغة وقد أخذها المسلمون عن غيرهم من الأمم الأخرى أو من تاريخهم قبل الإسلام، لذلك كانوا يطلقون عليها أحيانا علوم العجم أو العلوم القديمة وعلوم الأوائل، وتشمل هذه العلوم الفلسفة والهندسة والطب والكيمياء والتاريخ والجغرافيا والفلك والرياضيات وخرافات التنجيم.

وقد كان الباب الأوسع والأشهر الذي دخلت منه العلوم العقلية إلى علوم المسلمين وعن طريقه تعرّفوا عليها بقوة حركة الترجمة لتراث الحضارات السالفة والفانية، مع تأثير أبواب أخرى تفاوت تأثيرها من علم إلى آخر، فأطلقوا عليها علوم الأوائل لارتباطها بهذه الحضارات السابقة وعلى رأسها اليونانية والرومانية والهندية والفارسية[1]، ثمّ تلتها طرق أخرى كالتعليم كما ذكرنا سلفا، وبهذا فقد كان لعلماء أهل الذّمّة تأثير في العلوم عند المسلمين منذ الأيام الأولى للحضارة الإسلامية وتشعب المعارف، ولكن إلى أين وصلت درجة هذا التأثير؟ فهل شملت جميع هذه العلوم وهل انحصرت في التأسيس والتعريف فقط أم انتقلت إلى الإبداع والتطوير؟.

1- علم الطب:

قال الإمام الشافعيّ (ت204هـ/819م): "لا أعلم علما بعد الحلال والحرام أنبل من الطب، إلّا أنّ أهل الكتاب قد غلبونا عليه"، وهذا لأهميته وخطورته لما قد يسببه، وبما يبلغه الطبيب من المريض، وقد كان الإمام الشافعيّ يتلهّف على ما ضيّع وفات المسلمين من علم الطب ويقول: "ضيّعوا ثلث العلم، ووّكلوه إلى اليهود والنصارى"[2]، وعرّفه العلامة عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/1406م) بقوله: "...صناعة الطب وهي صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يتبيّن المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها..."[3]، وعرّف الطبيب ابن سينا (ت427هـ/1037م) الطب بقوله: "إنّ الطب علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة"[4].

---

(1)- محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الازدهار، ط1، دار مصر المحروسة، القاهرة، 2005، مج10، ص 81.

(2)- البيهقي: مناقب الشافعي، تحقيق: السيد محمّد صقر، ط1، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1970، ج2، ص 116؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء مصدر سابق، ج10، ص 57.

(3)- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص 531.

(4)- ابن سينا: القانون في الطب، وضع حواشيه: محمّد أمين الضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، ج1، ص 13.

ومما لا شك فيه أنّ الطب من علوم الأوائل الأولى التي عرفها المسلمون ووصلت إليهم عبر طريق غير طريق حركة الترجمة، فقد عرفه العرب منذ القديم، وسمي الطبيب عندهم المعالج والحاذق بالأشياء الماهر فيها[1]، ودخلت بداياته المتطورة بعد ذلك عن طريق الأطباء غير المسلمين الذين عاشوا بين المسلمين وخدموهم[2]، فقد كانت المعارف الطبية للعرب قبل الإسلام بسيطة جدا مقارنة بالحضارات الأخرى[3]، ما جعلهم يعتمدون بعد ظهور الإسلام واتساع بيضته على الأطباء الذمّيين حتى غلوا على صناعته كما بين الإمام الشافعي.

فالطب من العلوم الأولى التي عني بها المسلمون عناية خاصة، لارتباطها بصحة أبدانهم وصلاح أحوالهم، فانتدبوا لذلك الأطباء الذّمّيين من كل الأمصار والنحل، وخاصة النصارى لاشتهارهم في هذا العلم، وعلى رأسهم أطباء مدرسة جنديسابور الشهيرة بفارس[4]، التي اشتهر أطباؤها بالمهارة الطبية[5]، فاستدعاهم الخلفاء وقرّبوهم من مجالسهم لخدمتهم مع باقي كبار الأطباء من مختلف الأمصار الإسلامية وغيرها، فسهّل لهم الحكام والمهتمون بالعلوم سبل البحث وصناعة والأدوية وتعليم الأطباء والطلبة وامتحانهم فضلا عن مداواة عوام المرضى[6]، وترجمة الكتب الطبية إلى العربية لتعمّ فائدتها.

فنهض هؤلاء الأطباء الذمّيون بهذه المهمة النبيلة بحسن تدبير وصائب فكر وعلم، (مع تدني الهدف الذي كان ماديا) فنالوا احترام وثقة الخاصة والعامة ولقّبوا لهذا الصنيع بالحكماء[7]، فكان نتيجة لذلك أن راج سوق الطب وتحسّنت أساليب العلاج وكثر عدد الأطباء حتى وصل عدد من تقدم للامتحان منهم في بغداد في عصر المقتدر بالله (295-320هـ/909-932م) أمام الأطباء الممتحِنِين 860 طبيبا دون حساب كبار الأطباء[8]، ولا نبالغ إذا قلنا أنّ الطب والأطباء نالوا أكبر اهتمام عند

---

(1)– الجوهري: الصحاح، تحقيق: عطار أحمد، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ج1، ص 170؛ الرازي زين الدين: مختار الصحاح، تحقيق: الشيخ يوسف، ط5، المكتبة العصرية، بيروت، 1999، ج1، ص 188.

(2)– فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ج1، ص 3.

(3)– صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، تعليق ونشر: لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912، ص 47؛ فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ج1، ص 1.

(4)– عبد الرحمن بدوي: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1940، ص 61.

(5)– القفطي: المصدر السابق، ص 106.

(6)– ابن العبري: المصدر السابق، ص 145.

(7)– فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج1، ص 76.

(8)– سليم التكريتي: أثر الترجمة في تطور الفكر العربي الإسلامي، مجلة الأقلام، ج7، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، السنة1، 1965، ص 72.

المسلمين لأهميته وحساسيته، فلم يصل أحد من علماء أهل الذّمّة من غير الأطباء إلى ما بلغه أطباؤهم من حضوة عند الخلفاء والخاصة، كاطّلاع الأطباء على أسرار الخاصة بما فيهم الخلفاء وكذلك العامة، فبذلك كان لهم دور كبير جدا تعدى الوظيفة العلاجية[1]، بما ربطوه من علاقات بفعل هذه المهنة النبيلة والحساسة.

وهناك أمثلة كثيرة عن مدى تدخل الذمّيين في حياة المسلمين العامة من ذلك ما أشرنا إليه في الفصل السابق (راجع نتائج حركة الترجمة)[2]، هذا الدور والمساهمة العلمية جعل المؤرخين أيضا يخصونهم بالذكر والتأريخ خلافا لباقي العلماء، كمصنفات خاصة بهم، أو التركيز عليهم من ذلك كتاب "إعلام العلماء بأخبار الحكماء" للطبيب والمؤرخ القفطيّ جمال الدين (ت646هـ/1248م) والكتاب الشهير الماتع "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" للطبيب والمؤرخ ابن أبي أصيبعة (ت668هـ/1270م) وغيرهما من الكتب التي تناولت أخبارهم[3].

وكان في بغداد فقط في القرن (3هـ/9م) مئات الأطباء المرخص لهم دون حساب الأطباء الممتحِنِين والطلبة، وأغلبهم من الذمّيين، وقد تسببت هذه الكثرة في عدد الأطباء الذمّيين وشهرتهم وخدمتهم في تغييب جهود بعض الأطباء المسلمين الصغار كالطبيب أسد بن جاني البغداديّ[4] الذي كان طبيبا فأكسد مرة فقال له قائل: "السنة وبئة والأمراض فاشية، وأنت عالم ولك صبر وخدمة، ولك بيان ومعرفة، فمن أين تؤتى في هذا الكساد؟ قال: أمّا واحدة فإنّي عندهم مسلم وقد اعتقد القوم قبل أن أتطبّب، لا بل قبل أن أخلق، أنّ المسلمين لا يفلحون في الطب واسمي أسد، وكان ينبغي أن يكون اسمي صليبا وجبرائيل ويوحنّا...وكنيتي أبو الحارث وكان ينبغي أن تكون أبو عيسى وأبو زكريا وأبو إبراهيم، وعليّ رداء قطن أبيض وكان ينبغي أن يكون ردائي حريرا أسود ولفظي لفظ عربيّ وكان ينبغي أن تكون لغة أهل جنديسابور"[5]، حيث غلب أطباء أهل الذّمّة على مهنة الطب وشاعت

---

[1]- مريزن العسيري: تعليم الطب في المشرق الإسلامي نظمه ومناهجه حتى نهاية القرن السابع الهجري، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، السعودية، 1991، ص 8.

[2]- الفصل الثاني الصفحة 102 وما بعدها.

[3]- فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج1، ص 77.

[4]- أسد بن جاني: لم تصلنا عنه إلّا ما ذكرناه في المتن، وبعض الصفات التي ذكرها الجاحظ عنه، ويظهر أنّه عاش ما بين منتصف القرن الثاني ومنتصف القرن الثالث الهجريين، كون ازدهار العلوم العقلية بدأ مع هذا التاريخ ومع أنّه مذكور عند الجاحظ المتوفى سنة (255هـ/869م) فهو يوافق هذه الفترة.

[5]- الجاحظ: البخلاء، ط2، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1998، ص 138-139.

شهرتهم حتى غيّبت من سواهم من الأطباء المسلمين، وغدت المهارة والشهرة الطبية مرادفة للميزات الحضارية لأهل الذّمّة.

وقد كان الأطباء من اليهود والنصارى بشكل خاص يقومون بتطبيب عوام المرضى، وكانت الأديرة أيضا تقوم بالتطبيب والعلاج، ويسهر على ذلك رجال الدين، وقد اشتهرت بعض الأديرة بالمياه الكبريتية[1] التي استغلت في العلاج، ومن أطبائهم من كان يناظر ويعلّم ويقدم النصائح الصحية كالطبيب والمترجم يوحنا بن ماسويه (ت243هـ/857م) الذي ناظر الأديب والمتكلم الجاحظ (ت255هـ/869م) في خلط أكل اللبن مع السمك، ونصحه بعدم الخلط بينهما[2]، والطبيب علي بن ربن الطبريّ (ت نحو250هـ/864م) الذي اهتم بهذا الجانب وله فيه كتاب "منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير"[3]، ومن الأطباء اليهود فرات بن شحاثا المتوفى في خلافة أبي جعفر المنصور (136-158هـ/754-775م) والذي خدم الحجاج بن يوسف (ت95هـ/714م) وعيسى بن موسى العباسيّ (ت166هـ/783م) ولي عهد المنصور الذي كان يشاوره في مختلف الأمور فضلا عن الطبية وكان معجبا بعلمه[4].

ومنهم أيضا بليطان وذكر باسم بليطيان طبيب نصرانيّ كبير كان بمصر (ت186هـ/802م) وكان ماهرا بالطب وذاع صيته في عهد الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ/787-809م) بعد مداواته لإحدى جواريه[5]، فكافأه الرشيد وقومه أيضا اعترافا بصنيعه[6]، والطبيب سعيد بن توفيل (ت269هـ/883م) بمصر أيضا، الذي كان يعد الأدوية بنفسه بمساعدة غلمانه فنبغ بعضهم بأخذهم عنه، وانتفع بطبّه خاصة أمير مصر أحمد بن طولون (254-270هـ/868-884م)[7] والطبيب

---

[1]- علي حسن الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994، ص 113.

[2]- الصفدي: شرح لامية العجم، ط1، المطبعة الأزهرية، مصر، 1889، ج1، ص 131.

[3]- ابن النديم: المصدر السابق، ص 358.

[4]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 230؛ يوسف رزق الله غنيمة: نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ط1، مطبعة الفرات، بغداد، 1924، ص 110.

[5]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 540؛ السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ط1، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1967، ج1، ص 539.

[6]- فاطمة عامر: تاريخ أهل الذمّة في مصر الإسلامية (من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2000، ج2، ص 248.

[7]- فاطمة عامر: المرجع السابق، ج2، ص 249.

سعيد بن البطريق النصرانيّ المشهور بمصر (ت328هـ/940م)[1] الذي شغل منصب بطريريك الإسكندرية، وترك مؤلفات طبية عديدة منها "الطب علم وعمل" وكتاب "الجدل بين المخالف والنصرانيّ"[2]، والطبيب يوحنا بن ماسويه النصرانيّ السريانيّ (ت243هـ/857م) الذي تتلمذ على يد الطبيب جبرائيل بن بختيشوع وولّاه جبرائيل رئاسة مستشفى بغداد، والذي كان أحد أطباء الخليفة هارون الرشيد ومن الذين ولّاهم الرشيد ترجمة الكتب الطبية اليونانية القديمة، وخدم الرشيد ومن بعده من الخلفاء إلى أيام المتوكل، وكان معظّما في بغداد جليل القدر ومن إسهاماته الكبيرة أنّه كان له قصب السبق في التكلّم عن مرض الجذام في الطب في الحضارة الإسلامية[3]، حيث ألّف فيه كتابا لم يسبقه أحد إلى مثله[4]، ومن إسهاماته الجليلة في الطب الإسلاميّ أيضا التشريح، الذي مارسه على أجسام القردة[5] أولا، فكان يحضر القردة ويتركها تنمو لتظهر عروقها ويسهل تشريحها، وألّف في تشريحها كتابا استحسنه أعداؤه وأصدقاؤه[6]، كما نبغ في طب العيون أيضا، وألّف عددا كبيرا من الكتب الطبية ذكر منها ابن أبي أصيبعة (ت668هـ/1270م) 42 كتابا في الطب منها "نوادر الطب" ألّفه لتلميذه حنين بن إسحاق، و"دغل العين" و"معرفة مهنة الكحالين" وغيرها[7]، وله أيضا المفردات وتعرف بـ "الأدوية المنجحة" و"نبذة في الطب" لم يطبع بعد، وله من الكتب المهمة أيضا كتاب "تركيب الأدوية المسهلة وإصلاحها"[8]، كما كان يعقد أشهر مجلس للنظر والتعليم في بغداد يجري فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة، وكان يدرّس ويجتمع إليه تلاميذ كثيرون خاصة طلبة الطب[9]، أشهرهم تلميذه حنين بن إسحاق المترجم والطبيب الكبير صاحب كتاب "العشر مقالات في العين"، وهو أقدم كتاب دراسي منظم في طب العيون[10].

---

[1]- السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص 539.

[2]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 546.

[3]- وليم الخازن: المرجع السابق، ص 118.

[4]- ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص 66.

[5]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 250؛ ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل، بيروت، 1988، ج13، ص 191.

[6]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 250.

[7]- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ج1، ص 352.

[8]- أحمد عيسى: تاريخ النبات عند العرب، مؤسسة هنداوي للثقافة والعلوم، القاهرة، 2013، ص 53.

[9]- مريزن العسيري: المرجع السابق، ص 54.

[10]- ول ديورانت: المرجع السابق، ج13، ص 191.

وكانت أجور ومكافآت هؤلاء الأطباء الذمّيين ترتفع حسب درجة قربهم من بلاط الخلفاء وحسب مكانة مرضاهم، هذا القرب ومكانة المريض التي كانت تحكمها مهارتهم الطبية أولا وأخيرا، فقد استأثرت أسرة آل بختيشوع النصرانية بالقرب من الخلفاء العباسيين بفعل براعة أطبائها، فمكّنهم ذلك من المكانة والجاه، فقد جمع الطبيب جبريل بن بختيشوع (ت213هـ/828م)، طبيب هارون الرشيد والبرامكة ثمّ المأمون ثروة هائلة، من ذلك أنّه كان يتقاضى من الرشيد مائة ألف درهم نظير حجامته مرتين في العام فقط، دون حساب أجره مقابل مهامه الطبية الأخرى، فمن أمثلة براعته الطبية نجاحه في علاج نوع من الشلل في جارية للرشيد، بأن تظاهر أمامها بأنّه سيخلع عنها ملابسها أمام الناس فعادت إليها الحركة مباشرة، كرد فعل لا إرادي كان فيه شفاؤها، وهذا لدرايته بعلّتها وطريقة علاجها[1].

ومن إسهاماتهم البارزة في هذه الفترة إدارة البيمارستانات والسهر على مرضاها، كبيمارستان الخليفة الأمويّ الوليد بن عبد الملك (85-95هـ/704-714م) بالشام، وهو أول بيمارستان في الإسلام قال عنه المؤرخ تقي الدين المقريزيّ المصريّ (ت845هـ/1442م): "...وأوّل من بنى المارستان في الإسلام ودار المرضى الوليد بن عبد الملك، وهو أيضا أوّل من عمل دار الضيافة، وذلك في سنة ثمان وثمانين وجعل في المارستان الأطباء وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بحبس المجذمين لئلا يخرجوا، وأجرى عليهم، وعلى العميان الأرزاق..."[2]، وكالبيمارستان الذي بناه الخليفة هارون الرشيد الذي كان ممن عمل فيه وأداره ماسويه (ق2هـ/8م) والد الطبيب يوحنا بن ماسويه الذي عمل فيه أيضا بعد والده[3]، وبيمارستان البرامكة الذي أداره الطبيب ابن دهن الهنديّ (ق2هـ/8م)[4] وبيمارستان بدر (ت289هـ/902م) غلام وقائد جيش الخليفة المعتضد (279-289هـ/892-902م) ببغداد[5]، وبيمارستان السيدة أم الخليفة المقتدر (ت321هـ/933م) ببغداد، الذي اتخذه وافتتحه سنة (306هـ/919م) الطبيب سنان بن ثابت بن قرة الصابئ (ت331هـ/943م) وقد اهتم بإدارته وترتيب شؤونه، كما أشار هذا الطبيب على المقتدر بإنشاء بيمارستان باسمه فبناه وسماه المقتدريّ[6]، وبيمارستان المغافر بمصر الذي بني في خلافة المتوكل

---

[1]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 188.

[2]- المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج4، ص 267.

[3]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 245.

[4]- ابن النديم: المصدر السابق، ص 304؛ الحسني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1999، ج1، ص 53.

[5]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 301.

[6]- ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، ص 302.

(232-247هـ/847-861م)[1]، والبيمارستان العتيق أو الأعلى بمصر أيضا والذي بناه الأمير أحمد بن طولون سنة (259هـ/872م)[2]، ولكن لم تصلنا أخبار أكثر هذه البيمارستانات ويظهر أنّه كان لأطباء أهل الذّمّة مساهمة كبيرة فيها لقلة عدد الأطباء المسلمين في ذلك الوقت المبكر من تطور الطب والمؤسسات الطبية الإسلامية.

وقد أسهم أيضا أهل العلم من الذمّيين في تطور الطب الإسلاميّ عن طريق التأليف الذي استفاد منه الأطباء المسلمون، فقد أخذ أبو بكر الرازيّ مثلا الكثير عن كتب القدماء الطبية[3]، ومنها ما نقله كاملا في كتابه الشهير الحاوي، ككتاب "الكناش" للقس أهرن السكندريّ[4]، و"كناش الثريا" للطبيب فولس الاجانيطيّ السكندريّ (ت ق1هـ/7م) الذي أخذ منه جزءا هاما[5]، وكتاب "الكناش" للطبيب تياذوق (ت88هـ/708م) الذي نقل منه الكثير[6]، كما نقل من العديد من كتب الطبيب حنين بن إسحاق[7]، ومن الرسائل المهمة التي أفادت الطب الإسلاميّ رسالة "أبدال الأدوية" للطبيب ماسرجويه البصريّ النصرانيّ (ت النصف الثاني من ق 2هـ/8م)[8]، وقد اعتمِدت كتب بعض أطباء أهل الذّمّة من طرف الأطباء المسلمين في تعليم الطلاب ككتاب "المسائل في الطب" و"الذخيرة في علم الطب" لثابت بن قرة الصابئ (ت288هـ/901م)[9]، وامتحان ممارسي بعض المهن الطبية كالكحالين الذين يمتحنون بكتاب "العشر مقالات في العين" للطبيب والمترجم حنين بن إسحاق، الذي كانوا يمتحنون فيه فمن لم يوجد ملما به منع من ممارسة الكحالة[10]، ويوحنا بن ماسويه له كتاب "الحميات" الذي اختصر فيه بعض أعمال العلماء الطبية[11]، ولحنين بن إسحاق من

---

(1)- المقريزي: المصدر السابق، ج4، ص 268.

(2)- أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، 1981، ص 67.

(3)- ابن النديم: المصدر السابق، ص 360.

(4)- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ج1، ص 265.

(5)- فؤاد سزكين: المرجع نفسه، مج3، ج1، ص 268.

(6)- فؤاد سزكين: المرجع نفسه، مج3، ج1، ص 320.

(7)- فؤاد سزكين: المرجع نفسه، مج3، ج1، ص 395-396.

(8)- فؤاد سزكين: المرجع نفسه، مج3، ج1، ص 275.

(9)- مريزن العسيري: المرجع السابق، ص 38-39.

(10)- أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص 53.

(11)- جمعة عبد الله ياسين: اهتمام العلماء بالحركة العلمية في العراق (232-334هـ/847-946م)، مجلة آداب الفراهيدي، ع26، جامعة تكريت، العراق، 2016، ص 189.

الكتب المهمة "المسائل في الطب للمتعلمين" وكتاب "الأغذية" و"علاج العين" و"تقاسيم علل العين" وكتاب "اختيار أدوية علل العين" وكتاب "علاج أمراض العين بالحديد" وكتاب "آلات الغذاء" وكتاب "الأسنان واللثة" كتاب "الباه" وكتاب "تدبير الناقه" وكتاب "معرفة أوجاع المعدة وعلاجها" وكتاب في "البول على طريق المسألة والجواب" ومقالة كتاب "المولودين لثمانية أشهر" وكتاب "الترياق" وكتاب "العين على طريق المسألة والجواب"[1]، وكان حنين بن إسحاق أيضا ماهرا في صناعة الكحل وله تصانيف مشهورة بالجودة فيها[2].

كما أدّوا دورا مهما في علم الصيدلة وصناعة الأدوية، وأطلق عليه علم الأقراباذين[3]، كأهل الهند الذين يقول عنهم الأديب والمتكلم الجاحظ: "فكل صيدلانيّ عندنا إلّا وله غلام سنديّ"[4]، وكذلك باقي النحل وعلى رأسهم النصارى منهم يوحنا بن ماسويه (ت243هـ/857م) الذي يعتبر أول صيدلانيّ في العالم الإسلامي، ففي وقته كان الطب مرتبطا بالصيدلة، فكان الطبيب صيدلانيا يصنع الدواء بنفسه وبه يعالج مرضاه، وانفصل العلمان بعد ذلك على يد الطبيب المسلم أبي بكر الرازيّ (ت313هـ/925م)[5].

والصيدلانيّ الكبير سابور بن سهل النصرانيّ (ت255هـ/869م) الذي ساهم بشكل فعّال في علم الصيدلة عند المسلمين بالمداواة والتعليم وصناعة الأدوية بجنديسابور في بلاد فارس قال عنه الطبيب والمؤرخ ابن أبي أصيبعة (ت668هـ/1270م): "سابور بن سهل كان ملازما لبيمارستان جنديسابور ومعالجة المرضى به وكان فاضلا عالما بقوى الأدوية المفردة وتركيبها...وتقدم عند المتوكل وكان يرى له وكذلك عند من تولى بعده من الخلفاء...ولسابور بن سهل من الكتب كتاب "الأقراباذين الكبير" المشهور الذي جعله سبعة عشر بابا[6]، وكان هذا المصنف هو المعوّل عليه في البيمارستانات ودكاكين الصيادلة"[7]، فقد ظلّ هذا الكتاب الهام هو المعوّل عليه عند الصيادلة وفي البيمارستانات[8] مدة تزيد

---

(1)- ابن النديم: المصدر السابق، ص 356.
(2)- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 262.
(3)- القنوجي: أبجد العلوم، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2002، ج1، ص 430.
(4)- الجاحظ: الحيوان، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ج3، ص 207.
(5)- محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الازدهار 02 مرجع سابق، ص 61.
(6)- وجاء عند القفطي أنّه في 22 بابا؛ ينظر القفطي: المصدر السابق، ص 160.
(7)- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 230.
(8)- أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص 63.

عن ثلاثة قرون حتىّ ظهر كتاب "الأقراباذين" للطبيب العباسيّ الكبير ابن التلميذ أمين الدولة هبة الله (ت560هـ/1164م)، وكان إسحاق والد الطبيب الكبير حنين صيدليا في الحيرة، فربى ابنه حنين على حب العلوم وعلى رأسها الطب ثمّ دخل حنين بغداد وحضر مجلس الطبيب والمترجم يوحنا بن ماسويه (ت243هـ/857م) وجعل يخدمه ويقرأ عليه الطب.

ويجب أن ننوّه إلى أنّ هذا الوصف الذي أسقطناه على كثير من أطباء أهل الذّمّة وصيادلتهم بعيد عن المبالغة، لأنّ هذه البراعة وهذه الصفات التزم بها الأطباء الذمّيون فعلا على الأكثر أغلبهم، لأنّها كانت من أبجديات ممارسة مهنة الطب وشروطه وقتئذ، فلا يمكّن الطبيب من مزاولة المهنة من دونها[1]، ولم يشذ عنها إلّا القليل من الأطباء كإسرائيل بن زكريا بن الطيفوريّ (ت248هـ/862م) المتهم بقتل الخليفة المنتصر (247-248هـ/861-862م)[2] بدعم من قادة الجيش.

وظهر عند المسلمين في هذه الفترة الاهتمام بطب الحيوان، والذي كان قد اشتغل واعتنى به العرب وبمسائله وبوصفه قبل الإسلام، حيث تناولوا الحيوانات وشيء من طبها في القصائد الشعرية التي جمعت فيما بعد، فكانت تمثل عندهم نوعا من علم الحيوان القومي[3]، وزاد في تطوير هذا التخصص الطبي علماء أهل الذّمّة بالممارسة والتأليف، فقد ألّف الطبيب ثابت بن قرة الصابئ (ت288هـ/901م) كتابا في طب الحيوان[4]، كما تمّ تأليف كتاب يتناول الحيوان والصيد باستعمال الصقور "البيزرة" والذي ألّف بأمر من الخليفة العباسيّ المهدي (158-169هـ/775-785م) وتضمن في معظمه ترجمات فارسية ويونانية[5].

ويجب أن نشير إلى أنّه إن كان لأطباء أهل الذّمّة الفضل الظاهر في دفع الطب الإسلاميّ بشكل مباشر وغير مباشر، فإنّ نبوغه وازدهاره كان على يد الأطباء المسلمين، فلم تغرب شمس القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي حتى ظهر أطباء مسلمون نوابغ بلغت شهرتهم الآفاق، خدموا أمتهم وانتفعت

---

[1]- مريزن العسيري: المرجع السابق، ص 12-25.

[2]- الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمّد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت)، ج1، ص 356؛ ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمّد الأرناؤوط، خرّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، 1986، ج3، ص 225.

[3]- سزكين فؤاد: المرجع السابق، مج3، ج1، ص 546.

[4]- سزكين فؤاد: المرجع نفسه، مج3، ج1، ص 593.

[5]- سزكين فؤاد: المرجع نفسه، مج3، ج1، ص 550.

من علمهم البشرية قرونا عديدة[1]، بعدما نهلوا من علوم من سبقهم وأضافوا عليها لمستهم الخاصة التي صقلتها الحضارة الإسلامية، فظهر عند المسلمين في علم الطب خلافا لسابقيهم نظريات جديدة مبتكرة في العلاج، كالعلاج السريري الذي يهتم بتاريخ المرض عند المريض وأثر الحالة النفسية في الأمراض البدنية، كما ظهر عندهم التخصص في الطب[2]، ويأتي على رأسهم الطبيب البارع مُحَّد بن زكريا الرازيّ (ت313هـ/925م) الذي وصفته المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه (ت1419هـ/1999م) في كتابها شمس العرب تسطع على الغرب بـ: "أعظم أطباء الإنسانية على الإطلاق"[3]، وهذه العظمة إن لم تنطبق على من جاء بعده من الأطباء، فهي تنطبق على من سبقه وعاصره منهم دون ريب أو خلاف، فقد كان له منتهى النظر في القضايا الطبية العويصة في عهده[4]، مع أنّ الأمصار الإسلامية وخاصة العاصمة بغداد كانت تعج بالأطباء الذمّيين، كما عقّب على أساتذة الأطباء الذمّيين، وعلى رأسهم اليونانيون كجالينوس (ت200م) في كتابه "الشكوك على جالينوس"[5].

2-علم الفلسفة:

الفلسفة لفظ يونانيّ دخيل على العربية يعني إيثار الحكمة[6]، والحكمة تعني عندهم معرفة الله والبحث في الإلهيات، فتكون الفلسفة من هذا المنطلق الجهد المتفاني للوصول إلى معرفة الله[7]، ويعرّفها المفكر الباكستانيّ مُحَّد إقبال (ت1938م) رحمه الله بقوله: "إنّ روح الفلسفة هي روح البحث الحرّ تضع كل سند موضع الشكّ ووظيفتها أن تتقصّى فروض الفكر الإنساني التي لم يمحصها النقد إلى أغوارها وقد تنتهي من بحثها هذا إلى الإنكار أو إلى الإقرار في صراحة بعجز التفكير العقلي البحث عن اكتناه الحقيقة القصوى"[8]، وطريقها العقل والمنطق وليس النقل والنصوص الدينية وهذا مرد انحرافها، ولا أدلّ

---

(1)- فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج1، ص 78.

(2)- محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 57-58.

(3)- زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، ط8، دار الجيل، بيروت، 1993، ص 243.

(4)- ابن النديم: المصدر السابق، ص 360؛ القفطي: المصدر السابق، ص 207.

(5)- بشير رمضان التليسي وجمال هاشم الذويب: المرجع السابق، ص 313.

(6)- عبد الحليم محمود: المرجع السابق، ص 163.

(7)- عبد الحليم محمود: المرجع نفسه، ص 169.

(8)- مُحَّد إقبال: تجديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة: عباس محمود، ط2، دار الهداية، مصر، 2000، ص 7.

على انحرافها مصدرها اليونانيّ الوضعي[1]، فالعالم منذ أن نشأ وهو يحاول أن يجد مقياسا عقليا يزن به الحق والباطل في مجالي الغيبيات والأخلاق، ولكنّه رغم الجهد المبذول لم يصل إلى هذا المقياس العقلي، ولم يصل إلى عصمة العقل والمنطق وهذا محال، وهذا ظاهر في الاختلاف الكبير بين البشر في المجالين المذكورين، إلّا إذا تقيدوا بالقيد الشرعي.

وقد أخذ المسلمون علم الفلسفة بشكل خاص من التراث الفلسفي اليونانيّ[2] الذي عرِف ابتداء بمعية تراث الحضارات الأخرى عن طريق الاحتكاك مع الذمّيين من مختلف النحل التي خالطوها بعد الفتوحات الإسلامية، فقد كانت الأفكار الفلسفية تعج في مختلف ربوع المشرق الإسلاميّ كونه كان مركزا لأكثر الحضارات ومهدا للديانات السماوية السابقة التي اختلطت بعد تحريفها بمختلف الفلسفات خاصة اليونانية، فظهرت بعض الأفكار الفلسفية الكلامية كالتي جاء بها المعتزلة، منذ القرن (2هـ/8م) ولكن لقيت الفلسفات الأولى التي احتك بها المسلمون كالفارسية مقاومة كبيرة من الحكام والعلماء المسلمين فلم يسمح بها فانتهى شرها[3] إلى حين، ولكن تأثير هذا الاحتكاك كان بسيطا جدا مقارنة بالعامل والباب الرئيسي المؤثر في الموضوع، حيث بدأ الفكر الفلسفي خاصة اليونانيّ يدخل بقوة منذ خلافة الخليفة العباسيّ المأمون (198-218هـ/814-833م)، عن طريق فتح باب ترجمة كتب الفلسفة والمنطق على مصراعيه[4]، وكانت الفلسفة اليونانية هي مقصد التراجمة الذمّيين وخاصة كتب فيلسوفها الشهير أرسطو طاليس (384-322ق م)[5]، لما وجدوه من اهتمام من المسلمين المسلمين بها وخاصة حكامهم وعلى رأسهم المأمون.

وهناك نص تاريخي مهم نقله الطبيب والمؤرخ ابن أبي أصيبعة (ت668هـ/1270م) عن الفيلسوف أبي نصر مُحَّد بن مُحَّد الفارابيّ (ت339هـ/950م)، في تاريخ الفلسفة وظهورها إلى أيام الإسلام الأولى، نرى أن نذكره بالرغم من طوله لأهميته قال: "...إنّ أمر الفلسفة اشتهر في أيّام ملوك اليونانيين وبعد وفاة أرسطوطاليس بالإسكندرية،...فصار التعليم في موضعين، وجرى الأمر على ذلك

[1]- هذا لا يعني أنّ أي علم مصدره يوناني هو علم فاسد بل يقتصر الأمر على الطرق والمناهج الموصلة إلى الحقيقة كالفلسفة المعتمدة على النظر العقلي وجعل العقل فوق كل شيء وإهمال النقل.

[2]- دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة وتعليق: مُحَّد أبو ريدة، ط3، دار النهضة العربية، بيروت، (د ت)، ص 120.

[3]- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، ط1، دار القلم ودار الشامية، دمشق-بيروت، 1991، ص 32.

[4]- سعد مُحَّد الكردي: المرجع السابق، ع398، ص 165.

[5]- الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق: مُحَّد بن فريد، دار التوفيقية للطباعة، مصر، 2003، ج2، ص 114.

إلى أن جاءت النصرانية فبطل التعليم من رومية وبقي بالإسكندرية إلى أن نظر ملك النصرانية في ذلك واجتمعت الأساقفة وتشاوروا فيما يترك من هذا التعليم وما يبطل، فرأوا أن يعلم من كتب المنطق إلى آخر الأشكال الوجودية، ولا يعلم ما بعده لأنّهم رأوا أنّ في ذلك ضررا على النصرانية، وأنّ فيما أطلقوا تعليمه ما يستعان به على نصرة دينهم، فبقي الظاهر من التعليم هذا المقدار وما ينظر فيه من الباقي مستورا إلى أن كان الإسلام بعده بمدّة طويلة، فانتقل التعليم من الإسكندرية إلى أنطاكية، وبقي بها زمنا طويلا، إلى أن بقي معلم واحد فتعلم منه رجلان، وخرجا ومعهما الكتب فكان أحدهما من أهل حران والآخر من أهل مرو[1]، فتعلم منه رجلان أحدهما إبراهيم المروزيّ[2] والآخر يوحنا بن حيلان[3]، وتعلّم من الحرّانيّ إسرائيل الأسقف[4] وقويري[5]، وسار إلى بغداد فتشاغل إبراهيم بالدّين وأخذ قويري في التعليم، وأمّا يوحنا بن حيلان فإنّه تشاغل أيضا بدينه وانحدر إبراهيم المروزيّ إلى بغداد فأقام بها وتعلّم من المروزيّ متّى بن يونس (يونان) (ت328هـ/939م)، وكان الذي يتعلّم في ذلك الوقت إلى آخر الأشكال الوجودية، وقال أبو نصر الفارابيّ عن نفسه: أنّه تعلم من يوحنا بن حيلان إلى آخر كتاب البرهان، وكان يسمى ما بعد الأشكال الوجودية الجزء الذي لا يقرأ إلى أن قرئ ذلك، وصار الرسم بعد ذلك حيث صار الأمر إلى معلمي المسلمين أن يقرأ من الأشكال الوجودية إلى حيث قدر الإنسان أن

---

[1]- مرو: مدينة كبيرة من أشهر مدن خراسان وتعرف بمرو الشاهجان؛ ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995، ج5، ص 114.

[2]- إبراهيم المروزي: هو الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزي شيخ الشافعية في وقته في العراق، توفي بمصر سنة (340هـ/952م)، ولكن لم نجد فيما وصلنا إليه من مصادر ما يشير إلى طلبه للفلسفة، ولكن أورد المسعودي في كتاب التنبيه والإشراف أيضا أنّه كان أستاذا للفيلسوف متى بن يونس النصراني (ت328هـ/939م) في الفلسفة ما يشير إلى اشتغاله بها، وهذا ما يوافق قول الفارابي الذي بين أيدينا ولا نجد له ذكرا فيما اطلعنا عليه من مصادر أخرى، وأصاب الفارابي في قوله بتشاغل إبراهيم المروزي بعدها بالدين، وهذا لما أجمع عليه المؤرخون؛ ينظر المسعودي: التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، (د ت)، ص 105-106؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص 27؛ الزركلي: المرجع السابق، ج1، ص 28.

[3]- يوحنا بن حيلان: الحراني فيلسوف نصراني من أساتذة الفارابي في الفلسفة والمنطق توفي ببغداد في خلافة المقتدر (295-320هـ/909-932م)؛ ينظر المسعودي: التنبيه والإشراف مصدر سابق، ص 105-106؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص 154.

[4]- هكذا ورد في عند ابن أبي أصيبعة ولم نجد له أي أثر فيما اطلعنا عليه من مصادر ومراجع، فنترك الأمر معلقا علّنا نوفق والباحثين في الوصول إليه لاحقا إن شاء الله تعالى.

[5]- قويري: أبو إسحاق إبراهيم قويري (كان حيا قبل 328هـ/939م) فيلسوف ومنطقي من تلامذته متى بن يونس (يونان) (ت328هـ/939م) من كتبه "تفسير قاطيغورياس" و"أنالوطيقا الأولى" و"أنالوطيقا الثانية"؛ ينظر ابن النديم: المصدر السابق، ص 323؛ ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 316-317.

يقرأ، فقال أبو نصر: أنّه قرأ إلى آخر كتاب البرهان..."[1]، وهذه شهادة أشهر وأول فلاسفة المسلمين الكبار في دخول الفلسفة إلى جملة علوم المسلمين بأنّها انتقلت من الفلاسفة اليونانيين في الإسكندرية ثمّ أنطاكية بعد انتقال علماء الإسكندرية إليها ومنها إلى الحواضر الإسلامية.

وبالرغم من أثر العوامل الأجنبية في الفلسفة الإسلامية، فإنّها لم تتعدّ التأسيس والتقديم، فما يستشف من دور أهل الذّمّة في الفلسفة الإسلامية أنّه تركّز في الترجمة وإدخال الكتب الفلسفية بشكل خاص، حيث أعطوا أهمية قصوى لترجمة كتب مشاهير الفلاسفة اليونان كأرسطو طاليس، الذي تسابقوا إلى ترجمة كتبه، لما رأوا اهتمام المسلمين بها، وخاصة حكامهم وهم مصدر الثروة التي كان يبحث عنها هؤلاء التراجمة، ووصل بهم الأمر إلى انتحال الكتب وتزييف مؤلفيها بما يخدم مصالحهم، ولم يشغلوا أنفسهم بالفلسفة، فأغلب علماء أهل الذّمّة غلب عليهم الطب أولا، وهذا ليس في العلوم فقط فحتّى التراجمة كان أغلبهم أطباء كمترجمي القرن (3هـ/9م) الذين كان معظمهم من الأطباء[2]، وهذا راجع إلى تركيز رعاة العلوم على استقدام الأطباء بشكل خاص إضافة إلى المردودية المادية العالية للطب، لما كان يغدقه المسلمون عليهم، ومن اهتم بالفلسفة من الذمّيين لم يهمل الطب أو علمه الأصلي، لذلك لا نجد لهم إسهامات ظاهرة خارجة عن ترجمة كتب الفلسفة إلّا دور محدود في التعليم، وبعض الكتب القليلة جدا كمتّى بن يونس (يونان) (ت328هـ/939م) أحد شيوخ الفيلسوف المسلم أبي نصر الفارابيّ، وبعض الكتب الفلسفية ككتاب الطبيب والفيلسوف والمترجم النصرانيّ علي بن ربن الطبريّ (ت نحو250هـ/864م) "فردوس الحكمة" وهو أشهر كتبه[3]، ومن الفلاسفة والمترجمين الذمّيين قسطا بن لوقا (ت300هـ/912م) وهو فيلسوف وطبيب ورياضي ترجم بعض كتب الفلسفة اليونانية، كما له فيها مؤلفات منها رسالة عن "الفرق بين الروح والعقل"[4].

فقد قاموا بزرع النواة الفاسدة عن طريق الاحتكاك والتعليم والجدال مع المسلمين، وبشكل خاص عبر باب الترجمة وإحضار كتب الفلسفة وبسطها بين المسلمين ثمّ ابتعدوا عنها لبخس فائدتها المادية مقارنة بالطب، فانكب على دراستها جهلة ومبتدعة المسلمين، متوهمين أهميتها تأسيا باليونان ومن تبعهم

---

[1]- وقد ذكر المسعودي في التنبيه والإشراف معلومات عن دخول الفلسفة إلى علوم المسلمين توافق إلى حد كبير ما نقله ابن أبي أصيبعة عن الفارابي؛ ينظر المسعودي: المصدر السابق، ص 105-106؛ ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 604-605.

[2]- دي بور: المرجع السابق، ص 42.

[3]- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج3، ج1، ص 361-366.

[4]- هنري كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة: نصير مروى وحسن قبيسي، ط2، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 1998، ص 58.

فشاع نظر المسلمين فيها حتى كثر روادها ونبغ منهم كثيرون، والذين جنوا على دينهم وأنفسهم كالمعتزلة وبعض العلماء كأبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكنديّ (ت252هـ/866م) فيلسوف العرب، وأبو بكر مُحَّد بن زكريا الرازيّ (ت313هـ/925م)، وأبو نصر الفارابيّ (ت339هـ/950م) الذي نبغ في الفلسفة حتى عرف بالمعلم الثاني قياسا بأرسطو طاليس المعلم الأول[1].

3–علم الكيمياء:

عرّفه المسلمون كعلم تعرف به طرق سلب الخواص من الجواهر المعدنية، وجلب خاصية جديدة إليها[2]، وعرف بعلم الصنعة، وأول اهتمام بهذا العلم عند المسلمين كان في العهد الأمويّ على يد الأمير خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (ت85هـ/704م) كما ذكرنا سابقا (راجع الفصل الثاني)، بمساعدة بعض علماء أهل الذّمّة، وقد شكّ البعض في علاقة خالد بن يزيد بالصنعة وروادها في وقته كالراهب مريانوس، وأبرز هؤلاء المشككين هو العلامة عبد الرحمن بن خلدون الذي نفى الأمر بالكلّية، بحجّة أنّ خالد بن يزيد كان من الجيل العربي الأقرب إلى البداوة، والبعيد عن العلوم الطبيعية عامة، والصنعة بشكل خاص لصعوبة التمكن منها، في هذا الوقت المبكر من تاريخ الحضارة الإسلامية[3]، ولكن الأبحاث الأخيرة أثبتت العلاقة إلى حد كبير عن طريق إماطة اللّثام عن بعض المصادر القيّمة التي أرّخت لهذا الحدث العلمي المهم وبيّنت أنّ خالد بن يزيد كانت له معرفة بعلم الصنعة وعلاقة بهؤلاء العلماء الذمّيين[4].

كما ذكر الكيميائيّ المسلم الكبير جابر بن حيان القريب من هذا العهد (ت نحو198هـ/814م) في كتابه "كتاب الراهب" علاقة خالد بن يزيد بمريانوس الراهب السكندرانيّ، وكان هناك تلميذ آخر لمريانوس عرف بالراهب كان معلما لجابر بن حيان[5] عاش بالشام، فقد قصده جابر بن حيان ليأخذ عنه ما تعلّم عن مريانوس، وذكر كل ذلك في كتابه "كتاب الراهب"[6]، كما نجد رسالة مهمّة من آثار مريانوس بعنوان "رسالة مريانوس الحكيم للأمير خالد بن يزيد"[7]، فكل هذا يبين علاقة خالد بن يزيد

---

(1)– الزركلي: المرجع السابق، ج7، ص 20.

(2)– حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، 1941، ج2، ص 1526.

(3)– عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص 542.

(4)– فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج4، ص 162.

(5)– فؤاد سزكين: المرجع نفسه، مج4، ص 162.

(6)– فؤاد سزكين: المرجع نفسه، مج4، ص 190.

(7)– فؤاد سزكين: المرجع نفسه، مج4، ص 163.

بالكيمياء، فقد أسهم علماء أهل الذّمّة في التعريف بهذا العلم ووضع أسسه الأولى بطلب من المسلمين بشكل خاص، ثمّ أكمل المسلمون ذلك بأنفسهم، لذلك لا نجد من نبغ من الذمّيين في هذا العلم في بداية الحضارة الإسلامية، ولم يتعدّ دورهم التعريف والترجمة كونه لم يكن من العلوم المربحة ماديا ولم يلق اهتمام الخاصة كالطب.

وعرف المسلمون الكيمياء في هذه الفترة بمعناها التحويلي وهو الخيمياء، بتحويل المعادن الرديئة إلى معادن ثمينة، وفي هذا المعنى إشارات كثيرة منها أبيات شعرية مهمّة جدا توضّح فترة من تاريخ الكيمياء عند المسلمين كقول الشاعر ابن الروميّ البغداديّ (ت283هـ/896م) القريب من هذا العهد:

كَأنّما زَيتهُ المِغليّ حِينَ بَدَا   كَالكِيْميَاء التِي قَالوا وَلَمَ تُصِبِ[1]

فيظهر من هذا البيت لشاعر عاصر بدايات العلوم الإسلامية وكان قريبا من أهل الحكم والعلم أنّ مصطلح علم الكيمياء ظهر بمصطلحاته الثلاثة الكيمياء والصنعة والخيمياء، وهذه الأخيرة عرفها المسلمون أوّلا على يد الأمير الأمويّ خالد بن يزيد (ت85هـ/704م) كما سبق وأن وضّحنا، وكان الهدف من تعاطيها تحويل المعادن إلى ذهب وهو هدف خالد بن يزيد أيضا، هذا الهدف الذي يظهر من البيت أنّه لم يتحقق وأصبح ذلك معروفا حتىّ بين العوام.

وقد وصلت الكيمياء إلى العلماء المسلمين وعلى رأسهم جابر بن حيان (ت نحو198هـ/814م) من الحضارتين الفارسية واليونانية بعد ترجمتها واستفادة المسلمين منها[2]، ثمّ طوّرها المسلمون تباعا حتى نبغوا فيها، فالدور التأسيسي البارز لعلماء أهل الذّمّة في الكيمياء أدّى إلى ظهور بعض المسلمين وعلى رأسهم العالم الشهير جابر بن حيان، الذي نبغ في علم الكيمياء إلى درجة الدهشة مقارنة بمعطيات عصره، كما ترك جابر كتبا كثيرة إلى حد التعجّب، وقد أثبتت الدراسات الحديثة بالإجماع أنّ فهرس كتبه موثوق[3]، وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أنّ الكيمياء الإسلامية تمثل علما قائما معترفا به بأسسه الفلسفية والتجريبية، وقد اعترف بالروح العلمية لها بفضل أعمال جابر بن حيان الكيميائية التي كانت علما تجريبيا منهجيا[4]، ما أدّى إلى تطورها بشكل كبير، ففي واقعة من الوقائع ضد

---

(1)- ابن الرومي: ديوان ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ج1، ص 246.

(2)- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج4، ص 13.

(3)- فقد اختلف الباحثون في حقيقة العالم المسلم جابر بن حيان ووجوده وعلمه من عدمه، ولكن أثبتت الدراسات والأبحاث الحديثة كما ذكر فؤاد سزكين بما لا يدع مجالا للشك في إنجازات هذا العلم الكبير، وصحة ما روي في شأنه؛ ينظر فؤاد سزكين: المرجع نفسه، ط1، 1986، مج4، ص 201.

(4)- فؤاد سزكين: المرجع نفسه، مج4، ص 11.

حركة الزنج سنة (269هـ/882م) مثلا أمر أن يطلى الخشب بالأدوية التي تمنع النّار من إحراقه[1]، وهذا يظهر مدى التطور الكيميائي الذي بلغه المسلمون في هذا الجانب، وممن أسهم أيضا في هذا العلم من المسلمين الطبيب أبو بكر الرازيّ الذي ترك كتاب"سر الأسرار"الذي يعد أبرز كتبه في الكيمياء[2].

وكان علم الفيزياء (علم الطبيعة) وطلابه أقلّ بكثير من طلّاب العلوم الأخرى كالرياضيات والفلك والخيمياء[3] والطب[4]، ومن أبرز الذمّيين المهتمين بالفيزياء ثابت بن قرة الصابئ (ت288هـ/901م) الذي ترك فيها بعض المؤلفات[5]، وكانت القاعدة المعتمدة في الفيزياء علوم اليونان لذلك وهي التي أخذ عنها المسلمون[6]، لاعتمادهم أوّلا على تسهيلات علماء أهل الذّمّة.

4- علم الفلك:

علم يهتم بأحوال الكواكب من حيث الكميّة والكيفيّة والوضع والحركة ويستدلّ بكيفيّات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسيّة[7]، وقد نال عند حكام المسلمين والمهتمين بالعلم منهم وعلمائهم قدرا عظيما لارتباطه بالعبادات أولا وعلاقته بمختلف العلوم ثانيا، كدوره المحوري في معرفة الاتجاهات البحرية وغيرها من السبل بالاعتماد على الأقمار والنجوم، فاستطاعوا أن يقطعوا فيه أشواطا فخدموا حضارتهم وقدّموا للبشرية فضلا كبيرا.

(1)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997، ج6، ص 404.
(2)- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج4، ص 409.
(3)- الخيمياء: يقصد بها الكيمياء القديمة؛ ينظر دونالد هيل: المرجع السابق، ص 109.
(4)- دونالد هيل: المرجع نفسه، ص 88.
(5)- دونالد هيل: المرجع نفسه، ص 89.
(6)- بشير التليسي وجمال الذويب: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط1، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2000، ص 301.
(7)- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر سابق، ص 525؛ مُحَّد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ترجمة: عبد الله الخالدي، تحقيق: علي دحروج، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996، ص 61.

ولكن كما هو معروف فإنّ العلم تراكمي لم يكن للمسلمين قصب السبق في هذا المضمار بل سبقتهم إليه حضارات فانية وباقية، فمبدأ تطوره كان عند الحضارة الكلدانية[1]، وعنها توارثته الحضارات الأخرى[2] وطوّرته، حتى وصل إلى المسلمين ولكن لم يكن لهم أن يستفيدوا من هذا التراث دون الاستعانة بعلماء هذه الحضارات في الرصد والتعليم وترجمة الكتب الفلكية.

وقد سمّى المسلمون علم الفلك بعلم الهيئة، الذي تطور بالاطلاع على المدارس اليونانية والهندية والفارسية والحرانية، ومن العلماء المسلمين الذين استفادوا من ذلك الرياضيّ والفلكيّ أبو عبد الله مُحَمَّد بن موسى الخوارزميّ (ت بعد 232هـ/847م) فقد أخذ علم الفلك الهنديّ واليونانيّ ووضع منهجا جديدا أخذ به معاصروه ولاحقوه[3].

وكان أهم كتاب فلكي اعتمد عليه المسلمون هو "المجسطي" للفلكيّ اليونانيّ بطليموس (ت ق 2م)، والذي استفادوا منه استفادة كبيرة[4]، وأشهر نسخه ما ترجمه حنين بن إسحاق وصحّحها من بعده ثابت بن قرة الصابئ (ت288هـ/901م)، وكتاب "المفروضات" لبطليموس أيضا، كما استفادوا من الأزياج التي ألّفها فلكيو أهل الذّمّة، وهي كتب فلكية مختصرة بها نص الموضوع والجداول الخاصة به[5]، ومن أشهر الذمّيين المساهمين في هذا العلم ثابت بن قرة الصابئ الذي تولى الرصد ببغداد وجمع ذلك في كتاب عنونه بـ "سنة الشمس" حيث استخرج حركة الشمس وحسب طول السنة وموضع أوجّها وصورة تعديلها[6]، وله كتب أخرى في الفلك منها "في علّة كسوف الشمس والقمر" و"في حالة حالة الفلك" و"في تركيب الأفلاك وخلقتها وعددها وعدد حركات الجهات لها" وغيرها كثير[7].

---

(1)- الكلدانية: مملكة تنتسب إلى الشعب والحضارة الكلدانية في العراق أسستها القبائل العربية التي دخلت جنوب بلاد مابين النهرين في الألف الرابعة قبل الميلاد قادمة من شبه الجزيرة العربية، فأسسوا أول مملكة لهم بالمنطقة في القرن 18ق م سنة (1742ق م)، واستمر وجودهم بين مد وجزر بفعل الصراع مع الممالك في المنطقة كالبابليين حتى القرن (6 ق م) بسقوط بلاد ما بين النهرين بيد الفرس، اشتهروا بعدة علوم على رأسها الفلك؛ ينظر عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990، ج5، ص 132.

(2)- القنوجي: المرجع السابق، ج1، ص 379؛ فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج1، ص 73.

(3)- محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الازدهار 02 مرجع سابق، ص 47.

(4)- مُحَمَّد مؤنس عوض: في رحاب الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط1، دار العلم العربي، القاهرة، 2011، ص 176.

(5)- دونالد هيل: المرجع السابق، ص 57.

(6)- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 295؛ عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1983، ص 281.

(7)- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 299.

فكانت إسهامات علماء أهل الذّمّة في الفلك متركزة في الترجمة وتبسيط كتب الفلك، والمساهمة في بناء المراصد الفلكية، خاصة في عهد الخليفة المأمون (198-218هـ/814-833م) منها المرصد المأمونيّ بالشماسية في بغداد تحت إشراف المنجّم الشهير سند بن علي اليهوديّ (ت بعد 249هـ/864م) الذي أسلم في عهد المأمون[1]، وبنى المأمون مرصدا بجبل قاسيون بالشام[2]، ليبدأ العلماء المسلمون بعدها مباشرة احتكاكهم بهذا العلم بالتوفيق بين المعارف الفلكية اليونانية والفارسية والهندية التي حملتها الترجمة والتعليم، والمعارف القديمة لمختلف الشعوب الإسلامية وعلى رأسهم العرب، وما جاء في دينهم من إشارات فلكية لينتقلوا بعدها إلى أفكارهم الخاصة التي أبدعوا فيها حتى ألّفوا في الفلك وأسهموا فيه إسهامات مهمّة تباعا في فترة مجدهم العلمي زهاء عشرة ألاف جزء[3]، من ذلك صناعة آلات الرصد الفلكي في فترة مبكّرة من حضارتهم وعلى رأسها الإسطرلاب وأوّل من صنعه عند المسلمين الفلكيّ أبو إسحاق مُحَّد بن إبراهيم الفزاريّ (ت نحو 180هـ/796م)، وألّف فيه كتابا سماه "العمل بالإسطرلاب المسطح"[4]، فلم يقف المسلمون عند النظريات الفلكية الأجنبية بل انتقلوا إلى العمليات والرصد بطرق علمية مبتكرة[5].

ونجد من كبار وأشهر الفلكيين المسلمين في الفترة قيد الدراسة الفلكيّ الكبير مُحَّد بن إبراهيم الفزاريّ (ت نحو 180هـ/796م) وهو أول من صنع الإسطرلاب[6]، والفلكيّ والمنجّم أحمد بن مُحَّد بن كثير الفرغانيّ (ت بعد 247هـ/861م)، الذي كتب في الفلك كتابا عظيما انتفع منه المسلمون وظل مرجعا معتمدا في أوروبا وغرب آسيا حوالي سبعمائة عام[7]، والفلكيّ الشهير مُحَّد بن جابر بن سنان أبو عبد الله الحرانيّ المعروف بالبتانيّ (ت317هـ/929م) الذي قال عنه المؤرخ والطبيب القفطيّ (ت646هـ/1248م): "...أحد المشهورين برصد الكواكب والمتقدمين في علم الهندسة وهيئة الأفلاك وحساب النجوم وصناعة الأحكام، وله زيج جليل ضمّنه أرصاد النيرين وإصلاح حركاتها المثبتة في

---

[1]- القفطي: المصدر السابق، ص 159.

[2]- القفطي: المصدر السابق، ص 213.

[3]- دونالد هيل: المرجع السابق، ص 58.

[4]-مُحَّد مؤنس عوض: المرجع السابق، ص 177؛ دونالد هيل: المرجع السابق، ص 27.

[5]- قدري حافظ طوقان: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ط2، لجنة التأليف والترجمة والنشر لجامعة الدول العربية، القاهرة، 1954، ص 12.

[6]- دونالد هيل: المرجع السابق، ص 27.

[7]- ول ديورانت: المرجع السابق، ج13، ص 182.

كتاب بطليموس المعروف بكتاب المجسطي وذكر فيه حركات الخمسة المحيرة على حسب ما أمكنه من إصلاحها، وسائر ما يحتاج إليه من حساب الفلك وكان بعض أرصاده التي سماها في زيجه سنة تسع وستين ومائتين من الهجرة، ومن ذلك في سنة سبع وثمانين ولا يعلم أحد في الإسلام بلغ مبلغه في تصحيح أرصاد الكواكب وامتحان حركاتها، وله بعد ذلك عناية بأحكام النجوم، أدّته إلى التأليف في ذلك، فمن تواليفه فيها كتابه في شرح المقالات الأربع لبطليموس، وكان أصله من حران صابئا، وابتدأ على ما ذكره جعفر بن المكتفي أنّه سأله فأخبره أنّه ابتدأ في سنة أربع وستين ومائتين إلى سنة ست وثلاثمائة، وأثبت الكواكب الثابتة في زيجه لسنة تسع وتسعين ومائتين..."[1]، وقال عنه المؤرخ ابن العبريّ الملطيّ النصرانيّ (ت685هـ/1286م): "وفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة مات مُحَمَّد بن جابر بن سنان أبو عبد الله الحرّانيّ، المعروف بالبتّانيّ أحد المشهورين برصد الكواكب ولا يعلم أحد من الإسلام بلغ مبلغه في تصحيح أرصاد الكواكب وامتحان حركاتها..."[2]، فيلاحظ بشكل جلي أنّ العلماء المسلمين تمكّنوا من علم الفلك في وقت مبكر من حضارتهم، وأنّ دور الذمّيين لم يزد عن التعريف والتبسيط فمحمد بن إبراهيم الفزاريّ برع في القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي وتمكن من صناعة أول إسطرلاب في الحضارة الإسلامية[3]، في هذا الوقت المبكر من تاريخها.

5- علم الرياضيات:

علم الرياضيات هو العلم بأحوال ما يفتقر في الوجود الخارجي دون التعقل إلى المادة كالتربيع والتثليث والتدوير والكروية والمخروطية والعدد، وخواصه فإنّها أمور تفتقر إلى المادة في وجودها لا في حدودها، وتسمى أيضا بالعلم التعليمي، والحكمة الوسطى وبالعلم الأوسط[4]، من فروعه العدد ويسمى ويسمى الحساب والهندسة[5]، وقد تطورت الرياضيات في الحضارة الإسلامية بفعل الاهتمام بالرياضيات اليونانية والهندية[6]، بعد ترجمتها إلى اللغة العربية، فقد أدّت ترجمة الرياضيات اليونانية ذات الطابع النظري، والرياضيات الهندية ذات الطابع العملي إلى تكوّن الرياضيات إسلامية تجمع بين الجانبين النظري

(1)- القفطي: المصدر السابق، ص 212-213.

(2)- ابن العبري: المصدر السابق، ص 158.

(3)- الزركلي: المرجع السابق، ج4، ص 117.

(4)- مُحَمَّد علي التهانوي: المصدر السابق، ص 54.

(5)- مُحَمَّد علي التهانوي: المصدر نفسه، ص 57-58.

(6)- محمود إسماعيل: المرجع سابق، ص 43.

والتطبيقي[1]، هذا التطور الذي كانت قاعدته ما قدّمه العلماء من أهل الذّمّة، ويعتبر القرنين الثالث والرابع الهجريين الثامن والتاسع الميلاديين الفترة الذهبية للرياضيات عند المسلمين[2]، وهذا كان بمساهمة من علماء أهل الذّمّة الذين أخذ عنهم العلماء المسلمون قواعد هذا العلم المهم، ثمّ طوّروه تطويرا علميا مذهلا.

وقد أخذ المسلمون عن الهنود نظام الترقيم، وطوروه وعنهم انتشرت الارقام، وعرفت بالأرقام العربية[3]، واستعملوا الصفر، وطوّروا استخدامه، وكان لهم قصب السبق في ذلك، وعنهم أخذه الأوروبيون واستعملوه في لغاتهم، فكان عندهم في اللاتينية صيفيريوم Cephirum وفي الانجليزية صيفر Cipher وفي الألمانية تسفر Ziffer وفي الإيطالية شيفرا Cifra[4]، كما اشتغلوا بالجبر وبرعوا وبرعوا فيه، وأتوا بالعجب العجاب، فهم أول من أطلق هذا الاسم وعنهم أخذه الأوروبيون بنفس الاسم الجبر AIgebra[5]، وكان ذلك في وقت مبكر من الحضارة الإسلامية على يد الرياضي مُحَّد بن موسى موسى الخوارزميّ (ت بعد 232هـ/847م)، في خلافة المأمون العباسيّ (198-218هـ/814-833م) في كتابه الجبر والمقابلة، إضافة إلى دوره الكبير في تطور الحساب[6]، كما أصبح اسم الخوارزميّ مرادفا لصناعة الحساب في بعض المعادلات الحسابية التي عرفت بالخوارزميات، ونقلها الأوروبيون باسم ألخوريتموس Algoritmus نسبة إليه[7]، ومن أعمال المسلمين العظيمة في الرياضيات أيضا تطوير المثلثات بشكل علمي مستقل عن علم الفلك، ما جعله يعتبر علما إسلاميا، مثل الهندسة التي اعتبرت يونانية[8]، لما قدّمه فيها الرياضيّ إقليدس الإسكندرانيّ (ق 3ق م)، والذي تمّت ترجمة كتابه الأصول والاستفادة منه استفادة كبيرة، حتى سيطرت الهندسة اليونانية على الإسلامية مدة طويلة إلى غاية ظهور ابن الهيثم (ت نحو 430هـ/1038م)، يقول القفطيّ عن إقليدس: "إقليدس المهندس...المظهر للهندسة المبرز فيها ويعرف بصاحب جومطريا واسم كتابه في الهندسة باليوناني الاسطروشيا ومعناه أصول

---

[1]- قدري حافظ طوقان: المرجع السابق، ص 8؛ محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 43.

[2]- حربي عباس محمود وحسان حلاق: المرجع السابق، ص 326.

[3]- قدري حافظ طوقان: المرجع السابق، ص 4-38.

[4]- قدري حافظ طوقان: المرجع نفسه، ص 39-40؛ حربي عباس محمود وحسان حلاق: المرجع السابق، ص 329.

[5]- قدري حافظ طوقان: المرجع السابق، ص 48؛ حربي عباس محمود وحسان حلاق: المرجع السابق، ص 331.

[6]- قدري حافظ طوقان: المرجع السابق، ص 6.

[7]- حربي عباس محمود وحسان حلاق: المرجع السابق، ص 331.

[8]- قدري حافظ طوقان: المرجع السابق، ص 69.

الهندسة...له يد طولى في علم الهندسة وكتابه المعروف بكتاب الأركان هذا اسمه بين حكماء يونان...وسماه الإسلاميون الأصول هو كتاب جليل القدر عظيم النفع، أصل في هذا النوع لم يكن ليونان قبله كتاب جامع في هذا الشأن ولا جاه بعده إلّا من دار حوله، وقال قوله، وقد عني به جماعة من رياضي يونان والروم والإسلام فمن بين شارح له ومشكل عليه ومخرج لفوائده، وما في القوم إلّا من سلّم إلى فضله وشهد بغزير نبله..."[1]، فكان أهم مصدر هندسي عند المسلمين وتعددت نسخه حسب المترجمين فلأهميته العلمية والتعليمية ترجم عدة ترجمات[2]، وبقي كذلك مدة ليست بالقصيرة فلم يظهر رياضيون مسلمون في الهندسة عكس التخصصات الأخرى إلى غاية نبوغ الرياضيّ المهندس ابن الهيثم[3] مُحَمَّد بن الحسن البصريّ المصريّ (ت نحو 430هـ/1038م) الذي عرف ببطليموس الثاني[4]، في إشارة إلى الفلكيّ اليونانيّ بطليموس (ت ق 2م)، ما يشير إلى أنّ الفترة التي سبقت ابن الهيثم سيطرت فيها الهندسة اليونانية على الهندسة عند المسلمين، والتي استنبطت بشكل خاص من هندسة إقليدس الإسكندرانيّ (ق 3ق م) التي أخرجها وشرحها أهل الذّمّة للمسلمين.

6- خرافات التنجيم:

ما يسمى بعلم التنجيم هو ما يدرس العلاقة بين الظواهر الفلكية المهمّة مثل أوقات حدوث الاعتدالين أو اقترانات الكواكب وبين المجتمعات البشرية أو الأمم أو الإنسانية كلّها[5]، حيث يعرفه العلامة عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/1406م) بقوله: "هذه الصناعة يزعم أصحابها أنّهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها، من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولّدات العنصرية مفردة ومجتمعة فتكون لذلك أوضاع الأفلاك والكواكب دالّة على ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلّيّة والشخصية، فالمتقدّمون منهم يرون أنّ معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها بالتّجربة، وهو أمر تقصر الأعمار كلّها لو اجتمعت عن تحصيله، إذ التجربة إنّما تحصل في المرّات المتعدّدة بالتّكرار ليحصل

---

(1)- القفطي: المصدر السابق، ص 54.

(2)- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص 523.

(3)- قدري حافظ طوقان: المرجع السابق، ص 70.

(4)- الزركلي: المرجع السابق، ج6، ص 83.

(5)- عبد المجيد المشعبي: التنجيم والمنجّمون وحكمهم في الإسلام، ط1، مكتبة الصديق، السعودية، 1994، ص 31؛ دونالد هيل: المرجع السابق، ص 85؛ يونغ وآخران: الدين والتعليم والعلم في العصر العباسي، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016، ص 373.

عنها العلم أو الظّنّ"[1]، ويظهر منه توضيح للتنجيم وتعقيب على طبيعته الفاسدة المخالفة للشريعة الإسلامية، وقد ميّز العلماء المسلمون بين علم الفلك والتنجيم، وقالوا أنّ علم الفلك قائم بذاته وله أصوله، أما التنجيم فهو خرافة ووهم ليس له أيّ أساس علمي[2].

وقد دخل هذا الدجل إلى المسلمين من الثقافات اليونانية والفارسية والهندية في وقت واحد، وأكبر إسهامات أهل الذّمّة في التنجيم إقناع جهلة المسلمين بهذه الخرافات التي يردّها الشرع والعقل، ولكن ما لا نفهمه هو كيف آمن به بعض المسلمون مع بيان وتجلّي خرافاته وزيفه؟ (سبق أن بيّنا حكم التنجيم عند ذكر نتائج الترجمة في الفصل السابق وسنبيّنه بإضافات أخرى هنا أيضا)، والأدهى في هذا إيمان بعض الخلفاء من أهل العلم به كالخليفة المنصور (136-158هـ/754-775م) الذي بدأ يتوغل هذا الدجل في عهده، وهذا من قبيح أعماله، فقد كان المنصور أوّل خليفة قرّب المنجّمين وعمل بإحكام النجوم[3]، يقول عنه المؤرخ والجغرافي العثمانيّ حاجي خليفة (ت1657م): "جعفر المنصور وكان -رحمه الله تعالى- مع براعته في الفقه، مقدما في علم الفلسفة، وخاصة في النجوم محبا لأهلها"[4]، من ذلك وضع أساس مدينة بغداد في وقت اختاره المنجّمان نوبخت المنجّم (ق 2هـ/8م) الذي كان مجوسيا ثمّ أسلم في عهد المنصور[5]، وما شاء الله بن سارية (ق 2هـ/8م)[6]، وكذلك رجال الدولة، من ذلك ما ذكر أنّ وزير الخليفة هارون الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك (ت187هـ/803م) لما عزم على الانتقال إلى أحد القصور الجديدة جمع المنجّمين لاختيار الوقت المناسب للانتقال، فاختاروا له وقتا من الليل، فلمّا جنّ الليل خرج على حمار فلمّا وصل إلى أحد المواضع في طريق القصر رأى رجلا قائما وهو يقول:

تَدبَّرَ بالنّجوم وَلَيسَ يَدري   وَرَبُّ النَّجْم يَفعَلُ مَا يُريدُ[7]

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص 557.

[2]- حربي عباس محمود وحسان حلاق: المرجع السابق، ص 315.

[3]- المسعودي: المصدر السابق، ج4، ص 223.

[4]- حاجي خليفة: المرجع السابق، ج1، ص 34.

[5]- الذهبي: تاريخ الإسلام مصدر سابق، ج4، ص 106.

[6]- اليعقوبي: البلدان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ص 25.

[7]- الجهشياري: الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفي السقا وآخرون، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1938، ص 217.

وقد ساهم المجوس الفرس في هذا الدجل بقوة لارتباطه بعقيدتهم المجوسية، فمن عقائدهم الفاسدة زيادة على عبادة النّار عبادة الشمس والقمر والنجوم[1]، كالاتجاه نحو الشمس عند السجود[2]، فقد شجّعوا التنجيم بقوة، وساهموا في ترجمة كتبه، وهذا لخدمة أغراضهم الدنيئة التي تدخل في إطار الصراع الشعوبي (سنأتي إلى هذه الفكرة لاحقا في موضعها إن شاء الله تعالى)، فأضفوا على التنجيم قوة وقداسة دينية، فادّعوا وزعموا لزرادشت قولا في التنجيم يدخل ضمن الصراع الشعوبي فزعموا أنّه قال: " أنّ الملك يزول عن الفرس إلى الروم واليونانية ثمّ يعود إلى الفرس ثمّ يزول عن الفرس إلى العرب ثمّ يعود إلى الفرس"[3].

ثمّ تبع الفرس المجوس في الاهتمام به من تأثّر بشركهم ودجلهم من بعض من انتسب إلى المسلمين كالشيعة، حيث يعترف المؤرخ ورجل الدين الشيعي آغا بزرگ الطهرانيّ النجفيّ (ت1388هـ/1969م) في مصنفه الجامع لكتب الشيعة الموسوم بالذريعة إلى تصانيف الشيعة قال: "نعم اهتمت الشيعة بالنجوم وترجموا كتبها القديمة، وعرضوها على أئمتهم، وبعد أخذ موافقتهم أدخلوها في العلوم الإسلامية وخدموا بها الأمة جمعاء..."[4]، وهذا إقرار من الشيعة أنفسهم بإتباع هذا الدجل الذي أدخلوه في تخاريفهم وشركياتهم بموافقة علمائهم، ورأوا فيه خدمة للمسلمين، وهذا على النقيض تماما من موقف علماء أهل السنة والجماعة الذين رفضوا هذه الخرافات بمجملها وحرّموا النظر فيها، إذا قصد منها التأثير ومعرفة العلاقة بين الظواهر الفلكية المهمّة وبين المجتمعات البشرية، وهذا القصد هو المفهوم من كلام المؤرخ آغا بزرگ الطهرانيّ حيث يدل عليه قوله: "...وترجموا كتبها القديمة وعرضوها على أئمتهم وبعد أخذ موافقتهم..."، فكتب الحضارات القديمة كانت كتب شركية على نحل أصحابها، حيث ركّزت في التنجيم على الاعتقاد بتأثير النجوم على البشر، وعلى هذا المعنى دار البحث فيه عندهم بفعل شركهم، وهذا بعيد كل البعد عن الإسلام.

---

[1]- المقدسي: البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د ت)، ج4، ص 26.

[2]- عبد المجيد المشعبي: المرجع السابق، ص 117.

[3]- عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1977، ص 271؛ عماد الدين خليل: مدخل إلى التاريخ الإسلامي، ط1، المركز الثقافي العربي والدار العربية للعلوم، المغرب بيروت، 2005، ص 184؛ عبد الله سلوم السامرائي: الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980، ص 151.

[4]- آغا بزرگ الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط2، دار الأضواء، بيروت، (د ت)، ج24، ص 73.

من أشهر المنجّمين أبو سهل بن نوبخت من آل نوبخت الفرس، الذين كان جدهم مجوسيا مهتما بالتنجيم[1]، وأسلموا تباعا منذ عهد الخليفة المنصور قال فيهم الشاعر ابن الروميّ البغداديّ (ت283هـ/896م):

أَعلَمُ النَّاسِ بِالنجُومِ بَنو نـُـو بَخت عِلما لَم يَأتِهِم بِالحِسَابِ

بَل بأَن شَاهَدوا السَّمَاء سموّا برقيٍّ فِي المكرمَــاتِ الصّعَابِ

سَاوِرُوهَا بكلّ عَليَاء حَـــتى بَلَغُوها مَفتُوحَةَ الأَبــــوَابِ[2]

ومن أشهر المنجّمين أيضا ما شاء الله اليهودي[3] ميشا بن أبري (ت نحو 220هـ/835م) عمل بالتنجيم منذ عهد الخليفة المنصور إلى وقت المأمون، وألّف هذا المنجّم في هذه الخرافات عدّة كتب قال عنه المؤرخ صاعد الأندلسيّ (ت462هـ/1070م): "صاحب التواليف الفخيمة"[4]، وهي في حقيقتها السخيفة، منها "المواليد الكبير" و"مطرح الشعاع" و"صنعة الإسطرلاب والعمل بها"، وكتاب "ذات الحلق"[5]، كما كان لميشا بن أبري اليهوديّ تلامذة مسلمون على رأسهم المنجّم أبو علي يحيى بن غالب الخياط (ت نحو 220هـ/835م) الذي عد من أفاضل المنجّمين[6]، ومن المنجّمين أيضا سند بن علي اليهوديّ (ت بعد 249هـ/864م) الذي كان مهتما بحركة النجوم وعمل آلات الرصد والإسطرلاب، وعمل منجّما للخليفة المأمون، من أعماله البارزة زيج مشهور اعتمده المنجّمون مرجعا[7] مدة من الزمن، وله مصنفات كثيرة في هذه الصناعة، وسهل بن بشر بن هاني اليهوديّ (ت230هـ/845م)، وتيوفل بن توما النصرانيّ رئيس منجمي المهدي (ت168هـ/785م)، وثابت بن قرة (ت288هـ/901م) أشهر منجمي الصابئة[8]، الذي كان من منجمي الخليفة المعتضد (279-289هـ/892-903م)، وترك في التنجيم والفلك عدة كتب[9].

---

[1]- الذهبي: المصدر السابق، ج4، ص 106.

[2]- ابن الرومي: المصدر السابق، ج1، ص 88.

[3]- دونالد هيل: المرجع السابق، ص 85.

[4]- صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، تعليق ونشر: لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912، ص 60.

[5]- ابن النديم: المصدر السابق، ص 335؛ فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج2، ص 647.

[6]- ابن النديم: المصدر السابق، ص 337.

[7]- عبد المجيد المشعبي: المرجع السابق، ص 120.

[8]- عبد المجيد المشعبي: المرجع نفسه، ص 121.

[9]- ابن النديم: المصدر السابق، ص 333.

وقد اتفق الفقهاء المسلمون على جواز معرفة الناس لعلم الفلك والنجوم للاهتداء بها في سبلهم ومعرفة المواقيت الدينية المرتبطة بالأهلّة، كعلاقة الشمس بالصلوات، وعلاقة القمر المباشرة بصوم رمضان[1] والحج، وما نهي عنه هو الاعتقاد بالتّأثير، وأما الحساب والتسيير فلا حرج فيه[2]، بل محبّذ في في بعض الأمـور، كما بينّا سابقا إذا لم يتعارض مع الشرع ومع تعلم ما هو أوجب منه[3]، أما الاعتقاد بالتّأثير في الحوادث فهو اعتقاد فاسد[4]، قد يصل بعضه إلى الكفر الاعتقادي، إن اعتقد التدبير للكواكب دون الله تعالى[5]، ومن ادّعى أنّ للكواكب دلالات وتأثير على الحوادث دون عبادتها فهو محرم بإجماع المرسلين وصولا إلى المسلمين، يقول الفقيه والأصولي ابن أبي العز الحنفيّ (ت792هـ/1390م): "...وصناعة التنجيم، التي مضمونها الإحكام والتأثير، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية أو التّمزيج بين القوى الفلكية والغوائل الأرضية صناعة محرّمة بالكتاب والسنة، بل هي محرّمة على لسان جميع المرسلين..."[6]، قال النبي ﷺ: «مَا اقْتَبَسَ رَجُلٌ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، إلا اقْتَبَسَ بِهَا شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، مَا زَادَ زَادَ»[7]؛ واختلف في تكفيره[8].

ومما نعجب منه تصديق بعض الخاصة والعوام بالتنجيم، مع حكم الإسلام فيه والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بين أيديهم، والعلماء الكبار يفسرون ويشرحون ويوضحون الأحكام، والأخبار والعقل والوقائع تفنّد كذلك هذه الخرافات، فقد ذكر أنّ الخليفة هارون الرشيد غمّ يوما لأنّ منجّما يهوديا زعم أنّه يموت في تلك السنة، يعني الرشيد، فجاء الوزير جعفر البرمكيّ إلى الرشيد فرآه شديد الغمّ واليهوديّ عنده، فقال لليهودي: أنت تزعم أنّ أمير المؤمنين يموت إلى كذا وكذا يوما قال: نعم، قال: وأنت كم عمرك قال: كذا وكذا، أمدا طويلا، فقال للرشيد: أقتله حتّى تعلم أنّه كذب في أمدك كما كذب في أمده، فقتله وذهب ما كان بالرشيد من الغم، وشكره على ذلك، وأمر بصلب

---

(1)- عبد المجيد المشعبي: المرجع السابق، ص 160.

(2)- عبد الرؤوف المناوي: فيض القدير في شرح الجامع الصغير، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1937، ج1، ص 203.

(3)- عبد المجيد المشعبي: المرجع السابق، ص 164.

(4)- ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد الله التركي، ط10، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997، ج2، ص 762؛ عبد المجيد المشعبي: المرجع السابق، ص 212.

(5)- عبد المجيد المشعبي: المرجع السابق، ص 255.

(6)- ابن أبي العز الحنفي: المصدر السابق، ج2، ص 762؛ عبد المجيد المشعبي: المرجع السابق، ص 258.

(7)- أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001، حديث صحيح، مسند عبد الله بن العباس، 2000، ح2000، ج3، ص 454.

(8)- عبد المجيد المشعبي: المرجع السابق، ص 264.

اليهوديّ[1]، وفي الحادثة قال الشاعر العباسيّ أشجع بن عمرو السلميّ (ت نحو195هـ/811م) المقرب من البرامكة والرشيد[2]:

سَل الرَاكِبَ الموَفي عَلى الجِذع هَل رَأَى لِراكبه نَجماً بَـدا غَير أَعـوَر

وَلَو كَان نَجـم مخبـراً عَن مَنيَـةٍ لَأخـبَره عَن رَأسـه المتَحَير

يُعَرفِنـا مَـوت الإمـام كَأَنَّـه يُعَرِفنا أَنبَاء كِسرى وَقَيصـر

أَتخبـر عَن نحسٍ لغيـرِكَ شُؤمـه وَنَجمك بَادِي الشر يَا شَر مخبر[3]

ولما تجهّز الخليفة المعتصم لغزو عمورية سنة (223هـ/838م) حكم المنجّمون أنّ ذلك طالع نحس، وأنّه يُغلب، فكان من ظفره ونصره ما لم يخف، وفي ذلك يقول الشاعر العباسيّ أبو تمّام (ت231هـ/845م) في قصيدته البديعة الشهيرة:

السَّيفُ أصدق إنباءً من الكُتُبِ في حَدّهِ الحَدُّ بين الجِدّ واللّعبِ

وفيها أيضا:

والعِلم في شُهبِ الأيّام لامعة بَين الخمسين لا في السَّبْعةِ الشُّهُبِ

أين الراوية أم أين النّجومُ وما صاغوه من زُخْرُفٍ فيها ومن كذِبِ

تخرُّصًـا وأحاديثًـا مُلَفْقَـةً ليست بنَبْع إذا عُدَّت ولا غَـرَبِ[4]

والخليفة العباسيّ الواثق (227-232هـ/842-847م) لما اشتدّ مرضه أحضر المنجّمين، فنظروا في مولده فقدّروا له أن يعيش خمسين سنة مستأنفة من ذلك اليوم، فلم يعش بعد قولهم إلّا عشرة أيام[5].

وفي سنة (284هـ/897م) كان المنجّمون يقولون بغرق أكثر الأقاليم إلّا إقليم بابل، فإنّه يسلم منه اليسير، وذلك يكون بكثرة الأمطار وزيادة المياه في الأنهار والعيون، فحدث العكس، فقحط الناس وقلت الأمطار وغارت المياه حتى استسقى الناس ببغداد مرات[6]، وفي سنة (582هـ/1186م) كان المنجّمون في جميع البلاد يحكمون بخراب العالم في هذه السنة في شهر شعبان منها، بطوفان من الريح في سائر البلدان، وخوّفوا بذلك من لا وثوق له باليقين، ولا إحكام له في الدّين، من ملوك الأعاجم والروم

[1]- ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص 329.

[2]- الزركلي: المرجع السابق، ج1، ص 331.

[3]- ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص 329.

[4]- الذهبي: تاريخ الإسلام مصدر سابق، ج5، ص 692.

[5]- ابن العبري: المصدر السابق، ص 141.

[6]- ابن العبري: المصدر نفسه، ص 151.

وأشعروهم من تأثيرات النجوم، فشرعوا في حفر المغارات، وتعميق بيوت في الأسراب وتوثيقها وسدّ منافذها على الريح وقطع طريقها ونقلوا إليها الماء والزاد، وانتقلوا إليها وانتظروا الميعاد، قال المؤرخ أبو شامة المقدسيّ (ت665هـ/1267م) عن هذه الليلة نقلا عن مؤرخ معاصر للحدث: "...وكلّما سمعنا أخبارهم استغربنا في الضحك من عقولهم، وسلطاننا (يعني صلاح الدين) متنمر من أباطيل المنجّمين موقن أنّ قولهم مبنيّ على الكذب والتخمين، (وهذا من جيد معتقد صلاح الدين الأيوبيّ ومن أسباب توفيقه) فلمّا كانت الليلة التي عيّنها المنجّمون لمثل ريح عاد وقد شارفنا الميعاد ونحن جلوس عند السلطان في فضاء واسع، وناد للشموع الزّاهرات جامع، وما يتحرك لنا نسيم ولا لسرح الهواء في رعي منابت الأنوار مُسِيْمُ، وما رأينا ليلة مثلها في ركودها وركونها وهدوِّها وهدونها"[1]، فخزي المنجّمون وامتحنوا من كذبهم في إنذارهم ووبّخهم الناس وسبّوا أكثرهم[2] وقال الشعراء في ذلك منهم ابن المعلم أبو الغنائم مُحَمَّد بن علي الواسطيّ (ت592هـ/1196م):

قل لأبي الفضل قَول معترف مضى جُمَادَى وجاءنا رَجَبُ
وَمَا جرت زعزعا كَمَا حكمُوا وَلَا بدا كَوْكَب لَهُ ذَنْب
كلا وَلَا أظلمت ذكاء وَلَا أبدت أَذَى فِي قرانها الشهب
يقْضِي عَلَيْهَا من لَيْسَ يعلم مَا يقْضى عَلَيْهِ هَذَا هُوَ الْعجب
فارم بتقويمك الْفُرَات والإصطرلاب خير من صفره الْخشب
قد بَان كذب المنجّمين وَفِي أَي مقَال قَالُوا فَمَا كذبُوا
مُدبر الْأَمر وَاحِد لَيْسَ للسبعة فِي كل حَادث سَبَب
لَا المشْتَرِي سَالم وَلَا زحل بَاقٍ وَلَا زهرَة وَلَا قطب
تبَارك الله حصحص الْحق وانجاب التَّمَادِي وزالت الرِيبُ
فليبطل المدعون مَا وصفوا فِي كتبهم ولتحرق الكتب[3]

وغير هذا كثير جدا، وطرح هذه الأمثلة التاريخية الواقعية لا يعني عدم كفاية الأدلة النقلية وحجيّتها، ولكن كأحداث تاريخية تؤرخ لهذه الخرافات، وتبيّن تناقضات المجتمع المسلم وقتئذ، يقول عن

[1]- أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997، ج3، ص 264.

[2]- القفطي: المصدر السابق، ص 313.

[3]- القفطي: المصدر نفسه، ص 313-314.

هذه القضية العلامة عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/1406م) في تشريح لها نورده بالرغم من طوله لأهميته فيقول: "اعلم أنّ من خواصّ النّفوس البشريّة التّشوّق إلى عواقب أمورهم، وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت، وخير وشرّ، سيّما الحوادث العامّة كمعرفة ما بقي من الدّنيا ومعرفة مدد الدّول أو تفاوتها والتّطلع إلى هذا طبيعة مجبولون عليها، ولذلك تجد الكثير من النّاس يتشوّقون إلى الوقوف على ذلك في المنام، والأخبار من الكهّان، لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسّوقة معروفة، ولقد نجد في المدن صنفا من النّاس ينتحلون المعاش من ذلك لعلمهم بحرص النّاس عليه، فينتصبون لهم في الطّرقات والدّكاكين يتعرّضون لمن يسألهم عنه، فتغدو عليهم وتروح نسوان المدينة وصبيانها، وكثير من ضعفاء العقول يستكشفون عواقب أمرهم في الكسب والجاه والمعاش والمعاشرة والعداوة وأمثال ذلك ما بين خطّ في الرّمل، ويسمّونه المنجّم وطرق بالحصى والحبوب ويسمّونه الحاسب، ونظر في المرايا والمياه ويسمّونه ضارب المندل، وهو من المنكرات الفاشية في الأمصار، لما تقرّر في الشريعة من ذمّ ذلك، وإنّ البشر محجوبون عن الغيب، إلّا من أطلعه الله عليه من عنده في نوم أو ولاية، وأكثر ما يعتني بذلك ويتطلّع إليه الأمراء والملوك في آماد دولتهم، ولذلك انصرفت العناية من أهل العلم إليه، وكلّ أمّة من الأمم يوجد لهم كلام من كاهن أو منجّم أو وليّ في مثل ذلك من ملك يرتقبونه أو دولة يحدّثون أنفسهم بها، وما يحدث لهم من الحرب والملاحم، ومدّة بقاء الدّولة وعدد الملوك فيها والتّعرّض لأسمائهم..."[1]، وهذا توضيح جيد لسبب انتشار هذا الدجل والتعلق به، حتى من أهل الحكم والعلم، ولكن يبقى عجبا تعلق الحكام المسلمين به ومنهم أهل علم كالمنصور والرشيد، في فترة التابعين وتابعي التابعين.

7-علم الفلاحة:

عرّف العلامة عبد الرحمن بن خلدون هذا العلم بقوله: "هذه الصّناعة من فروع الطّبيعيّات وهي النّظر في النّبات من حيث تنميته ونشؤه بالسّقي والعلاج وتعهّده بمثل ذلك وكان للمتقدّمين بها عناية كثيرة وكان النّظر فيها عندهم عامّا في النّبات من جهة غرسه وتنميته ومن جهة خواصّه..." [2]، وقد أيقن المسلمون منذ بداية دولهم بأهمية النشاط الاقتصادي في تدعيم كيان الملك وعزّه، وبما أنّ أبرز نشاط اقتصادي وقتئذ كان الفلاحة، مع وفرة مقوماتها وضخامة دخلها وحفظها لقوت الرعية، سعوا في تطويرها بمختلف الوسائل بما فيها النظرية.

[1]- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص 361-362.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر نفسه، ص 532.

وقد ذكر المسلمون النبات مقترنا بالفلاحة، ولم يفصلوا بينهما إلّا في زمن متأخر حيث عالجوهما كفرع واحد منذ القرن (2هـ/8م)[1]، وذلك بالرغم من ارتباط النبات بعلم الصيدلة وصناعة الأدوية، التي اهتمّ بها ابتداء بعض علماء أهل الذّمّة منهم الطبيب يوحنا بن ماسويه (ت243هـ/857م) النصرانيّ حيث صنّف كتابا في الأدوية والعقاقير التي تستخلص من النبات، وفي استعمالاتها الطبية الممكنة منها كتاب "خواص الأغذية"، وكتاب "ماء الشعير"[2]، والطبيب والمترجم حنين بن إسحاق (ت260هـ/873م) الذي اهتم بالنبات من وجهة نظر طبية، وألّف في ذلك كتبا أهمها "كتاب في البقول وخواصها" و"مقالة في ماء البقول" و"الفواكه ومنافعها"[3]، وإسحاق بن حنين بن إسحاق العباديّ (ت297هـ/910م) الذي صنّف مؤلفًا في "سر البلاذر وبعض أمر استعماله" وقسطا بن لوقا البعلبكيّ (ت300هـ/912م) من مصنفاته في هذا المجال "النبيذ وشربه في الولائم"[4].

وعلى العموم لا نجد أثرا قويا لعلماء أهل الذّمّة في هذا العلم، بفعل اهتمامهم بعلوم أخرى على رأسها الطب، زيادة على تمكّن العلماء المسلمين منه في وقت مبكر وإجادتهم فيه كالأديب واللّغويّ أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوريّ البغداديّ (ت نحو282هـ/895م) الذي صنف كتابا قيّما في النبات سماه "كتاب النبات"، والذي أظهر فيه معرفة واسعة بالنبات، وأردفه برسوم واضحة ودقيقة، ومستعملا لمصطلحات علمية في وصفه، ولم تكن لمعلوماته التي أوردها علاقة ظاهرة بالكتب القديمة المتعلقة بوصف النبات والفرق بينهما واضح من عدة نواحي[5]، كما أنّ عددها (الكتب القديمة) قليل جدا، حيث لم يصلنا من الحضارات السابقة إلّا كتابين يونانيين فقط، رغم تطورهم العلمي وقتئذ وهما كتاب "تاريخ طبيعة النبات" للعالم اليونانيّ تيوفراست (ت287ق م)، الذي اعتبر أبو علم النبات، وكتاب "النباتات الطبية" للطبيب اليونانيّ ديوسكوريدس (ق1م)[6]، وكل هذا بفضل اعتماده على الكتب العربية التي ألّفت قبله وعلى معلومات البدو وأهل البلاد وملاحظاته الشخصية[7].

---

(1)- فؤاد سزكين: المرجع السابق، ط1، 1986، مج4، ص 455.
(2)- فؤاد سزكين: المرجع نفسه، مج4، ص 502.
(3)- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج4، ص 502.
(4)- فؤاد سزكين: المرجع نفسه، مج4، ص 510.
(5)- فؤاد سزكين: المرجع نفسه، مج4، ص 504.
(6)- نفسه.
(7)- فؤاد سزكين: المرجع نفسه، مج4، ص 505.

8- علم الجغرافيا:

علم الجغرافيا علم يهتم بدراسة الظواهر الطبيعية والبشرية الأرضية، وأصل كلمة جغرافيا يونانيّ يعني صورة الأرض[1]، وقد اهتم به المسلمون مع بداية حضارتهم، وكانت القواعد العلمية الجغرافية التي انطلقوا منها مزيج من أصولهم الدينية التي أعطتهم الكثير من المعارف الجغرافية، وما أدخله وعمله علماء أهل الذّمّة عن طريق الترجمة وغيرها، كالصورة أو الخريطة المأمونية التي ساهموا في صناعتها[2]، للخليفة المأمون، وهي أفضل الخرائط التي صورت مختلف الظواهر الفلكية والطبيعية والبشرية[3]، فقد تأثّر الجغرافيون المسلمون في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي الذي بدأت تظهر فيه الجغرافية الإسلامية تأثّرا كبيرا بالمدرسة اليونانية، فيمكن أن نسميها الجغرافية اليونانية المترجمة أو المعرّبة، يمثل هذه المدرسة الكثير من أوائل الجغرافيين الكبار منهم الجغرافيّ ابن خرداذبة عبيد الله بن أحمد البغداديّ (ت نحو 280هـ/893م) صاحب كتاب "المسالك والممالك"، والجغرافيّ والمؤرخ اليعقوبيّ أحمد بن إسحاق بن واضح (ت بعد 292هـ/905م) في مصنفه "البلدان"، والجغرافيّ ابن رسته أحمد بن عمر (ت نحو 300هـ/912م) مؤلّف "الأعلاق النفيسة"، والرياضيّ مُحَمَّد بن موسى الخوارزميّ (ت بعد 232هـ/847م) صاحب "صورة الأرض"، وابن الفقيه الهمذانيّ (ت نحو 340هـ/951م) في مؤلفه "البلدان"، فقد أخذ هؤلاء المعرفة الجغرافية من اليونانيين مباشرة أو عن الترجمات أو الخلاصات التي قام بها أهل الذّمّة من السريان وغيرهم[4]، من ذلك تجلّى تأثير العالم اليونانيّ بطليموس (ت ق 2م) في هؤلاء الجغرافيين المسلمين وغيرهم في أمرين اثنين، أولهما إتباعه في الأطوال والعروض والمواقع عنه، وثانيهما تقسيم العالم وفق تقسيم بطليموس إلى سبعة أقسام[5]، وهذه إشارة واضحة لتأثير الجغرافية اليونانية في الجغرافية الإسلامية.

وظلّت العلوم الجغرافية الأجنبية وخاصة اليونانية منها هي المعتمد عليها في بداية الحضارة الإسلامية، كأعمال الفلكيّ اليونانيّ الكبير بطليموس (ت ق 2م)، وهي التي ترجمت وشرحت مع تبسيط معارفها التي اعتمد عليها الجغرافيون المسلمون الأوائل كالعلامة مُحَمَّد بن موسى الخوارزميّ

---

[1]- القنوجي: المرجع السابق، ص 358.

[2]- عبد العال الشامي: جهود الجغرافيين في رسم الخرائط، دورية الجمعية الجغرافية الكويتية، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، 1981، ع36، ص 6.

[3]- المسعودي: التنبيه والإشراف مصدر سابق، ص 30.

[4]- نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1987، ص 17

[5]- نقولا زيادة: المرجع السابق، ص 18.

(ت بعد 232هـ/847م) الذي اعتمد في أعماله الجغرافية[1] على أصول أهل الذّمّة[2]، لغياب أصول أخرى في هذه الفترة المبكرة، ومن إسهامات أهل الذّمّة في علم الجغرافيا أيضا اكتشاف الأماكن وضبط القياسات المجهولة، فهناك قصة لرحلة جغرافية علمية بهدف كشف أرض يأجوج ومأجوج، بأمر من الخليفة العباسيّ الواثق بالله (227-232هـ/842-847م)، بعد أن رأى في المنام حلما تراءى له فيه أنّ السد الذي بناه ذو القرنين للحؤول دون تسرب يأجوج ومأجوج، قد انفتح، فأفزعه ذلك، فبعث سلام الترجمان[3] وزوّده بما يحتاج من الرجال والدواب والمتاع والكتب إلى الأمصار لتسهيل مهمتهم، وبدأ سلام الترجمان رحلته كما رواها بنفسه ونقلها عنه الجغرافي العاصر له ابن خرداذبة (ت نحو 280هـ/893م)[4] نحو شمال آسيا بحثا عن مكان سد ذي القرنين، وقد أورد أيضا الجغرافيّ الإدريسيّ مُحَّد بن مُحَّد (ت560هـ/1165م) في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"[5] الرحلة وما قام قام به سلام الترجمان، الذي نقل ما شاهده في رحلته للخليفة العباسيّ بشأن السد[6]، وطمأنه بخصوص بخصوص عدم تسرب "يأجوج ومأجوج"[7]، وبقي في رحلته الاستكشافية هذه ثمانية وعشرين شهرا بين

---

[1]- الزركلي: المرجع السابق، ج7، ص 116.

[2]- عبد العال الشامي: المرجع السابق، ع36، ص 6.

[3]- سلام الترجمان: هكذا ورد في أغلب المصادر التاريخية التي استطعنا الوصول إليها، فلم تزد عن تسميته بسلام الترجمان، وقد كان مترجما خاصا عند الخليفة الواثق (227-232هـ/842-847م) مكلّفا بترجمة الرسائل الواردة من بلاد الترك، وروى عن الجغرافي ابن خرداذبة الذي عاصره والتقى به أنّه كان يتكلم ثلاثين لغة، ويظهر أنّه كان ذميا بفعل إتقانه لهذا العدد الكبير من اللّغات فلم يكن في خلافة الواثق وقبلها إلّا عدد قليل جدا من المترجمين المسلمين كالأديب والناقل ابن المقفع (ت142هـ/759م) وكالفلكي والمترجم مُحَّد بن إبراهيم الفزاري (ت نحو 180هـ/796م) والمترجم عمر بن فرخان الطبري (ت199هـ/815م)، والفيلسوف والمترجم الكندي يعقوب بن إسحاق (ت252هـ/866م) وقد اهتموا بترجمة العلوم وليس الوثائق الإدارية والسياسية، كما لم تتواتر أخبار عن كتاب أو علماء مسلمين تكلموا هذا العدد من اللغات، إضافة إلى قلّة أخباره ما يوحي بأنّه ذمي غير معروف عند المسلمين؛ ينظر ابن خرداذبه: المسالك والممالك، دار صادر، ليدن-بيروت، 1889، ص 163؛ البكري: المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ج1، ص 455؛ عبد الرحمن بدوي: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ص 60؛ يحي وهيب الجبوري: المرجع السابق، ص 150.

[4]- ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص 162.

[5]- الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1989، ج2، ص 934.

[6]- لكن لم تشر الرحلة إلى مكان السد بالضبط، وما ذكر أنهم وصلوا إلى مكان بنواحي بحر الخزر (قزوين)، هذا إن كان المكان الذي وصلوا إليه السد فعلا، لأنّ مكان هذا السد ما زال مجهولا إلى اليوم والخلاف حول مكانه كبير.

[7]- ابن الجوزي: المنتظم، تحقيق: مُحَّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج1، ص 295.

ذهاب وإياب[1]، وإن شكّك البعض في أخبار الرحلة وما رواه سلام الترجمان لاختلاف رواياتها كما ذهب إلى ذلك ياقوت الحمويّ[2]، فإنّ الرحلة في حد ذاتها ثابتة عند أكثر الباحثين.

ثمّ فاقت الجغرافية الإسلامية التراث الجغرافي الأجنبي المعتمد على بعضه في البداية كأعمال بطليموس وغيره[3]، فقد تطور علم الجغرافيا عند المسلمين بإسهامات المسلمين أنفسهم بشكل خاص فقد روي أنّه: "...لما بلغ المأمون من كتب الأوائل أنّ قطر الأرض أربعة وعشرون ألف ميل، أراد تحقيق ذلك، فأمر بني موسى (بنو شاكر) المذكورين بتحرير ذلك، فسألوا عن الأراضي المتساوية، فأخبروا بصحراء سنجار[4] ووطأة الكوفة، فأرسل معهم المأمون جماعة يثق إلى أقوالهم، فساروا إلى صحراء سنجار، وحققوا ارتفاع القطب الشمالي، وضربوا هناك وتدا، وربطوا فيه حبلا طويلا ومشوا إلى الجهة الشمالية على الاستواء، من غير انحراف حسب الإمكان، وبقي كلما فرغ حبل نصبوا في الأرض وتدا آخر، وربطوا فيه حبلا آخر كفعلهم الأول، حتى انتهوا كذلك إلى موضع قد زاد فيه ارتفاع القطب الشمالي المذكور درجة محقّقة، ومسحوا ذلك القدر، فكان ستة وستين ميلا، وثلثي ميل، ثمّ وقفوا عند موقفهم الأول، وربطوا في الوتد حبلا، ومشوا إلى جهة الجنوب من غير انحراف، وفعلوا ما شرحناه، حتى انتهوا إلى موضع قد انحطّ فيه ارتفاع القطب الشمالي درجة، ومسحوا ذلك القدر، فكان ستة وستين ميلا وثلثي ميل، ثمّ عادوا إلى المأمون وأخبروه بذلك، فأراد المأمون تحقيق ذلك في موضع آخر، فصيرهم إلى أرض الكوفة، فساروا إليها وفعلوا كما فعلوا في أرض سنجار، فوافق الحسابان، وعادوا إلى المأمون، فتحقق صحة ذلك، وصحة ما نقل من كتب الأوائل،..."[5]، فكان ما وصلوا إليه حوالي 41.248كم، ومن خلال مقارنة هذه القيمة مع القيمة التي قيست في العصر الحديث بواسطة الأقمار الصناعية وهي 40.070 كم، يتّضح أنّ نسبة الخطأ في قياسات المسلمين في فريقي المأمون أنّها صغيرة جدا، وهذا العمل من أعظم الأعمال التي قام به العلماء المسلمون يقول المستشرق الإيطالي كارلو نلينو (ت1938م) عن قياس قطر الأرض في عهد المأمون: "أما قياس العرب فهو أول قياس حقيقي أجري

---

[1]- ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص 170.

[2]- ياقوت الحموي: معجم البلدان مصدر سابق، ج3، ص 200.

[3]- عبد العال الشامي: المرجع السابق، ع36، ص 8.

[4]- سنجار: مدينة شهيرة بالجزيرة ناحية الموصل شمال العراق (تتبع اليوم الجمهورية العراقية)؛ ينظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص 262.

[5]- ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص 162؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية، مصر، ج2، ص 49؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996 ج1، ص 227.

كلّه مباشرة مع كل ما اقتضته تلك المساحة من المدة الطويلة والصعوبة والمشقة واشتراك جماعة من الفلكيّين والمسّاحين في العمل فلابد لنا من عداد ذلك القياس في أعمال العرب العلمية المجيدة المأثورة"[1].

وعلى ما يبدوا أنّها كانت بمؤازرة بعض أهل الذّمّة فلم نصل إلى أسماء العلماء الذين أرسلهم المأمون مع بني شاكر، والأظهر أنّهم ذمّيون لورودهم بصيغة الجمع، وأنّ المأمون يثق في علمهم، وهذا ينطبق على علماء أهل الذّمّة، كونهم كانوا وقتئذ أكثر عددا وأكبر شهرة، إذن فالفكرة كانت إسلامية والتنفيذ كان مشتركا بقيادة العلماء المسلمين يتقدمهم بنو شاكر.

وتطور علم الجغرافيا عند المسلمين كذلك بفعل الرحلات الجغرافية[2] العلمية داخل العالم الإسلاميّ وخارجه، والتي ساهمت في إنشاء المسالك البرية والبحرية، وبفضلها اجتمعت معلومات هائلة عن مختلف البلـــدان ومظاهرها الطبيعية والاجتماعية[3]، كما تطور علم الجغرافيا بفعل النشاط التجاري المتعاظم بجهود المسلمين أنفسهم[4]، فنجد الكثير من الجغرافيين المسلمين الذين اهتموا بهذا الجانب ووصفوا الأقاليم وأبعادها ومسالكها.

9-علم التاريخ:

علم التاريخ هو تعريف الوقت مطلقا، لمعرفة أحوال الماضين من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والملوك والشعراء وغيرهم، للوقوف على الأحوال الماضية وفائدته معرفة عظمة الله عزوجل، عن طريق النظر في تقلبات الأحداث والأحوال بين يدي الله تعالى، ومصير الظالمين والصالحين والعبرة بتلك الأحوال، والتنصّح بها، وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن، ليحترز عن أمثال ما نقل من المضار ويستجلب نظائرها من المنافع فالعبر قبل الخبر[5].

يقول المؤرخ عبد الله العرويّ المغربيّ: "إنّ تأليف التاريخ الإسلاميّ من إبداع العرب، لقد فشلت المحاولات للعثور على مؤثرات خارجية يونانية أو فارسية على غرار ما كشف عنه المنقبون من مؤثرات

---

[1]- كارلو نلينو: علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، ط2، أوراق شرقية، بيروت، 1993، ص 289.

[2]- عبد العال الشامي: المرجع السابق، ع36، ص 12.

[3]- محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الازدهار 02 مرجع سابق، ص 63.

[4]- محمود إسماعيل: المرجع نفسه، مج10، ص 83.

[5]- القنوجي: المرجع السابق، ص 314-315.

أجنبية في الفلسفة وعلم الكلام..."[1]، فكلمة تاريخ كلمة عربية، أمّا كلمة التاريخ عند اليونان "أسطوريا" استعملت عند العرب بمعنى آخر مخالف لمعناها اليونانيّ والرومانيّ هو القصص الخيالية التي لا تخضع للعلم[2].

ولكن لم يحسم الباحثون إشكالية نشأة الفكر التاريخي الإسلاميّ وتطوره، حيث تضاربت الآراء بينهم من المسلمين والمستشرقين[3]، ما يشير إلى تعدد مشاربه وعدم ارتباطه بمصدر معيّن، كعدم وجود علاقة بين علم التاريخ عند المسلمين وحركة الترجمة كمحطة مهمة في تاريخ العلوم الإسلامية، فقد ظهر علم التاريخ وتطور عند المسلمين ضمن التطور العام للحضارة الإسلامية، حيث كان متداخلا مع علوم نقلية أخرى كالحديث والأنساب والعلوم الإسلامية بشكل العام، التي أصبحت تحفظ بعد شيوع استعمال الورق ورواج سوق التدوين[4]، إضافة إلى تطور علم التاريخ عند العرب منذ تاريخ القديم كباقي الأمم، بدءا بتسجيل الأخبار كنقوش على الحجر، وما حفظته قصائد الشعراء من قصص وأخبار تاريخية مهمّة، فالشعر كان ديوان العرب وبه حفظت الأنساب وعرضت المآثر ومختلف الأخبار، ثمّ واصل هذا التطور تباعا إلى العهد الإسلامي[5]، وبفجر الإسلام بدأ الاهتمام بالتاريخ أكثر لِما جاء في القرآن الكريم من اهتمام بالعلم عامة والقصص والأخبار المهمة ذات العبرة البالغة بشكل خاص، وما تلا ذلك من وضع التقويم الهجري وهو تأريخ إسلاميّ خالص، وضع في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ (13-23هـ/634-644م)، ثمّ الاهتمام بسيرة النبي ﷺ ومغازيه، والاهتمام بقصص الأنبياء عليهم السلام وبعلم الأنساب وسير الأمم والملوك وخاصة في جانبها العقائدي والسياسي، ثمّ ظهور القصص (بفتح القاف) والذي كان القصد منه الوعظ والنصح بأخذ العبرة من قصص الماضين وتاريخهم بما ينفع المسلمين في دينهم ودنياهم، هذا القصص الذي كان يتم أيضا في المسجد، وأول قصاص في الإسلام هو الصحابي الجليل تميم الداريّ (ت40هـ/660م) ﷺ، في عهد الخليفة الراشديّ عمر بن الخطاب ﷺ بعد أن أذن له بذلك[6]، كل ذلك وفق منهج مضبوط ودقيق جدا حدده الدين الإسلاميّ في نقل الأخبار

---

(1)- عبد الله العروي: العرب والفكر التاريخي، ط5، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2006، ص 79.

(2)- نفسه.

(3)- محمود إسماعيل: المرجع السابق، ج1، ص 195.

(4)- محمود إسماعيل: المرجع السابق، ج1، ص 199.

(5)- محمود إسماعيل: المرجع نفسه، ج1، ص 201.

(6)- أبو نعيم: معرفة الصحابة، تحقيق: عادل العزازي، ط1، دار الوطن للنشر، الرياض، 1998، ص448؛ مصطفى الشكعة: مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين، بيروت، (د ت)، ص 28.

وتداولها، وتطور هذا المنهج إلى وضع علم جليل سبق إليه المسلمون وهو خاص بهم دون غيرهم وهو علم الجرح والتعديل، أحد فروع علم الحديث وعلم الجرح والتعديل مبني على نقد سلسلة الرواة ومتن الرواية وهو منهج نقدي إسلامي خالص، ظهر على يد المحدّثين الذين وضعوه لنقد الحديث، ثمّ أسقطوه على باقي الروايات، ومنهم اقتبسه المؤرخون وهو أدق مناهج النقد التاريخي على الإطلاق، لدقته وضوابطه الصارمة في قبول الرواية، ويقابله المنهج الغربيّ المبني على النقد الظاهري والباطني للوثيقة التاريخية، والذي لم يظهر إلّا في التاريخ الحديث، وتعود جذوره إلى المسلمين فقد استعمله الأديب ابن سلام الجمحيّ (ت232هـ/847م)[1]، في مقدمته لكتابه "طبقات فحول الشعراء" لإثبات الشعر العربي خاصة الجاهليّ، والعلامة ابن حزم الأندلسيّ (ت456هـ/1064م) في نقده للتوراة المحرّفة في كتابه "الفصل في الملل والنحل"[2]، فلم يكتف المسلمون بالتأريخ فقط، بل وضعوا مناهج نقدية علمية هي المستخدمة إلى اليوم.

فعلم التاريخ عند المسلمين علم إسلامي خالص، لم يكن لغير المسلمين دور في تكوّنه من حيث التنظير لاقترانه بماضيهم وبالعقيدة الإسلامية، ومن حيث مصادر الدراسة، فحتّى الأخبار التي نقلها أهل الذّمّة والمعروفة بالإسرائيليات هي جزء بسيط جدا من مصادر الخبر عند المؤرخين المسلمين، ولم يكن المعول عليها إطلاقا لقول النبي ﷺ عن أخبار اليهود والنصارى: «لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ البقرة 136»[3]؛ فيدل الحديث على التوقف عن الخوض في المشكلات والجزم فيها بما يقع في الظن[4].

كما نجد من مؤرخي المسلمين القدامى الذين ظهروا مع فجر الحضارة الإسلامية التابعيّ والمؤرخ وهب بن منبه الصنعانيّ (ت114هـ/738م)، والتابعيّ والمؤرخ ابن شهاب الزهريّ المدنيّ (ت124هـ/742م)، والتابعيّ والمؤرخ موسى بن عقبة المدنيّ (ت141هـ/758م) صاحب المغازي الموثوقة، والمؤرخ مُحَمَّد بن إسحاق المدنيّ البغداديّ (ت151هـ/768م) والمؤرخ والنسابة ابن الكلبيّ (ت204هـ/820م)، والمؤرخ مُحَمَّد بن عمر الواقدي المدني البغداديّ (ت207هـ/823م)، والأديب

---

[1]- ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني، جدة، (د ت)، ج1، ص 3-50.

[2]- ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ت)، ج1 ص 93-166.

[3]- البخاري: صحيح البخاري، تحقيق: الناصر مُحَمَّد زهير، ط1، دار طوق النجاة، 2001، حديث صحيح، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ البقرة 136، ح4485، ج6، ص 20.

[4]- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1959، ج8، ص 170.

والمؤرخ والأديب ابن المقفع (ت142هـ/759م)[1]، والمؤرخ والمحدث مُحَّد بن سعد البغداديّ (ت230هـ/845م)، والمؤرخ ابن عبد الحكم المصريّ (ت257هـ/871م)، والمؤرخ البلاذريّ أحمد بن يحيى البغداديّ (ت279هـ/892م)، والمؤرخ العلامة مُحَّد بن جرير الطبريّ البغداديّ (ت310هـ/922م) الذي ألّف في القرن الثالث الهجري أحد أعظم كتب التاريخ عند المسلمين وغيرهم، وغيرهم من المؤرخين والإخباريين وهذا من الأدلة أيضا على أصالة علم التاريخ الإسلامي.

واهتم بعض الذميين بتواريخهم الخاصة وبتاريخ العالم، كحنين بن إسحاق الذي ألف كتاب "تاريخ العالم والمبدأ والأنبياء والملوك والأمم والخلفاء في الإسلام"[2]، ومن النصارى أيضا من اهتمّ بعصره كالفضل بن مروان بن ماسرخس النصرانيّ (ق3هـ/9م) الذي خدم الخليفة المأمون والمعتصم، من كتبه "المشاهدات والأخبار"، الذي أرّخ فيه للأحداث التي شاهدها ورآها[3]، وكتاب "الرسائل"[4]، وألّف سنان بن ثابت بن قرة (ت331هـ/943م) كتابا بعنوان "رسائل في تاريخ السريان"[5]، والذي انتقده المؤرخ المسعوديّ (ت346هـ/957م) بحجة خوض سنان في غير صنعته فتكلّف في كتابة التاريخ فجانب نهج أهل التاريخ[6]، ولم يهتم يهود أهل الذّمّة بالتاريخ إلّا في فترة متأخرة فأقدم مؤلّف تاريخي يهوديّ معروف يعود إلى القرن (6هـ/12م) واقتصر على التاريخ اليهودي[7].

ومن الأخبار المهمّة التي اعتمد فيها على أهل الذّمّة حياة الفلاسفة اليونانيين كسقراط (469-399 ق م)، فما ذكره الأديب ابن النديم مثلا عن سقراط اعتمد فيه على ما كتبه إسحاق بن حنين بن إسحاق العباديّ (ت297هـ/910م)، من ذلك قول ابن النديم: "ومن أصحاب سقراط أفلاطون من خط إسحاق بن حنين عاش سقراط قريبا مما عاش أفلاطون ومن خط إسحاق عاش أفلاطون ثمانين سنة"[8].

---

[1]- عبد الله العروي: المرجع السابق، ص 81.

[2]- محمود إسماعيل: المرجع السابق، ج1، ص 29.

[3]- ابن النديم: المصدر السابق، ص 160.

[4]- ابن النديم: المصدر نفسه، ص 160.

[5]- محمود إسماعيل: المرجع السابق، ج1، ص 30.

[6]- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: داغر أسعد، دار الهجرة، إيران، 1989، ج1 ص 25.

[7]- محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الازدهار 04 مرجع سابق، ص 29.

[8]- ابن النديم: المصدر السابق، ص 304.

فيظهر لنا أنّ دورهم في التاريخ عند المسلمين كان ضعيفا جدا لم يتعدّ جمع الأخبار الخاصة بهم، فلم يساهموا في وضع قواعده أو تطوير منهج البحث فيه، أو استحداث مناهج نقد كما فعل المسلمون الذين ساهموا فيه بمنهجين جديدين لا نظير له في المتانة والدقة وهو علم الجرح والتعديل، ومنهج الدراسة الظاهرية والباطنية للوثيقة التاريخية.

10- فن التشييد والزخرفة:

لم يكن للمسلمين في بادئ أمرهم في شبه الجزيرة العربية فن بناء وزخرفة ظاهر وخاص بهم[1]، فاستعانوا بخبرات الحضارات السابقة، فقد تأثّر العباسيون في بادئ أمرهم بالزخرفة الفارسية، كما استعانوا بالكتاب النصارى في تذهيب كتابة المصاحف[2]، التي أعطوها عناية خاصة، واستعان العباسيون كالخليفة المعتصم بأهل الذّمّة في البناء والزخرفة، فقد عثر بعض العلماء في أثارهم على توقيعات بالآرامية والإغريقية والعربية[3]، كما استعان المسلمون في عمارتهم بالعمال من مختلف الولايات[4]، الذين يظهر أنّهم كانوا من مختلف النحل التي توافدت تباعا على الأمصار الإسلامية، أو هم هم من أبناء هذه الأمصار المفتوحة، وبدأ ظهور المهندسين المسلمين في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي[5]، وتجلّى الفن الإسلامي الخاص في الهندسة والزخرفة والخط وشاع استعماله، فأصبحت الزخرفة الزخرفة الإسلامية تستعمل حتّى في الأبنية الدينية لأهل الذّمّة كالأديرة في مصر في القرن الثالث الهجري الثامن الميلادي التي دخلت عليها الزخرفة العراقية والمصرية[6]، اللّتان نمتا تدريجيا بالاشتقاق من الفنون الشرقية التي تجسدت بشكل ظاهر في المنشآت الإسلامية الأولى كقبة الصخرة وبعض القصور، وزادت عليها فأخرجت فنّها الخاص[7]، الذي أبعدت عنه الجوانب الأسطورية وما لا يتوافق مع تعاليم

---

(1)- موريس أسون ديموند: الفنون الإسلامية، ترجمة: أحمد مُحَّد عيسى، دار المعارف، القاهرة، (د ت)، ص 24.

(2)- علام نعمت إسماعيل: فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، ط6، دار المعارف، القاهرة، (د ت)، ص 74.

(3)- علام نعمت إسماعيل: المرجع السابق، ص 61.

(4)- بشير رمضان التليسي وجمال هاشم الذويب: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط1، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2000، ص 314.

(5)- أحمد عبد الرزاق: العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2012، ص 30.

(6)- أحمد عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 63.

(7)- موريس أسون ديموند: المرجع السابق، ص 24و35و91و165.

الإسلام[1]، هذا الفن تعهده الفنانون المسلمون بالتطوير والتغيير وأبدعوا أشكالا جديدة لم تكن موجودة من قبل، غدت بصمة إسلامية مميزة[2]، كفن مدينة سامراء التي تأسّست سنة (221هـ/836م) والذي نسب إليها وعرف باسمها[3]، كما كان للمسلمين فن كتابة خاص بهم طوّروه تباعا وأعطوه عناية كبيرة أكبر من عنايتهم بالزخرفة والتصوير، وكان للخط الإسلاميّ العربيّ خطان رئيسان هما الخط الكوفيّ وخط النسخ ظهرا مع التاريخ الإسلاميّ[4].

نستنتج في الأخير أنّ العلماء الذمّيين في الحضارة الإسلامية كان لهم دور مباشر في ابتداء وتطوير بعض العلوم العقلية كالرياضيات والفلسفة، بما قدّموه من جهود كبيرة في وضع قاعدة لكثير من هذه العلوم المهمة، لقيام الحضارة في جانبها المادي، ليكمل المسلمون المسيرة باقتدار، كما كان لهم دور بارز ولكن سلبي وخطير جدا تمثل فيما أشاعوه من أفكار منحرفة كخرافات التنجيم، كما لم يكن لهم إسهام يذكر في بعضها الآخر كالتاريخ.

المبحث الثالث: دور أهل الذّمّة في العلوم النقلية.

تعتبر العلوم النقلية التي جوهرها عند المسلمين أصول الدين خاصية إسلامية أصّلها العلماء المسلمون، ولكن لما كانت الحضارة الإسلامية مفتوحة على كل أطيافها هل كان لعلماء أهل الذّمّة دور في هذه العلوم المهمة في البناء الروحي لأيّ حضارة؟.

وعرفت بالعلوم النقلية كونها تعتمد على النقل والرواية أكثر من العقل والدراية، وسميت أيضا العلوم الشرعية والدينية لعلاقة موضوعها بالدين كالتفسير والقراءات والحديث والفقه إضافة إلى علوم اللّغة.

1- العلوم الدينية:

وتشمل التفسير والقراءات والحديث والفقه وأصوله، والتي لم يطلبها المسلمون ولم يطلبوا التوجيه الروحي من غيرهم، لاعتزازهم بإسلامهم وغناه عن كل أثر وضعي مهما كان مصدره[5]، ولو كانوا أهل كتاب، زيادة على عداء الذميين للإسلام وابتعادهم عنه، والسبب الرئيسي لاهتماماتهم العلمية وهو

---

(1)- ثروت عكاشة: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، (د ت)، ص 28.

(2)- أحمد عبد الرزاق: الفنون الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، ط2، دار الحريري، القاهرة، 2006، ص 32.

(3)- أحمد عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 59.

(4)- أحمد عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 31؛ موريس أسون ديموند: المرجع السابق، ص 76.

(5)- محمّد عبد الرحمن مرحبا: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2007، ج1، ص 312.

الاسترزاق بما يطلبه رعاة الحركة العلمية الذين اختصوهم بالعلوم العقلية فقط، والأهم من ذلك غنى الإسلام عن شركيات هؤلاء، إضافة إلى جهلهم بعلوم الشريعة الإسلامية لذلك لا نجد أية إسهامات لأهل الذّمّة في هذه العلوم، والأكثر من ذلك هم من تأثّروا بها، فمنهم من نظر في القرآن ودرسه وأخذ ببعض شرائعه الدنيوية كالجاثليق طيماوس الأول (ت207هـ/823م)[1]، واهتم البطريرك يوحنا الثالث (286-291هـ/900-905م) بطريريك النصارى في بغداد بدراسة الفقه الحنفيّ وألّف فيه كتابا بعنوان "جوامع مواريث الإسلام"، وأمر أن يتم تدريسه في مدارس النساطرة الكبرى[2].

وأكثر ما نجده على أيديهم في هذه العلوم بعض الأعمال العلمية الدينية المتعلقة بمذهب كل نحلة، كالفيلسوف سعيد بن يوسف أبو يعقوب الفيوميّ المشهور بسَعْدِيا (ت330هـ/942م)، توفي ببغداد وهو حاخام وفيلسوف يهوديّ مصريّ له عدّة كتب في اليهودية، منها كتاب "المبادئ"، وكتاب "الشرائع"، وكتاب "تفسير أشعيا"، وكتاب "تفسير التوراة نسقا بلا شرح"، إضافة إلى كتاب "الأمثال" وهو عشر مقالات، وكتاب "تفسير أحكام داود"، وأيضا كتاب "تفسير النكت" وهو تفسير زبور داود عليه السلام، وكتاب "تفسير السفر الثالث من النصف الآخر من التوراة"، وكتاب "تفسير كتاب أيوب"، وكتاب "إقامة الصلوات والشرائع"[3].

2- علم اللغة:

إنّ اللّغة إبداع اجتماعي نشأ وتطور بتأثير معطيات الحياة[4]، وقد كانت اللّغة العربية هي لغة الحضارة الإسلامية، وانصهرت في بوتقتها باقي لغات الثقافات المشكلة للحضارة الإسلامية، وخلافا للعلوم العقلية المذكورة تنحصر المصادر التي استقى منها اللغويون المسلمون مادتهم في القرآن الكريم والقراءات القرآنية والحديث النبويّ والشعر العربيّ والشواهد النثرية العربية، ويأتي على رأس المصادر المذكورة القرآن الكريم الذي تأثر به العرب والمسلمون جميعا واستقوا منه كثيرا من الألفاظ[5]، يقول الأديب واللغويّ الراغب الأصفهانيّ أبو القاسم الحسين بن مُحَّد البغداديّ (ت502هـ/1109م) عن دور القرآن في تطور اللغة العربية: "...فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها

(1)- فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج1، ص 16.

(2)- فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج2، ص 511.

(3)- ابن النديم: المصدر السابق، ص 39.

(4)- محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الازدهار 02 مرجع سابق، ص 101.

(5)- عمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب، ط8، عالم الكتب، القاهرة، 2003، ص 17.

اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرّعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة"[1]، والملاحظ على هذه المصادر أنّها مصادر شرعية وعربية (النثر والشعر العربيان)، قد أغنت المسلمين عن البحث خارجها لغناها المعجز في هذا المجال وعلى رأسها القرآن الكريم، لذلك لا نجد إسهامات لغير المسلمين في اللغة والأدب العربيين إلّا ما ندر، فقد تمّ وضع قواعد اللّغة العربية بعد اتساع الفتوحات الإسلامية ودخول غير العرب في الإسلام، وجهلهم بالعربية حتّم العملية زيادة على اتساع العلوم بفعل حركة الترجمة واطلاع علماء العربية على مصطلحات جديدة ساعد النحاة على ضبط النحو العربي[2].

وبالرغم من وجود تأثير لغوي بين الحضارات منذ صدر الإسلام، ولكنّ هذا التّأثير لم ينجر عنه نقل مصنفات معجمية إلى العربية، فالمعاجم العربية تطورت بشكل مستقل عن التأثيرات الخارجية[3].

فلهذه الأسس احتكت اللّغة العربية بعدة لغات، وكان هناك بعض أهل الأدب من الذّمّيين، ولكن لم تؤثر هذه اللّغات تأثيرا يذكر، فلم يضف هؤلاء شيئا إلى اللّغة العربية إلّا بعض المصطلحات وبعض التأثيرات السلبية التي دخلت على العربية في وقت مبكر بتّأثر بعض الجهلة من المسلمين بتراكيب أعجمية منها ما يقول عنه النحويّ أبو مسلم عبد الرحمن (ت نحو 87هـ/706م) مؤدب الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان (65-86هـ/685-705م) لما سمع التصريف الذي أحدثه النحويون ولم يفهمه فقال:

قد كَانَ أَخْذُهُمُ فِي النَّحْوِ يُعْجِبُنِي حتَّى تعاطَوْا كَلَام الزَّنْج والرُّومِ

لما سَمِعْتُ كَلَاما لستُ أُحْسِنُهُ كأنَّه زَجَلُ الغِرْبانِ والْبُومِ

تَرَكْتُ نَحْوَهُمُ واللهُ يَعْصِمُنِي مِن التَّقَحُّم فِي تِلْكَ الجَرَاثِيمِ[4]

كما يجب أن نشير إلى تأثّر اللّغة العربية باللّغات الفارسية واليونانية والهندية بدخول بعض الألفاظ إلى العربية، عن طريق الاحتكاك العلمي، فدخلت بعض الكلمات إلى القاموس العربيّ كالخيزران والفلفل والببغاء وغيرها، كما دخل شيء من الأدب الأجنبي ككليلة ودمنة[1].

---

[1]- الراغب الاصفهاني: المصدر السابق، ص 55.

[2]- محمود إسماعيل: المرجع السابق، مج10، ص 85.

[3]- فؤاد سزكين: المرجع السابق، مج8، ج1، ص 22-23.

[4]- أبو المحاسن التنوخي: تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ط2، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، 1992، ص 195.

وقد كان هناك بعض الأدباء والشعراء الذمّيون الذين تعاطوا الأدب العربيّ دون إضافة فيه تذكر، كابن الحائل هارون اليهودي (ت نحو290هـ/903م) من أهل الحيرة، كان عارفا بالنحو على مذهب الكوفيّين، وكان يناظر اللّغويّ المبرد مُحَّد بن يزيد (ت 286هـ/899م) فيقال أنّه ناظره يوما فقال له المبرد: إنّي أرى لك فهما فلا تكابر فقال له ابن الحائل: يا أبا العباس أيّدك الله خبزنا ومعاشنا، فقال له المبرد: إن كان خبزك ومعاشك فكابر، من كتبه "العلل في النحو" وكتاب "الغريب للهشامي"[2]، وأبو ضمضم البكريّ النسابة (ق 2هـ/8م) وكان نصرانيا[3]، وإبراهيم بن عيسى النصرانيّ، وكان من ظرفاء الكتاب وأدبائهم، من كتبه "أخبار الخوارج"، وكتاب "الرسائل"[4] يذكر في الأدب والكتابة، وظهر من الشعراء اليهود أبو عبيدة (ت209هـ/824م) من كتبه " كتاب المثالب"[5]، ومنهم أيضا أبو دلامة اليهوديّ الذي قال في حوادث سنة (153هـ/770م) لما أمرهم الخليفة المنصور بلبس القلانس:

وَكُنّا نرجي مِن إمـــام زِيادَة فزادَ الإمام المصطفى في القَلانسِ
تَراها على هَامِ الرجال كأنّها دِنَان يهـــودَ جُللت بِالـــبرانسِ[6]

والشاعر أبو قابوس الحيريّ النصرانيّ (عاش إلى أواخر ق2هـ/8م) الذي كتب إلى جعفر بن يحيى البرمكيّ يستهديه لباسا لأحد أعياد النصارى فقال:

أَبَا الْفَضْلِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا يَوْمَ عِيدِنَا رَأَيْتَ مباهَاةً لَنَا فِي الْكَنَائِـــــسِ
وَلَوْ كَانَ ذَاكَ الْمِطْرَفُ الْخَزِّ جُبَّةً لَبَاهَيْتُ أَصْحَابِي بِهَا فِي الْمَجَالِـسِ
فَلا بُدَّ لِي مِنْ جُبَّةٍ مِنْ جِبَابِكُمْ ومن طَيْلَسانٍ من جِيادِ الطيالِـسِ
ومن ثَوْبِ قُوهِيٍّ وثوبِ عَلائِـمٍ ولا بَأْسَ إن أَتْبَعْتَ ذاك بخامـــسِ
إذا تمَّتِ الأَثْوابُ في العِيدِ خَمْسَةً كَفَتْكَ فلم تَحْتَجْ إلى لبس ســادسِ
لَعَمْرُك ما أفرَطْتُ فيما سألتـــه وما كنتُ لو لأَفْرَطْتُ فيه بآيـــسِ
وذاك لأن الشِّعْرَ يَزْدادُ جِـــدَّةً إذا ما أَلْبِلَى أَبْلَى جَدِيدَ المِلابِـــسِ[1]

---

[1]- حربي عباس محمود وحسان حلاق: المرجع السابق، ص 242.
[2]- ابن النديم: المصدر السابق، ص 101.
[3]- ابن النديم: المصدر نفسه، ص 117.
[4]- ابن النديم: المصدر نفسه، ص 163.
[5]- يوسف رزق الله غنيمة: المرجع السابق، ص 111.
[6]- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار التراث، بيروت، 1967، ج8، ص 43.

وهذه الأبيات الثمينة زيادة على أهميتها في الجانب اللّغوي والأدبي، فإنّها تؤرخ لنا جانبا مهما من حياة اليهود والنصارى في فترة من حياتهم في ظل الحكم الإسلاميّ.

فيظهر لنا أنّ العرب والمسلمين قد أعرضوا عن كل أدب آخر لاعتزازهم بآثارهم الأدبية التي كانوا يقدمونها عن كل أثر، وأنّهم أصحاب الفصاحة والبيان(2)، وبالرغم من اهتمامهم الكبير بالترجمة في بداية حضارتهم إلّا أنّهم لم يحفلوا بترجمة الآداب الأجنبية، وإن ترجمت بعض الآداب الفارسية فلم تكن بعناية العرب بل بإرادة من الفرس الذين أرادوا إطلاع العرب على أدبهم لحاجة في أنفسهم(3) كابن المقفع، وبهذا احتفظ الأدب والنحو العربيّان بخصائصهما التي هي من إنتاج العقل العربيّ الخالص أمام المؤثرات الخارجية، بنفور علماء اللّغة من الصيغ اللّغوية المستحدثة التي جاءت بها حركة الترجمة للكتب الأجنبية كي لا تكدّر عليهم لذة صفاء لغتهم(4)، التي طوّرها الإسلام فأغناهم عن سواه.

يتبيّن لنا في الأخير أنّ أهل العلم من الذمّيين ساهموا بطريقة مباشرة وغير مباشرة في العملية التعليمية ومختلف العلوم العقلية عند المسلمين، بالمساهمة في توفير مقومات العملية العلمية بالتعليم والترجمة والشرح، ووضع بعض قواعدها وتطويرها، ولم يكتف المسلمون وقتها بالنقل والفهم والتطبيق على أيديهم فقط، فلم يكونوا مجرد نقلة ومقلدين حتى في العلوم العقلية بل صحّحوا وطوّروا ووفّقوا(5)، وقارنوا بين تلك المعارف وتلك العلوم، فبعد الاطلاع على إنتاج الحضارات السابقة جاء دور الإبداع والابتكار على المستويين النظري والتطبيقي(6)، مع العلم أنّ مساهمة أهل الذّمّة لم تكن إيجابية في مجملها، كخرافات التنجيم التي أدخلوها على المسلمين فجنت على فكر جهلتهم، كما لم يتمكنوا (أهل الذّمّة) من التّأثير في بعض العلوم المهمة التي استأثر بها المسلمون بأنفسهم كعلم التاريخ الذي هو من أسس مقومات الأمة.

---

(1)- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002، ج8 ص 30؛ لويس شيخو: شعراء النصرانية، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1926، ج3، ص 242.

(2)- مُحَمَّد عبد الرحمن مرحبا: المرجع السابق، ج1، ص 312.

(3)- نفسه.

(4)- دي بور: المرجع السابق، ص 59.

(5)- دي لاسي أوليري: علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة: وهيب كامل، مراجعة: زكي علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962، ص 5.

(6)- محمود إسماعيل: المرجع السابق، مج10، ص 81.

الفصل الربع: موقف أهل الذّمّة من الإسلام والمسلمين في القرنين (2-3هـ/8-9م).

1- موقفهم من الأصول والشريعة الإسلامية.

2- دورهم في الحياة المذهبية الإسلامية.

3- موقف المسلمين من أهل الذمة.

الفصل الرابع: موقف أهل الذّمّة من الإسلام والمسلمين في القرنين (2-3هـ/8-9م):

دخل أهل الذّمّة وبالأخص علمائهم إلى حياة المسلمين العلمية بقوة، وعن طريقها وصلوا إلى أعلى المناصب، وولجوا أحصن الأماكن، كمخادع ومجالس الخلفاء بفعل سماحة الإسلام، ولما أوتوه من بعض العلوم التي فقدها المسلمون في بداية حضارتهم، وتمكّن منها هؤلاء كالطب، فأتاحت لهم التدخل في كثير من المجالات التي لم يبتعدوا عن التفاعل معها بما فيها الجانب الديني للمسلمين، مع أنّ عقد الذّمّة يمنعهم من التدخل فيه، وهذا ما يثير التساؤل حول تجاوزهم لهذا الحد الشرعي، فكيف كانت نظرة الذّمّيين للإسلام والمسلمين؟ وكيف كان موقفهم من التشريعات الإسلامية؟ وهل كان لهم دور في الحياة المذهبية؟ وكيف واجه المسلمون كل ذلك؟.

المبحث الأول: موقفهم من الأصول والشريعة الإسلامية.

نظر الذّمّيون للإسلام نظرة عداء وحقد من أوّل وهلة، وسعوا إلى محاربته بكل السبل الممكنة، قال الله عزوجل: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ البقرة 120؛ يعني بقوله جلّ ثناؤه ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتّى تتّبع ملّتهم، وليست اليهود يا مُحَّد ولا النصارى براضية عنك أبدا، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم[1]، وقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ آل عمران 186؛ فوصف الله تعالى الأذى هنا بالكثير، أي الخارج عن الحد الذي تحتمله النفوس غالبا، وكل ذلك ممّا يفضي إلى الفشل، فأمرهم الله تعالى بالصبر على ذلك حتّى يحصل لهم النصر[2]، وقال عز من قائل: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة 109؛ حيث يخبر الله تعالى عباده المؤمنين بنفسيّة كثير من أهل الكتاب، وهي عداوتهم في الباطن والظاهر ورغبتهم الملحّة في أن يتخلّى المسلمون عن دينهم الحق ليعودوا إلى كفرهم، وهذا بفعل

---

[1]- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مُحَّد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ج1، ص 281.

[2]- الطاهر بن عاشور: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج4، ص 190.

الحسد الناجم عن نفسيّة لا ترغب أن ترى المسلمين يعيشون في نور الإيمان بدل ظلمات الكفر[1]، وقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ المائدة 82؛ والتعبير القرآني يفيد الاستقبال والاستمرار، وهو وإن كان موجها للرسول ﷺ فإنّ الأمة داخلة فيه قديما وحديثا، فالعداء كان وهو مستمر إلى قيامة الساعة.

ويقول العلامة عبد الرحمن بن الجوزيّ البغداديّ (ت597هـ/1201م): "...فلما جاء نبينا ﷺ فقهر الملل وقمع الإلحاد، أجمع جماعة من الثنوية والمجوس والملحدين، ومن دان بدين الفلاسفة المتقدمين، فأعملوا آراءهم وقالوا: قد ثبت عندنا أنّ جميع الأنبياء كذبوا وتخرّقوا على أممهم، وأعظم كل بلية علينا مُحَّد ﷺ فإنّه تبع من العرب الطغام، فخدعهم بناموسه فبذلوا أموالهم وأنفسهم ونصروه وأخذوا ممالكنا، وقد طالت مدتهم والآن قد تشاغل أتباعه، فمنهم مقبل على كسب الأموال، ومنهم على تشييد البنيان، ومنهم على الملاهي وعلماؤهم يتلاعبون، ويكفر بعضهم بعضا، وقد ضعفت بصائرهم، فنحن نطمع في إبطال دينهم، إلّا أنّا لا يمكننا محاربتهم لكثرتهم، فليس الطريق إلّا إنشاء دعوة في الدين والانتماء إلى فرقة منهم، وليس فيهم فرقة أضعف عقولا من الرافضة فندخل عليهم..."[2]، فعندما بعث الله تعالى سيدنا مُحَّد ﷺ عظم ذلك على اليهود والنصارى والروم والفرس المجوس وقريش وسائر مشركي العرب، لأنّه دحض أديانهم[3] وسفّه أحلامهم، فأجمعوا كيدهم كلمة واحدة عليه، فنصره الله تعالى عليهم.

فلمّا قبض ﷺ نجم النفاق وارتدّ العرب، وظنّوا أنّ الصحابة ﷺ يضعفون من بعده، فجاهد الخليفة أبو بكر رضي الله عنه (11-13هـ/632-634م) وردّ الردّة وأذلّ الكفر وأهله، ودانت جزيرة العرب كلّها بالإسلام ووسّع الفتوحات، وبوفاته ظنّوا أيضا أنّ الإسلام سينتقص مرة أخرى، فاستخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه (13-23هـ/634-644م)، فدحر فارس والروم، فدسّ عليه أعداء الإسلام المتغلغلون بينهم فارسيا مجوسيا، فقتله ظنّا منهم أنّ بقتله ينطفئ نور الإسلام، فوُلِّي بعده عثمان رضي الله عنه (23-35هـ/644-656م) فعمل على توسيع دولة الإسلام أكثر، وأسقط الإمبراطورية الفارسية

---

[1]- ابن كثير: المصدر السابق، ج1، ص 264؛ أبو بكر جابر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط5، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2003، ج1، ص 98.

[2]- ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: مُحَّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج12، ص 288.

[3]- أنور الجندي: الإسلام والدعوات الهدامة، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972، ص 189.

نهائيا سنة (30هـ/651م)، فلما قتل في فتنة كان لغير المسلمين دور ظاهر فيها، استخلف علي (35-40هـ/656-661م) رضي الله عنهم أجمعين، فقام بالأمر أحسن قيام فلمّا يئس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة لم يقصروا كيدهم على الجانب العسكري فقط، بل كرّوا كرّة هوجاء على جميع أصول الإسلام وراموا هدم عقائده، وتفكيك دعائمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وإضعاف شوكته وتميّزه بين الأديان[1]، وبدأ ذلك يظهر في زمن المتأخرين من الصحابة رضي الله عنهم، حيث أثّروا (الذّمّيون) في كثير من المسلمين[2] ساعين إلى ضرب الإسلام ورسوله ﷺ وتشريعاته بكل الوسائل الممكنة، التي تمثلت في الطعن والإنكار ووضع الروايات الكاذبة وبالجدل وبث العلوم الفاسدة والتغلغل بين المسلمين وإفشاء الزندقة.

1- الطعن في الإسلام وفي النبيّ ﷺ وفي الشريعة:

فأوّل ما قاموا به في هذه الفترة الطعن في الإسلام وفي النبيّ ﷺ، بتصوير الإسلام ونبيّه ﷺ في صورة مغايرة بالغة السوء، فناقضوا الأصول الإسلامية بالقول بالحلول والتناسخ والتشبيه والتجسيم وادّعاء الألوهية وبث الإلحاد[3]، وهدفهم من كل هذا القضاء على الإسلام قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ الصف 08؛ فالمشركون يريدون بكذبهم على الله وتشويه الدعوة الإسلامية ومحاربتهم للمسلمين يريدون إطفاء نور الله القرآن وما يحويه من نور وهداية بأفواههم، وهذا لن يتأتّى لهم لأنّه نور الله تعالى وهو حافظه[4]، ولتشويهه وإبعاد الناس عنه، فراموا هدم الإسلام بهدم جوهره وهو التوحيد مع الحفاظ على عقائدهم الشركية والدفاع عنها ورعايتها، فبلاد فارس مثلا بقيت المجوسية فيها قوية، رغم دخولها تحت راية الإسلام، يقول عنها الجغرافي ابن حوقل (ت بعد 367هـ/977م): "...وأمّا بيوت نيرانها فإنّه لا تخلو ناحية ولا مدينة بفارس إلّا القليل من بيوت النيران والمجوس أكثر أهل الملل بها، ولهم من هذه البيوت بيوت يفضّلونها في التعظيم..."[5]. وهذا واقع القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، فكيف كان في القرون الثلاثة الأولى حيث كان الفرس أقرب

[1]- عماد الدين خليل: مدخل إلى التاريخ الإسلامي، ط1، المركز الثقافي العربي والدار العربية للعلوم، المغرب بيروت، 2005، ص 178.

[2]- عبد الله بن عبد الرحمن الجلابوع: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية من الأفكار الهدامة، ط1، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 2003، ج1، ص 130.

[3]- عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 184.

[4]- أبو بكر جابر الجزائري: المرجع السابق، ج5، ص 339.

[5]- ابن حوقل: صورة الأرض، دار صادر، بيروت، 1938، ج2، ص 265.

عهدا إلى المجوسية؟، أكيد أنّها كانت أكثر انتشارا وأتباعا بفعل حداثة الإسلام في المنطقة، زيادة على سماحة الإسلام وعدم إكراهه لهم على ترك ديانتهم، وإدخالهم في ذمته.

وقد أنكروا نبوّة مُحَمّد ﷺ وطعنوا فيه مطاعن كثيرة وخاصة اليهود لاعتقادهم أنّهم شعب الله المختار ولا شريعة قبل شريعتهم ولا بعدها[1]، بالإنكار والرد والجدل من ذلك مناظرة أحد اليهود بالبصرة لمتكلمي المسلمين فغلبهم، حيث كان ينكر نبوة مُحَمّد ﷺ فجادله المتكلم أبو الهذيل العلاف المعتزليّ (ت235ه/850م) فأفحمه الحجّة فخرج اليهوديّ مدبرا من البصرة[2].

ومن مطاعنهم في النبي ﷺ طعنهم في مسألة زواجه، التي أكثروا فيها النظر لجعلها بابا لتشويه سمعة رسول الله ﷺ، يقول الأديب عباس محمود العقاد (ت1383ه/1964م): "وما اتفق خصوم الإسلام عن سوء نيّة على شيء كما اتفقوا على خطة التبشير في موضوع الزواج على الخصوص، فكلّهم يحسب أنّ المقتل الذي يصاب منه الإسلام في هذا الموضوع هو تشويه سمعة النبي عليه السلام، وتمثيله لأتباعه في صورة معينة، لا تلائم شرف النبوة، ولا يتّصف صاحبها بفضيلة الصدق في طلب الإصلاح، وأي صورة تغنيهم في هذا الغرض الأثيم كما تغنيهم صورة الرجل الشهواني الغارق في لذات الجسد، العازف في معيشته البيتية ورسالته العامة عن عفاف القلب والروح؟، إنّهم لعلى صواب في الخطة التي تخيروها لإصابة الإسلام في مقتله من هذا الطريق الوجيز، وإنّهم لعلى أشد الخطأ في اختيارهم هذه الخطة بعينها، إذ إنّ جلاء الحقيقة في هذا الموضوع أهون شيء على المسلم العارف بدينه، المطلع على سيرة نبيّه، فإذا بمقتله المظنون حجّة يكتفي بها المسلم، ولا يحتاج إلى حجّة غيرها لتعظيم نبيّه، وتبرئة دينه من قالة السوء الذي يفترى عليه، فلا حجة للمسلم على صدق مُحَمّد عليه السلام في رسالته أصدق من سيرته في زواجه، وفي اختيار زوجاته، وليس للنبوة آية أشرف من آيتها في معيشة نبي الإسلام من مطلع حياته إلى يوم وفاته، ما الذي يفعله الرجل الشهواني الغارق في لذات الجسد إذا بلغ من المكانة والسلطان ما بلغه مُحَمّد في قومه؟ لم يكن عسيرا عليه أن يجمع إليه أجمل بنات العرب، وأفتن جواري الفرس والروم على تخوم الجزيرة العربية، ولم يكن عسيرا عليه أن يوفر لنفسه ولأهله من الطعام والكساء والزينة ما لم يتوفر لسيد من سادات الجزيرة في زمانه، فهل فعل مُحَمّد ذلك بعد نجاحه؟ هل فعل ذلك في مطلع حياته؟ كلا لم يفعله قط، بل فعل نقيضه، وكاد يفقد زوجاته لشكايتهن من شظف العيش في داره...والسيدة زينب بنت جحش–ابنة عمته– زوّجها من مولاه ومتبنّاه زيد بن حارثة، فنفرت منه، وعزّ على زيد أن يروضها على

---

[1] –الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق: مُحَمّد بن فريد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2003، ج1، ص 218.

[2]– الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002، ج4، ص 582.

طاعته، فأذن له النبيّ في طلاقها، فتزوجها ﷺ، لأنّه المسؤول عن زواجها، وما كان جمالها خفيّا عليه قبل تزويجها من مولاه، لأنّها كانت بنت عمته، يراها من طفولتها، ولم تفاجئه بروعة لم يعهدها"[1]، وكل هذا لإظهاره بمظهر الرجل الدنيوي المهتم بملذّات الدنيا فقط، والساعي إليها، دون اهتمامات الرسالة السماوية، وذلك لضرب صورته عند المسلمين لتشكيكهم فيه، وعند غيرهم لإبعادهم عن الإسلام بالكلية.

كما طعنوا في التشريعات الإسلامية بضرب العبادات والأخلاق والمعاملات والحدود وغيرها من التشريعات عن طريق وضع الأحاديث الكاذبة، وتشكيك ضعاف العقول في دينهم[2]، بأمور قد ضبطها المحدّثون، وأفسدوا الصّحيح بالتأويل، والطعن عليه، فألقوا إلى من وثقوا به أنّ لكل شيء من العبادات باطنا، وأنّ الله تعالى لم يوجب على أوليائه ومن عرف الأئمة والأبواب صلاة ولا زكاة، ولا غير ذلك، ولا حرّم عليهم شيئا، وأباحوا لهم نكاح الأمهات والأخوات، وإنّما هذه قيود للعامة لا الخاصة، وكانوا يظهرون التشيّع لآل النبيّ ﷺ ليستروا أمرهم، ويستميلوا العامة، وتفرّق أصحابهم في البلاد وأظهروا الزهد والعبادة، يغرون الناس بذلك وهم على خلافه[3]، كما كانوا يتحسّرون على دخول عوامّهم في الإسلام أفواجا[4]، فكان لهم تأثير في أخلاق بعض المسلمين وانحرافهم بفعل إتيانهم بعض الخبائث يقول الأديب واللغوي المصري شوقي ضيف (ت1426هـ/2005م) عن انتشار الخمر: "...وقد تفنن الشعراء في وصف نشوتها وآثارها على الجسد والعقل ووصف دنانها وكؤوسها ومجالسها وندمائها وسقاتها، وكانوا عادة من النصارى والمجوس واليهود..."[5]، إضافة إلى الاستهزاء بعبادات المسلمين، فكان من أساليب الزنادقة الاستهزاء بالشعائر الدينية ففي سنة (169هـ/786م) تتبّع الخليفة الهادي الزنادقة، وقتل منهم جماعة كانوا إذا نظروا إلى الناس في الطواف يستهزئون بهم ويهزلون فيقولون: "ما أشبههم ببقر تدوس البيدر"[6].

---

(1)- العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2013، ص 126-129.

(2)- عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 184.

(3)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997، ج6، ص 580؛ أنور الجندي: المرجع السابق، ص 195.

(4)- جميل عبد الله المصري: المرجع السابق، ص 435.

(5)- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ط8، دار المعارف، القاهرة، (د ت)، ص 67.

(6)- ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطوان صالحاني اليسوعي، ط2، دار المشرق، بيروت، 1992، ص 128.

ومن الأساليب التي استعملها غير المسلمين أيضا لتحقيق أغراضهم في باب الطعن في الدين التأويل الفاسد، مستغلين في ذلك جهل بعض المسلمين باللّغة العربية، قال عن هذا التابعيّ الجليل الزهريّ بن شهاب (ت124هـ/742م): "إنّما أخطأ الناس في كثير من تأويل القرآن لجهلهم بلغة العرب"، وقال اللغويّ والأديب الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت173هـ/789م): "سمعت التابعي الجليل أيوب السختيانيّ (ت132هـ/749م) يقول: عامة من تزندق بالعراق لقلّة علمهم بالعربية"[1]، وهذا يفهم منه أنّهم كانوا من المسلمين غير العرب، أو من جهلة العرب فانطلت عليهم تأويلات أعداء الإسلام.

2- وضع الأحاديث والروايات المكذوبة:

فقد عملوا على إشاعة الروايات المكذوبة، ووضع الأحاديث المتعلقة بالعقيدة والفضائل ونقل الإسرائيليات وأساطير أهل الكتاب وغيرهم[2]، يقول المفكر المصريّ أنور الجندي (ت1422هـ/2002م): "وقد ذهب أغلب الباحثين إلى أنّ أكثر الأحاديث الموضوعة من الإسرائيليات، إنّما وضعت عن تدبير وتخطيط وخصومة وكيد، وأنّها من عوامل الحرب الفكرية والعقائدية الضارية، التي شنّها اليهود وغلاة النحل المبتدعة على الإسلام والمسلمين بكافة الوسائل من التخفي والتسلل والتمويه، بقصد تمزيق وحدة المسلمين، وتلهيتهم عن دينهم القويم، وتشتيتهم عن صراطه المستقيم ويصف بعض الباحثين هذه الظاهرة بأنّها ليست إلّا حربا حقيقية لكتاب الله، أرادوا بها صرف كل من يقرأ تفسيرا من التفاسير عما يريده الله في كتابه من هداية البشر إلى حكايات وأعاجيب وأساطير تستهوي البسطاء، ثمّ تتراكم هذه الأساطير، وتعترض حركة الأفهام السليمة"[3].

وقال المحدث حماد بن زيد الأزرق البصريّ (ت179هـ/795م): "وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ اثني عشر ألف حديث"[4]، وقال المقرئ عبد الله بن يزيد العدويّ المكيّ (ت213هـ/828م): "إنّ رجلا من أهل البدع رجع عن بدعته، فجعل يقول: انظروا هذا الحديث عمن تأخذونه: فإنّا كنا إذا رأينا

---

[1]- أبو حاتم الرازي: الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، علق عليه: حسين بن فيض الله، ط1، مركز الدراسات والبحوث اليمني، اليمن، 1994، ص 124.

[2]- عبد الله بن عبد الرحمن الجلابوع: المرجع السابق، ج1، ص 127.

[3]- أنور الجندي: المرجع السابق، ص237.

[4]- العقيلي: الضعفاء الكبير، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984، ج1، ص 15.

رأيا جعلنا له حديثا"[1]، وقال المحدث حماد بن سلمة البصريّ (ت167هـ/784م): "أخبرني شيخ من الرافضة أنّهم كانوا يجتمعون على وضع الأحاديث"[2]، وكان من أمر الزنديق عبد الكريم بن أبي العوجاء (ت155هـ/772م) لما أخذ لتضرب عنقه قال: "لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحلل الحرام"[3]، ويقول العلامة رشيد رضا (ت1353هـ/1935م): "هذه الروايات خرافات إسرائيلية بثّها زنادقة اليهود في المسلمين ليشوهوا عليهم دينهم وينفّروا أهل الكتاب منه"[4]، ويرى المستشرق الهولنديّ فان فولتن (ت1320هـ/1903م) أنّ عقيدة التنبؤات من الإسرائيليات والأحاديث التي أشاعها اليهود والنصارى بين المسلمين[5]، وهذه شهادة مهمة من غير المسلمين، ويقول رشيد رضا أيضا مفسرا لقصة موضوعة: "إذا علمت هذا فلا يغرنّك شيء ممّا روي في التفسير المأثور في تفصيل هذه القصة فأكثره لا يصحّ، وهو أيضا مأخوذ من تلك الإسرائيليات المأخوذة عن زنادقة اليهود الذين دخلوا في الإسلام للكيد له، وكذا الذين لم يدخلوا فيه..."[6]، ويقول أيضا: "أنّ العابثين بالإسلام ومحاولي إفساد المسلمين وإزالة ملكهم من زنادقة اليهود والفرس وغيرهم من أهل الابتداع وأهل العصبيات العلوية والأموية والعباسية قد وضعوا أحاديث كثيرة افتروها، وزادوا في بعض الآثار المروية دسائس دسّوها، وراج كثير منها بإظهار رواتها للصلاح والتقوى..."[7]، ويؤكد كذلك رشيد رضا في هذا الموضوع: "وما جاء في الآثار...مأخوذ من الإسرائيليات التي كان يبثها زنادقة اليهود والفرس في المسلمين حتى رووه مرفوعا، وقد اغتر بها من لا ينظرون في نقد الروايات إلّا من جهة أسانيدها،...قد هدمها عليه الزمان، كما هدم أمثالها من التّخرّصات والأوهام، وما بُثّ في الإسرائيليات من الكيد للإسلام"[8].

---

(1)- السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب الناواوي، تحقيق: محمّد الفاريابي، دار طيبة، (د ت)، ج1، 336.

(2)- السيوطي: المصدر السابق، ج1، 336.

(3)- حسن أيوب: الحديث في علوم القرآن والحديث، ط2، دار السلام، الإسكندرية، 2004، ص 219.

(4)- رشيد رضا: تفسير الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، 1990، ج1، ص 384.

(5)- فان فولتن: السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن ومحمّد زكي إبراهيم، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1934، ص 114.

(6)- رشيد رضا: المرجع السابق، ج8، ص 317.

(7)- رشيد رضا: المرجع نفسه، ج9، ص 422.

(8)- رشيد رضا: المرجع نفسه، ج9، ص 393.

3- التغلغل والزندقة[1]:

ومن أساليبهم أيضا التغلغل بين المسلمين، وادّعاء الإسلام يقول الأديب والمتكلم الجاحظ في خضم كلامه عن النصارى الذّمّيين: "...ألا ترى أنّ أكثر من قتل في الزندقة ممّن كان ينتحل الإسلام ويظهره، هم الذين آباؤهم وأمهاتهم نصارى على أنّك لو عددت اليوم أهل الظنّة ومواضع التهمة لم تجد أكثرهم إلّا كذلك"[2]، وكذلك باقي النحل وخاصة الفرس المجوس وأكثرهم ممّن وصل إلى مناصب قيادية، كما حصل مع قائد الجيش العباسيّ الأفشين حيدر بن كاوس في عهد الخليفة المعتصم، ففي سنة (225هـ/840م) تغيّر عليه المعتصم بعد أن شكّ فيه، لأنّه وصله أنّه كاتب بعض حكام الفرس في طبرستان وحسّن لهم الخلاف والمعصية، بالخروج على العباسيين، وأراد أن ينقل الملك إلى العجم وأنّه على دين المجوس، فلمّا تأكّد من ذلك بعد محاكمته قتله، وذلك سنة (226هـ/841م)، وصلبه بإزاء بابك الخرمي (سنأتي إليه لاحقا في موضوع الزندقة إن شاء الله)، ووجد الأفشين بعد قتله بقلفته لم يختتن، كما أخرجوا من منزله أصناما[3]، يقول العلامة رشيد رضا (ت1353هـ/1935م): "وما كفّر بعض علماء السّلف بعض منكري الرّؤية وغلاة التّأويل لصفات الله تعالى وغيرها من النصوص إلّا لاعتقادهم أنّهم زنادقة لبسوا لباس الإسلام للإفساد، وبثّ دعوة الإلحاد، والتّجرئة على ردّ نصوص القرآن والسّنن التي تلقاها الصدر الأول بالقَبول، أو تحريفها بالتّأويل عمّا فهموه أو عمّا ثبت عندهم بالعمل..."[4].

وكانت بعض الفرق والأسر الفارسية المسلمة، كذلك متهمة بالزندقة، ويظهر أنّ ذلك من شوائب تاريخها المجوسيّ كوزراء الدولة العباسية البرامكة، فقد كانت لهم علاقة ببعض الزنادقة وآووا بعضهم الآخر

---

[1]- الزندقة والزنادقة: جمع زنديق وهي كلمة فارسية معربة، جعلها العرب جامعة لكل معاني الانحرافات العقدية عن الإسلام، فتعني من لا يؤمن بالآخرة، ومن يظهر الإيمان ويبطن الكفر، وتعني عند الفقهاء المنافق، كما أطلقت في الدولة العباسية على المانوية الذين يؤمنون بإلهين؛ ينظر الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005، ص 891؛ مرتضى الزَّبيدي: تاج العروس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الإسكندرية، (د ت)، ج25، ص 418؛ ابن تيمية: مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمّد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1995، ج35، ص 206؛ حسن الباشا: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990، ص 56.

[2]- الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، ط1، تحقيق: الشرقاوي محمّد عبد الله، دار الجيل، بيروت، 1991، ص 63.

[3]- ابن الجوزي: المصدر السابق، ج11، ص 111؛ ابن العبري: المصدر السابق، ص 140.

[4]- رشيد رضا: المرجع السابق، ج9، ص 118.

كهشام بن الحكم الشيبانيّ الكوفيّ الرافضيّ[1]، الذي كان ينقطع إلى الوزير العباسيّ يحيى بن خالد بن برمك (ت187هـ/803م)، وكان القيّم بمجالس كلامه ونظره بالرغم من اشتهاره بالزندقة وانحرافه[2]، وهذا من الأدلة القوية على علاقة البرامكة بالزنادقة، التي قال بها كثير ممّن عاصرهم، كالشاعر واللّغويّ العباسي الأصمعيّ عبد الملك بن قريب الباهليّ (122-216هـ/740-831م) الذي هجا البرامكة فقال عند نكبتهم:

إذا ذُكرَ الشِّركُ في مَجلسٍ   أنارَتْ وُجُوهُ بني برمَـــكِ
وإنْ تُليتْ عندهُـــم آيةٌ   أَتَوا بالأحاديثِ عن مَزْدِكِ[3]

فمن أساليبهم الخطيرة في محاربة الإسلام والتي تلت التغلغل الشعوبية والزندقة التي انتشرت بقوة[4] في العهد العباسيّ، وتجلت الشعوبية في عدة مظاهر سياسية أدبية واجتماعية ودينية، وهذه الأخيرة هي ما يهمّنا، وتجلّى المظهر الديني للشعوبية في الزندقة، فالزندقة هي المظهر الأساسي للشعوبية، وهي أعلى درجات مراحل التحدي الديني والفكري والاجتماعي للإسلام بهدمه من الداخل، فالتغلب على العرب (نواة الإسلام الأولى) لن يكون إلّا بضرب مصدر قوتهم وهو الدين، وهذا هو وجه العلاقة بين الزندقة الشعوبية[5].

[1]- هشام بن الحكم: هشام بن الحكم أبو مُحَّد الشيباني الكوفي الرافضي كان من المشبهة (ت نحو190هـ/805م) من كتبه "الإمامة" و"القدر"، استتر بعد نكبة البرامكة سنة (187هـ/802م)؛ ينظر ابن النديم: الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1997، ص 217؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، 1985، ج10، ص 543؛ الزركلي: المرجع السابق، ج8، ص 85.

[2]- ابن النديم: المصدر السابق، ص 217؛ ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية -الهند-، ط2، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971، ج6، ص 194؛ الزركلي: المرجع السابق، ج8، ص 85.

[3]- الجهشياري: الوزراء والكتاب، تحقيق: السقا مصطفي وآخرين، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1938، ص 206.

[4]- الزنادقة: جمع زنديق وهي كلمة فارسية معربة وجعلها العرب جامعة لكل معاني الانحرافات العقدية عن الإسلام فتعني من لا يؤمن بالآخرة، ومن يظهر الإيمان ويبطن الكفر، ويعني عند الفقهاء المنافق، كما أطلقت في الدولة العباسية على المانوية الذين يؤمنون بإلهين؛ ينظر الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005، ص 891؛ مرتضى الزَّبيدي: تاج العروس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الإسكندرية، (د ت)، ج25، ص 418؛ ابن تيمية: مجموع الفتاوى مصدر سابق، ج35، ص 206؛ حسن الباشا: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990، ص 56.

[5]- عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 186.

فالشعوبية هي التعصب ضد العرب واحتقارهم، وقد اكتملت مظاهرها في العصر العباسيّ الأول (132-232هـ/750-847م)، فقد تطرّفت في عدائها للعرب بعد وصول العباسيين إلى الخلافة، وشعور غير العرب وعلى رأسهم الفرس بالقوة، لما بذلوه في نصرة العباسيين، وما نالوه من حضوة عندهم، ومن أوجه تجليات الشعوبية الحركات المارقة التي ظهرت مع قيام الدولة العباسية، والتي ظهرت فيها الشعوبية بشكل جلي من هذه الحركات كالمسلمية والراوندية[1]، فعملوا على بث سمومهم بين المسلمين حول أمور الدين لصد الناس عنه وتشكيكهم فيه[2].

ودليلنا في ذلك صعوبة الفصل بين الشعوبية ضد العرب ونشاطها ضد الإسلام، لارتباطهما الوثيق، فقد كانت هجمة فارسية تهدف إلى ضرب العرب وكل مقوماتهم بما فيها الإسلام وإحياء الحضارة الفارسية ومقوماتها بما فيها الديانات الفارسية الثنوية وتبجيل وتقديس أعلام الفرس وتفضيلهم على العرب كأبي مسلم الخراساني الذي قالوا بألوهيته[3]، وفي كل هذا دليل على محاربة العرب بمحاربة الإسلام، من ذلك أنّه لما ظهر أمر أبي مسلم الخراسانيّ (ت137هـ/754م) في خراسان كتب والي الأمويين بها نصر بن سيار (ت131هـ/748م) يصف الخارجين عن الأمويين بقوله:

أَبْلِـــغْ رَبِيعَةَ فِي مَـــــرْوٍ وَفِي يَمَنٍ ... أَنِ اغْضَبُوا قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعَ الْغَضَبُ

مَا بَالُكُـمْ تُنْشِبُونَ الْحَرْبَ بَيْنَكُمُ ... كَأَنَّ أَهْـــلَ الْحِجَى عَنْ رَأْيِكُمْ غُيُبُ

وَتَتْرُكُونَ عَدُوًّا قَدْ أَحَـاطَ بِكُـمْ ... مِمَّـنْ تَأَشَّبَ لَا دِيـــنٌ وَلَا حَسَبُ

لَا عَرَبَ مِثْلُكُمُ فِي النَّاسِ نَعْرِفُهُمْ ... وَلَا صَرِيحَ مَـــوَالٍ إِنْ هُـــمُ نُسِبُوا

مَنْ كَانَ يَسْأَلُنِي عَنْ أَصْلِ دِينِهِـمُ ... فَإِنَّ دِينَهُـــمُ أَنْ تَهْـــلِكَ الْـــعَرَبُ

قَوْمٌ يَقُولُونَ قَـــوْلًا مَا سَمِعْتُ بِـهِ ... عَنِ النَّبِيِّ وَلَا جَاءَتْ بِـــــهِ الْكُتُبُ[4]

وقد تولّى كبر الشعوبية والزندقة المجوس، والذين ترجموها في عدة حركات ثورية عسكرية جمعت بين العداء للعرب (العباسيين) والعداء للإسلام أشهرها:

---

[1]- عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 183.

[2]- أحمد بن حنبل: الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القران وتأولوه على غير تأويله، تحقيق: ابن سلامة صبري، ط1، دار الثبات للنشر والتوزيع، الرياض، 2003، ص 60-92.

[3]- عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 183.

[4]- البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق: إحسان عباس، جمعية المستشرقين الألمانية، بيروت، 1979، ج4، ص 133؛ أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، ط1، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، 1960، ص 362؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج4، ص 367.

1- حركة سنباذ المجوسي: الذي ظهر بعد قتل أبي مسلم الخراسانيّ سنة (137هـ/755م) على يد الخليفة المنصور، فثار له وطلب ثأره فخرج على الخلافة وتسمى بـ"فيروز أصبهبذ" بنواحي أصفهان، وكان مجوسيا وكذلك أتباعه، وقال بأنّ أبا مسلم الخراساني لم يمت وقال: بأنّ أمر الإسلام إلى إدبار، ووعد أتباعه بهدم الكعبة، وتبعه خلق كثير جدا، فقد كان عدد من قتل معه على يد جند المنصور حوالي ستين ألف ولم تزد أيامه عن سبعين يوما فكفى الله المسلمين شره[1].

2- حركة إسحاق ترك: (137-140هـ/755-757م) وظهرت بخراسان بعد قتل أبي مسلم وتسمى زعيمها إسحاق بذلك لدخوله بلاد الترك، ويسميهم ابن النديم المسلمية نسبة إلى أبي مسلم الخراساني[2]، قالوا بإمامة أبي مسلم الخراسانيّ وبنبوته وبأنّه لم يمت وسيعود ويقيم الدين وينقذ الناس من الظلم[3]، انتهى أمرها في خلافة المتوكل (232-247هـ/847-861م).

3- حركة الراوندية: ظهرت سنة (141هـ/758م) وقد خرجت على الخليفة المنصور بمدينة الهاشمية، وهم قوم من أهل خراسان يقولون بتناسخ الأرواح، ويزعمون أنّ ربّهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور، وجعلوا يطوفون بقصره ويقولون: "هذا قصر ربّنا"[4]، فقد قالوا بألوهية أبي جعفر المنصور الذي لم يقرهم على هذا فقاتلوه، فمكّنه الله منهم وقتلهم عن آخرهم، وفي قولهم بألوهية المنصور ثمّ مقاتلته تناقض صارخ يحتاج إلى كثير من البحث لإظهار حقيقة مثل هذه المذاهب ودوافعها.

4- حركة أستاذ سيس: (150هـ/767م) ويسميه بعض المؤرخين الأمير أستاذ سيس[5]، وهو قائد فارسي تزعم حركة نسبت إليه، ظهرت بخراسان وقد ادّعى النبوّة[6]، ودعا إلى أفكار كفرية[7]، خرج خرج معه خلق كثير جدا قاربوا ثلاثمائة ألف مقاتل ناصروه على الخلافة ومحاربة العباسيين وأظهروا

---

(1)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار التراث، بيروت، 1967، ج7، ص 495.

(2)- ابن النديم: المصدر السابق، ص 418.

(3)- ابن النديم: المصدر نفسه، ص 419.

(4)- ابن العبري: المصدر السابق، ص 122.

(5)- السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، 2004، ص 195؛ ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمّد الأرناؤوط، خرج أحاديثه، عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، ج2، ص 226.

(6)- ابن خلدون عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، ط2، دار الفكر، بيروت، 1988، ج3، ص 249.

(7)- الطبري: المصدر السابق، ج8، ص 372؛ ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله التركي، ط1، دار هجر، بيروت، 1997، ج13، ص 414.

الفسوق وقطعوا السبيل[1]، وقتلوا الكثير من المسلمين[2]، قبل أن يتمكن منهم العباسيون في نفس السنة ويقتل زعيمها وذلك في خلافة المنصور.

5- حركة المقنع الخراساني: (159-163هـ/776-780م)، واسمه عطاء[3] وقال بعض المؤرخين أنّ اسمه حكيم[4]، وجاء عند المؤرخ أبي الريحان البيرونيّ (ت439هـ/1048م)، في "الآثار الباقية" أنّ اسمه اسمه هاشم بن حكيم[5]، والذي خرج فادّعى الألوهية[6]، وادّعى إحياء الموتى وعلم الغيب، كما ادّعى ادّعى النبوة وقال بتناسخ الأرواح وقصد بذلك نفسه، بأنّ روح الله حلّت في الأنبياء ثمّ في بعض آل علي ﷺ، وأبي مسلم الخراسانيّ ثمّ حلّت فيه[7]، وقال بأنّ أبا مسلم الخراسانيّ أفضل من النبيّ ﷺ، فاتّبعه أناس كثيرون وكانوا يسجدون له[8]، وكان لا يسفر عن وجهه لأصحابه، فلذلك قيل له المقنع، وكان يحسن شيئا من الشعبذة وأبواب النيرنجيات ويتعاطى السحر يخيّل به على أتباعه[9] فكان يحتال عليهم ويخيّل لهم قمرا ثانيا، يقول الشاعر والفيلسوف أبو العلاء المعريّ (ت449هـ/1057م) في إحدى قصائده:

أَفِقْ إِنَّمَا الْبَدْرُ الْمُعَمَّمُ رَأْسُهُ ضَلالٌ وَغَيٌّ مِثْلُ بَدْرِ الْمُقَنَّعِ[10]

فاستغوى بكل ذلك أهل العقول الضعيفة واستمالهم إلى مقالته، فبعث الخليفة المهدي في طلبه فصار إلى ما وراء النهر وتحصن في قلاعها، وجمع فيها من الطعام وبثّ الدعاة في الناس، فألحّ الخليفة المهدي في طلبه فحوصر فلما اشتد الحصار عليه وأيقن بالهلاك جمع نساءه وأهله كلّهم وسقاهم

---

(1)- ابن الأثير: المصدر السابق، ج5، ص 163.

(2)- الطبري: المصدر السابق، ج8، ص 29-30.

(3)- ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994، ج3، ص 263؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية، مصر، (د ت)، ج2، ص 9؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق: مُحَّد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت)، ج1، ص 180.

(4)- الطبري: المصدر السابق، ج8، ص 135؛ المقدسي: البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د ت)، ج6، ص 97.

(5)- أبو الريحان البيروني: الآثار الباقية من القرون الخالية، إعداد: الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ص 251.

(6)- ابن الأثير: المصدر السابق، ج5، ص 211.

(7)- الطبري: المصدر السابق، ج8، ص 135؛ المقدسي: المصدر السابق، ج6، ص 97.

(8)- ابن الأثير: المصدر السابق، ج5، ص 211.

(9)- أبو الفدا: المصدر السابق، ج2، ص 9.

(10)- الذهبي: تاريخ الإسلام، تحقيق: بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ج4، ص 458.

السمّ فماتوا عن آخرهم وأحرق كل من في القلعة من دواب وثياب وطعام، وألقى نفسه في النار لئلا يلقى جسده عدوه، واقتحم العسكر القلعة فوجدوها خالية، وكان ذلك مما زاد في افتتان من بقي من أصحابه بما وراء النهر، فقد كان وعد أتباعه أنّ روحه ستتحول إلى قالب رجل أشمط على برذون أشهب، وأنّه يعود إليهم بعد كذا سنة، ويملّكهم الأرض، فهم ينتظرونه ويسمّون المبيضة وهم بما وراء النهر[1].

6- حركة بابك الخرمي: بين سنتي (201-222هـ/817-837م) والذي خرج على العباسيين وعلى الإسلام وقال بالتناسخ وبأنّه إله[2]، وبإباحة المحارم على دين مزدك (ت529م)، وكان ابتداء خروجه سنة (201هـ/817م) في خلافة المأمون، فحارب وغلب على أذربيجان وما جاورها، وأراد أن يقيم ملّة المجوس[3]، فهزم جيوش الخلافة العباسية في عدة وقائع ودخل النّاس منه رعب شديد وهول عظيم واستعظموه واحتوى إليه القطاع وأصحاب الفتن وتكاثفت جموعه حتى بلغ فرسانه عشرين ألفا، سوى الرجالة وأخذ يمثّل بالناس، فكان أصحابه لا يدعون رجلا ولا امرأة ولا صبيّا ولا طفلا مسلما أو ذمّيّا إلّا قطعوه وقتلوه، وكانوا يرتكبون الفاحشة بنساء الناس أمام أعينهم، وأحصي عدد القتلى بأيديهم فكانوا أكثر من مائتي ألف إنسان[4]، واستمر شره فأنفق المأمون والمعتصم ما لا يحصى من الأموال في حربه[5]، حتى ظفر به المعتصم سنة (222هـ/837م) فحاكمه وقتله[6].

7- حركة المازيار: وهو مازيار بن قارن المجوسيّ القائم بدين المجوس بطبرستان[7]، وسمّاه الخليفة المأمون مُحَّد لما شارك في فتح بعض جبالها المنيعة مع العباسيين، وولّاه عليها مع دفع الخراج، ثمّ أقره عليها المعتصم[8]، وظهر خروجه عن العباسيين في خلافة المعتصم سنة (224هـ/839م)[9]، ومن اعتقاداته أنّه

(1)- ابن العبري: المصدر السابق، ص 126.

(2)- ابن النديم: المصدر السابق، ص 416.

(3)- الذهبي: تاريخ الإسلام مصدر سابق، ج5، ص 494.

(4)- ابن العبري: المصدر السابق، ص 139.

(5)- الذهبي: سير أعلام النبلاء مصدر سابق، ج10، ص 294.

(6)- الذهبي: المصدر نفسه، ج10، ص 297.

(7)- الذهبي: تاريخ الإسلام مصدر سابق، ج16، ص 7.

(8)- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995، ج4، ص 15.

(9)- الذهبي: المصدر السابق، ج16، ص 16.

أنّه كان يمجد مزدك وبابك وعموم المجوس، وحارب الخلافة العباسية وأهلك أهل طبرستان حتى قبض عليه الطاهريون[1] سنة (225هـ/840م) وأرسلوه إلى المعتصم فحاكمه ثم قتله[2].

8- البهافريدية: أو البهافريذية والسيسانية[3] صنف من المجوس[4] ظهرت في أيام أبي مسلم الخراسانيّ على يد بهافريد (ت132هـ/750م) (وورد عند البيرونيّ بهافريذ وعند الخوارزميّ صاحب مفاتيح العلوم آفريد) بن فرددينان[5] بمنطقة خواف بنيسابور، بدأ أمره بغيابه في الصين سبع سنين ثمّ رجع ومعه ومعه قميصا أخضر وادّعى أنّه كان في السماء وأنّ الجنّة والنّار عرضتا عليه وأنّ الله أوحى إليه وألبسه هذا القميص، وأنزله إلى الأرض، فتبعه بعض الجهلة وأخبروا النّاس أنّهم رأوه ينزل من السماء، فصدّقه وتبعه كثير من المجوس، وقال عنه الأديب ابن النديم: "ظهر في صدر الدولة العباسية وقبل ظهور أبي العباس رجل يقال له بها فريد، من قرية يقال لها روى من أبرشهر مجوسي يصلي الصلوات الخمس بلا سجود، متياسر عن القبلة، وتكهّن ودعا المجوس إلى مذهبه فاستجاب له خلق كثير..."[6]، وكان ممّا ادّعاه مخالفته لعقيدة المجوس في كثير من الشرائع، فقد هذّب مذهبه المجوسي وتخلص من بعض الشركيات والخرافات فغدا مع ضلالته أفضل من المجوس[7]، فزعم أنّه يوحى إليه وأنّه فرضت عليه سبع صلوات، ووضع كتابا بالفارسية، وأمر أتباعه بالسجود لعين الشمس على ركبة واحدة واتخاذها قبلة حيثما اتجهت، ونهاهم عن شرب الخمور وأكل الميتة، ونهاهم عن نكاح الأمهات والبنات والأخوات وبنات الأخ، وإصلاح شؤون دنياهم، ولما انتشر خبره أرسل إليه قائد العباسيين أبو مسلم الخراساني من حاربه حتى قتله، ولكن بقيت أفكاره واستمر أتباعه وهم البهافريدية في الإيمان به ومعاداة المجوس وقالوا

---

[1]- الدولة الطاهرية: دولة إسلامية تابعة للخلافة العباسية، قامت بخراسان ما بين سنتي (205-259هـ/820-872م)، تنتسب إلى القائد العباسي طاهر بن الحسين (ت207هـ/822م)، الذي ولّاه الخليفة المأمون شرق العراق، وهي أول دولة أخذت الحكم الذاتي بالمشرق الإسلامي، سقطت على يد الدولة الصفارية؛ ينظر عصام الدين الفقي: الدول المستقلة في المشرق منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص 32-34.

[2]- ابن كثير: المصدر السابق، ط إحياء التراث، ج10، ص 318.

[3]- الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص 244.

[4]- المقدسي: البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د ت)، ج4، ص 26.

[5]- الخوارزمي محمَّد بن أحمد: مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الابياري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت)، ص 56.

[6]- ابن النديم: المصدر السابق، ص 418.

[7]- عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1977، ص 347.

بأنّه صعد إلى السماء وسيعود وينتقم من أعدائه[1]، وبفعل مزج بهافريد بين المجوسية وبعض تعاليم الإسلام موّه على الناس فكان اخطر على الإسلام والمسلمين.

9- القرامطة: وهي من أخطر الحركات الفكرية والعسكرية في تاريخ المسلمين كانت ما بين (278-470هـ/891-1077م) ظهرت بجنوب العراق وانتشرت في الجزيرة العربية وكوّنت دولة كانت عاصمتها بالبحرين قال عنهم العلامة عبد الرحمن ابن الجوزيّ (ت597هـ/1201م) في حوادث (278هـ/891م): "وفيها: وردت الأخبار بحركة قوم يعرفون بالقرامطة وهم الباطنية، وهؤلاء قوم تبعوا طريق الملحدين، وجحدوا الشرائع"[2] وقال عنهم العلامة ابن كثير (ت774هـ/1373م) في حوادث (317هـ/929م) التي استباحوا فيها الحرم المكي ونزعوا الحجر الأسود قال: "ولما رجع القرمطيّ إلى بلاده، تبعه أمير مكّة...وسأله وتشفّع إليه في أن يردّ الحجر ليوضع في مكانه، وبذل له جميع ما عنده من الأموال، فلم يفعل -لعنه الله- فقاتله أمير مكّة فقتله القرمطي...واستمر ذاهبا إلى بلاده ومعه الحجر الأسود وأموال الحجيج، وقد ألحد هذا اللّعين في المسجد الحرام إلحادا لم يسبقه إليه أحد ولا يلحقه فيه، وسيجازيه على ذلك الّذي لا يعذّب عذابه أحد، ولا يوثق وثاقه أحد، وإنّما حمل هؤلاء على هذا الصنيع أنّهم كانوا كفارا زنادقة..."[3].

وهناك ملاحظة مهمة فيما يتعلق بظهور الزندقة واستشرائها في العهد العباسيّ بالذات، فالسؤال المطروح ما هي أسباب ذلك؟، والأظهر أنّ ذلك يعود لقرب العباسيين من الفرس منذ محاربتهم للأمويين ثمّ العلويين فيما بعد، إضافة إلى الاستعانة بهم في بناء الدولة باستوزارهم وتقديمهم في المناصب، ما جعل الفرس ومن ورائهم الزنادقة والمجوس يظهرون بقوة في خلافتهم، ويعلنون معتقداتهم التي أفلت في العهد الأمويّ، إضافة إلى اشتغال الخلفاء العباسيين الأوائل بضبط أمن الدولة وبنائها، والأكثر من ذلك تساهل كثير منهم في أمور العقيدة مقارنة بالخلفاء الراشدين والأمويين، فالراشدون ﭫ أجمعين مثّلوا الدين الحقّ، والأمويون كان فيهم بعض الأخطاء والتقصير، ولكنّهم ركّزوا على الجهاد والفتح ونشر الإسلام وتقريب العلماء وإكرامهم ومحاربة الأفكار المنحرفة بدون هوادة، على رأسهم الخليفة هشام بن عبد الملك الذي قتل غيلان القدري الدمشقي (بعد عام 105هـ/724م) لقوله بالقدر، والوالي الأمويّ خالد بن عبد الله القسريّ (ت126هـ/743م) الذي قتل المتكلم

---

[1]- الخوارزمي مُحَّد بن أحمد: المصدر السابق، ص 56؛ أبو الريحان البيروني: المصدر السابق، ص 250-251.

[2]- ابن الجوزي: المصدر السابق، ج12، ص 287.

[3]- ابن كثير: المصدر السابق، ط دار هجر، ج15، ص 39.

المبتدع الجعد بن درهم (ت نحو 118هـ/736م) صبيحة عيد الأضحى بفعل انحرافاته الأصولية الخطيرة، وذلك بالرغم من الاضطرابات التي عرفتها خلافتهم، ولم يشذ منهم إلّا القليل كالخليفة الحادي عشر الوليد بن يزيد بن عبد الملك (125-126هـ/743-744م)، الذي أشيع عنه انهماكه في اللهو، هذه الأفكار التي حاربها الأمويون أصبحت عند بعض العباسيين كالخليفة المأمون الذي قرب المعتزلة ونصرهم بسلطة الدولة بالرغم من مخالفتهم لبعض أصول الدين، فأصبحت هذه الأفكار عقيدة ومذهبا معترفا به، كل هذا أدى إلى هذه الظاهرة الخطيرة التي جنت الويلات على المسلمين وحضارتهم.

4- الجدل:

ومن أبرز ما استعملوا في ذلك أيضا لمحاربة الإسلام ورسوله الجدل مع المسلمين، بهدف تشكيكهم في دينهم بالخوض في أصول الدين وفي الأمور المتشابهة والتي تصعب على العوام، وأشهر من تولّى كبر ذلك الراهب يوحنا الدمشقيّ النصرانيّ (55-131هـ/675-749م) منصور بن سرجيوس المعروف بينبوع الذهب والقديس يوحنا، وهو من نصارى الشام، ولد وعاش في العصر الأمويّ، وعمل خازن بيت المال في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ/685-705م)[1] واهتم باللاهوت، وكتب كتبا كثيرة، من ضمنها كتاب كتبه باليونانية بعنوان "الهرطقات" وأفرد فيه فصلا عن الإسلام أطلق عليه اسم "هرطقة الإسماعيليين"، ويقصد بالإسماعيليين العرب من أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وفيه طعن بشدّة في الإسلام، حيث اتّهم فيه العرب بالهرطقة، كما اعتبرهم فرقة نصرانية متهرطقة، وزعم أنّ مُحَمَّدا ﷺ كان رسولا زائفا ادّعى النبوّة، بعد أن قرأ العهد القديم والعهد الجديد، وتعلّم من راهب أريوسى[2] فتظاهر بالتقوى، حتى استمال إليه العرب، وأخبرهم أنّه تلقى كتابا من السماء، وقدّم فيه تلك الشرائع المضحكة على حد قوله التي تسمى بالإسلام[3]، ووضع كتابا يبيّن فيه

(1)- ول ديورانت: المرجع السابق، ج13، ص 133.

(2)- أريوسي: نسبة إلى الراهب المسيحي آريوس، الذي كان قسيسا في الإسكندرية في القرن (4م)، كان يقول بالتوحيد، وبأنّ عيسى عليه السلام عبد مخلوق وأنّه كلمة الله تعالى؛ ينظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ت)، ج1، ص 47.

(3)- معدى حسين: المرجع السابق، ص 22.

للنصارى طريقة الرد على المسلمين وأصول جدالهم[1]، وكتاب "حياة مُحَّد" و"حوار بين مسيحي ومسلم"، وكان هدفه إرشاد النصارى إلى طريقة جدال المسلمين[2].

فقد وصل يوحنا الدمشقيّ إلى كثير من الآراء الجدلية ضد الإسلام والقرآن الكريم والرسول ﷺ، لخّصها في كتابه "ينبوع المعرفة" والذي خصص فيه فصلا في قسم البدع للجدل ضد الإسلام، وتتلخص رؤيته للإسلام وللنبي ﷺ وللقرآن الكريم في النقاط التالية:

أ- التشكيك في كون الإسلام امتدادا لحنيفية إبراهيم عليه السلام، لذلك يصف المسلمين على نحو لا يخلو من الخبث، لنفي صلتهم بالحنيفية حيث يصفهم بالسرازانيين[3]، ويعد أول كاتب مسيحي يستخدم هذا التشويه لأغراض الجدل العنيف.

ب – كذلك يصف المسلمين بالمفسدين وهى التسمية التي ستكثر في الجدليات التالية ليوحنا.

ت – يعالج الإسلام على أنّه هرطقة مسيحية.

ث – يقدم الإسلام على أنّه مُؤْذن بالمسيح الدجّال.

ج – يجعل الرسول ﷺ أحد أتباع آريوس، كما يجعله على عقيدة المذهب النسطورى، وذلك بسبب تأكيده على أنّ المسيح مخلوق وإنسان مجرد، وذلك ما قال به آريوس ونسطور.

ح – يحصر ما جاء به النبيّ ﷺ في أمرين أولهما معرفته الضحلة بما قلّت قيمته من أسفار العهدين القديم والجديد اللذين وقع عليهما النبي ﷺ مصادفة، والأمر الثاني ما أخذه النبي ﷺ عن الراهب الأريوسيّ بحيرا[4].

خ- القرآن نتاج لأحلام اليقظة لأنّ الرسول ﷺ تلقاه وهو نائم[5].

---

[1]- صبحي أحمد محمود: في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين، ط5، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ج1، ص 30.

[2]- الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف ومراجعة: مانع الجهني، ط4، دار الندوة العالمية، الرياض، 1999، ج2، ص 687؛ عبد الشافي مُحَّد عبد اللطيف: المرجع السابق، ص 426.

[3]- السرازانيين: والسراسنة وصف احتقار اطلق على العرب والمسلمين استعمله أعداء الإسلام والعرب، من معانيه الذين أبعدتهم سارة زوج إبراهيم عليه السلام باحتقار، لأنّهم من ولد إبراهيم عليه السلام من هاجر من ابنهما إسماعيل عليه السلام فهم أبناء أَمَة وليست حرة؛ ينظر عبد الراضي بن مُحَّد عبد المحسن: الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 2000، ص 21.

[4]- بحيرا: راهب نصراني (ق 7م) كان في بصرى الشام، زعموا أنّ النبي ﷺ التقى به في صباه وعرف بحيرا بنبوته؛ ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء مصدر سابق، ج1، ص 59.

[5]- عبد الراضي بن مُحَّد عبد المحسن: المرجع السابق، ص 20-21.

ويرجع كثيرون الاستشراق إلى العهد الأمويّ بواسطة هذا الراهب "يوحنا الدمشقيّ" في الكتابين الأخيرين له "حياة مُحَّد" و"حوار بين مسيحي ومسلم"[1].

وقد اتفق على صدارة يوحنا الدمشقيّ للجدل النصرانيّ ضد الإسلام، وكانت أفكاره الجدلية ضد القرآن الكريم هي الأهم في تاريخ الجدل النصرانيّ ضد القرآن، حيث وضع آراءه في قواعد مكثفة أصبحت ركيزة الجدل النصرانيّ من بعده، فقد ردّد جميع المجادلين النصارى بعده بعض أو كل قواعد يوحنا الدمشقي: "الإسلام هرطقة مسيحية، القرآن تلفيق من العهد القديم والعهد الجديد، تعلم النبي ﷺ من بحيرا الراهب، المسلمون سراسنة (سرازانيين)"[2].

وبلغ الجدل ذروته وشدته في مصر على يد يوحنا النقيوسيّ المصري أو حنا النقيوسيّ (ق 2هـ/8م) الذي يضاهي في الحقد على الإسلام يوحنا الدمشقي، وكان معاصرا له وقد رحل إلى الحبشة وبدأ يرسل رسائله إلى أقباط مصر، يحاول فيها مناقشة العقائد الإسلامية، والحيلولة دون اعتناق الأقباط للإسلام، ثمّ تتابع النقاش في عهد العباسيين، وكتب نيكيتاس البيزنطيّ كتابا بعنوان: " نقض الأكاذيب الموجودة في كتاب العرب المحمديين"، ولكن لم تصلنا معلومات وافية عن هذا الأخير سوى أنّه كان مشهورا، وأنّه كان من أعنف المهاجمين للإسلام، وتيودور أبو قرة (ت210هـ/826م) تلميذ يوحنا الدمشقي وقد تبع رأي أستاذه في النبي ﷺ والقرآن الكريم، فعدّ النبي مُحَّدا ﷺ نبيا أريوسيا مزيفا[3]، وعبد المسيح الكنديّ (ق 3هـ/9م) كان عاملا في بلاط الخليفة المأمون (198-218هـ/814-833م)، والذي كتب ردّا على رسالة مسلم يدعوه فيها إلى الإسلام[4]، هاجم فيه الإسلام والمسلمين وانتصر فيه لعقيدته النصرانية معلنا تمسكه بها بكل قوة، والطبيب سعيد بن البطريق النصرانيّ المشهور بمصر (ت328هـ/940م)[5]، الذي شغل منصب بطريريك الإسكندرية، وكانت له مؤلفات عديدة في الطب، وولج علم محاربة المخالفين دينيا، وعلى الأرجح قصد بالمخالفين المسلمين في كتابه " الجدل بين المخالف والنصرانيّ"[6].

---

[1]- الندوة العالمية للشباب الإسلامي: المرجع السابق، ج2، ص 687؛ عبد الشافي مُحَّد عبد اللطيف: المرجع السابق، ص 426.

[2]- عبد الراضي بن مُحَّد عبد المحسن: المرجع السابق، ص 21.

[3]- عبد الراضي بن مُحَّد عبد المحسن: المرجع نفسه، ص 21.

[4]- عبد الراضي بن مُحَّد عبد المحسن: المرجع نفسه، ص 22.

[5]- السيوطي: حسن المحاضرة مصدر سابق، ج1، ص 539.

[6]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 546.

وقد كثر الجدل في فترة مبكرة بفعل كثرة الصراع حتى قال الخليفة أبو العباس السفاح (132-136هـ/750-754م) لجلسائه في أحد المناظرات ناصحا لهم بالاهتمام بالعلوم التي تساعدهم على رد المخالفين من المجادلين فقال: " هلّا أنفقتم جزءا من أعماركم في قراءة علم تردّون به على من ألحد في دين الله يوما من الدهر"[1].

من هذه المناظرات ما كان في خلافة السفاح (132-136هـ/750-754م) بينه وبين زنديق مجوسيّ أحضر بين يديه فقال له السفاح: "صف لي شبهتك" فقال: "رأيت خيرا وشرا وعزا وذلا وموتا وحياة فقلت هذا ليس من واحد بل من اثنين واحد للخير وآخر للشر" فأطرق السفاح مليا ثمّ رفع رأسه وقال له: "أخبرني عن الذي يخلق الخير أيقدر على خلق مقدور آخر؟" فقال: "لا" قال: "والذي يقدر على الشر أيقدر على مقدور آخر؟" قال: "لا" قال: "ويحك فاتخذت إلهين عاجزين قاصرين ومن لا يقدر إلّا على بعض المقدورات دون بعض فعاجز عن البعض" فبهت الرجل، فقال له: "أَبَقيت لك حجة" قال: "لا"[2].

وكان للخليفة هارون الرشيد (170-193هـ/787-809م) طبيب نصراني له فطنة وأدب، فودّ الرشيد أن لو أسلم فقال له يوما: "ما يمنعك عن الإسلام؟ " فقال: "آية في كتابكم حجّة على ما أَنْتَحِله" قال: وما هي؟ قال: قوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ النساء 171؛ وهو الذي نحن عليه، فعظم ذلك على الرشيد وجمع له العلماء فلم يحضرهم جواب ذلك حتى ورد قوم من خراسان فيهم المحدث علي بن واقد (ت211هـ/826م)[3] من أهل علم القرآن، فأخبره الرشيد بالمسألة، فاستعجم عليه الجواب ثمّ خلا بنفسه وقال: "ما أجد المطلوب إلّا في كتاب الله" فابتدأ القرآن من أوله وقرأ حتى بلغ سورة الجاثية إلى قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ﴾ الجاثية 13؛ فخرج إلى الرشيد وأحضر العلج فقرأها عليه وقال له: إن كان قوله تعالى ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ يوجب أن يكون عيسى عليه السلام بعضا منه تعالى، وجب ذلك في السموات والأرض فانقطع النصرانيّ ولم يجد

---

[1]- عمر السكوني: عيون المناظرات، تحقيق: سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1976، ص 206.

[2]- عمر السكوني: المصدر السابق، ص 206.

[3]- ابن واقد: وورد عند عمر السكوني في عيون المناظرات وأبي حيان الأندلسي في البحر المحيط بابن وافد، والأصح هو ابن واقد، وهو المحدث علي بن الحسين بن واقد المروزي (ت211هـ/826م)، كان من رواة الحديث اختلف أهل الحديث في عدالته، وزكّاه الذهبي؛ ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء مصدر سابق، ج10، ص 212.

جوابا، فأسلم النصرانيّ وسرّ الخليفة الرشيد بذلك، وأجزل صلة ابن واقد، ولما رجع ابن واقد إلى بلده صنّف كتاب "النظائر في القرآن"[1].

وناظر الخليفة المأمون (198-218هـ/814-833م) ثنويا مجوسيا فقال له: "أسألك عن حرفين هل ندم مسيء قط على إساءته؟" قال الثنوي: "نعم" فقال له المأمون: "فالندم على الإساءة إساءة أم إحسان؟" قال الثنوي: "إحسان" قال المأمون: "فالذي أساء هو الذي أحسن أم غيره؟" قال الثنوي: "بل هو هو" فقال له المأمون: "فأرى صاحب الخير هو صاحب الشر، وبطل قولكم أنّ الذي ينسب إليه الخير غير الذي ينسب إليه الشر"، فرجع الثنويّ فقال: "أنا أزعم أنّ الذي أساء غير الذي ندم" فقال له المأمون: "فندم على شيء كان من غيره أو كان منه؟" فسكت الثنويّ وعجز"[2].

كما يرى البعض أنّ ظهور علم الكلام عند بعض الفرق الكلامية كالمعتزلة، كان سببه الرئيسي مهاجمة أصحاب الفلسفات الشركية والديانات الوضعية والمحرفة المعادية للإسلام وجدالها الحثيث للمسلمين، وإثارتها أفكار كفرية رأى كثير من المسلمين وجوب الرد عليها بعلم الكلام، ولذلك عدّ بعض الباحثين المعاصرين علم الكلام ضرورة دينية وعلما جليلا دافع عن الإسلام[3]، وهذه مغالطة خطيرة حيث كان يمكن الرد عليهم بالأدلّة النقلية والعقلية القوية والدامغة دون استعمال علم الكلام والتأويل الفاسد.

5- الخروج على المسلمين:

حيث استغل بعضهم الظروف السياسية والعسكرية المشجعة للخروج على المسلمين والتحالف مع أعدائهم، ولكن هذا قليلا بفعل قوة المسلمين وسماحتهم وقتئذ، كما حصل في بداية العصر العباسيّ، فقد خرج بعض أهل الشام من الذّمّيين على الخليفة بفعل معاملة لم يرضوها من عامل الخراج، فعاقبهم الأمير العباسيّ صالح بن علي (ت152هـ/769م)، أثناء ولايته على دمشق، وأخذ

---

[1]- أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي مُحَمَّد جميل، دار الفكر، بيروت، 1999، ج4، ص 143؛ عمر السكوني: المصدر السابق، ص 207-208.

[2]- عمر السكوني: المصدر نفسه، ص 212-213.

[3]- أحمد محمود صبحي: في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين، ط5، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ج1، ص 31؛ أبو ريان مُحَمَّد: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000، ص4؛ جمال المرزوقي: دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001، ص 27؛ فيصل بدير عون: علم الكلام ومدارسه، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د ت)، ص 40.

بعضهم بجرم البعض الآخر الذي خرج عل الدولة، فبلغ ذلك الإمام عبد الرحمن الأوزاعيّ (ت157هـ/774م)، بأنّه أساء إلى جماعة من أهل الذّمّة لا علاقة لهم بالجرم المرتكب، فكتب إليه كتابا ومما جاء فيه: "وقد كان من إجلاء أهل الذّمّة من جبل لبنان ممّن لم يكن ممالئا لمن خرج على خروجه ممّن قتلت بعضهم ورددت باقيهم إلى قراهم ما قد علمت، فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم، وحكم الله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ النجم 38؛ وهو أحق ما وقف عنده واقتدى به، وأحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصيّة رسول الله ﷺ فإنّه قال: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»"[1]، وهذه صورة لسماحة الإسلام العظيمة.

6- إدخال العلوم الفاسدة:

وكان من أكبر أنواع هذا المكر أيضا إدخال العلوم الفاسدة والمفسدة كترجمة كتب الفلسفة، والأديان المنحرفة والوثنية وآدابها مما كان له الأثر الكبير في انحراف كثير من المسلمين وظهور البدع والفرق الضالّة والمنحرفة[2]، يذكر الأديب والمتكلم الجاحظ: "وبعد فلولا متكلمو النصارى وأطباؤهم ومنجموهم ما صار إلى أغبيائنا وظرفائنا ومجاننا وأحداثنا شيء من كتب المنانية والديصانية، والمرقونية...ولما عرفوا غير كتاب الله تعالى، وسنّة نبيه ﷺ، ولكانت تلك الكتب مستورة عند أهلها، ومخلاة في أيدي ورثتها فكل سخنة عين رأيناها في أحداثنا وأغبيائنا فمن قبلهم كان أولها"[3]، هذا موقف الجاحظ الذي كان هو نفسه متكلما معتزليا منحرفا، فمن موقفه في خطر النصارى يفهم أنّه يقصد أنّ تأثيرهم كان خطيرا لأنّه أدى إلى انحراف أكثر من انحراف المعتزلة الذين كان لهم أفكار خطيرة على العقيدة، فما بالنا بمن فاقوهم انحرافا فلا شك أنّها الزندقة والمروق من الدين، ويقول الدكتور السعودي مُحَّد بن سعيد بن سالم القحطانيّ معلقا على مسألة إدخال الكتب اليونانية: "وصدق

---

[1]- أبو داود: السنن، تحقيق: مُحَّد عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د ت)، حديث صحيح، كتاب: الخراج والإمارة والفيئ، باب: في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، ح3052، ج3، ص 170؛ البلاذري: فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988، ص 163.

[2]- عبد الله بن عبد الرحمن الجلابوع: المرجع السابق، ج1، ص 128.

[3]- الجاحظ: المصدر السابق، ص 65.

والله المطران الصقليّ: "إنّ هذه الكتب ما دخلت أمة إلّا أفسدتها"[1]، ترى من أين جاءت محنة الإمام أحمد بن حنبل وظهور المبتدعة أيام المأمون وغيره ومن أين جاءت المصطلحات المبتدعة كالجوهر والعرض والواجب والممكن وغيرها؟ إنّه لم يأت كل ذلك إلّا من ترجمة علم الكلام الجاهلي وخلطه بالعقيدة الإسلامية ليصنع من ذلك كله ما يسمي بـ الفلسفة الإسلامية"[2].

يأتي على رأس هذه العلوم الفلسفة والمنطق يقول المؤرخ تقي الدين المقريزيّ المصريّ (ت845هـ/1442م): "هذا وقد كان المأمون... سابع خلفاء بني العباس ببغداد، لما شغف بالعلوم القديمة بعث إلى بلاد الروم من عرّب له كتب الفلاسفة وأتاه بها في أعوام بضع عشرة سنة ومائتين من سني الهجرة، فانتشرت مذاهب الفلاسفة في الناس، واشتهرت كتبهم بعامّة الأمصار، وأقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها، وأكثروا من النظر فيها والتصفح لها، فانجرّ على الإسلام وأهله من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من البلاء والمحنة في الدين، وعظم بالفلسفة ضلال أهل البدع"[3]، فمن خلال حركة الترجمة التي شملت بقوة كتب الفلسفة والمنطق استطاع أعداء الإسلام إدخال كتب وأفكار النحل والفلسفات الشركية والخرافات إلى المسلمين بجعلها في قالب جذاب يستهوي الناس[4]، وقد عالجنا هذا المكر ونتائجه في الفصل الثاني من البحث.

ومن العلوم الفاسدة التي استحدثوها كذلك ونشروها بقوة التنجيم[5]، فقد كان المنجّمون الأوائل من الذّمّيين الذين ورثوه من حضاراتهم السابقة[6]، فالمجوس كانوا يقدسون الشمس، والصابئة يقدسون

[1]- يشير الكاتب هنا إلى ما قاله أحد المطارنة القبارصة (وهو الأظهر وليس الصقليّ) لملكه حين استشارهم في إرسال كتبهم القديمة إلى المسلمين، بعد أن طلبها المأمون بعد هدنة كانت بينهما حيث قال المطران: "جهزها إليهم فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلّا أفسدتها وأوقعت بين علمائها"؛ ينظر صلاح الدين الصفدي: شرح لامية العجم، ج1، ص 46؛ السيوطي: صون المنطق، تحقيق: علي سامي النشار وسعاد علي عبد الرزاق، مجمع البحوث الإسلامية، مصر، (د ت)، ج1، ص 41؛ شمس الدين السفاريني: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، ط2، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، 1982، ج1، ص 9.

[2]- مُحَمَّد بن سعيد القحطاني: الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، تقديم: عبد الرزاق عفيفي، ط1، دار طيبة، الرياض، (د ت)، ص 97.

[3]- المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ج4، ص 191.

[4]- بسمة بنت أحمد: أثر الديانات الوثنية في عقائد الرافضة، 2004، جامعة أم القرى، مكة، ص 269.

[5]- التنجيم: الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية؛ ابن تيمية: مجموع الفتاوى مصدر سابق، ج35، ص 192؛ عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة مصدر سابق، ص 455؛ عبد المجيد المشعبي: التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام، ط2، أضواء السلف، الرياض، 1998، ص 33.

[6]- المشعبي عبد المجيد: المرجع السابق، ص 127.

الكواكب[1]، هذه الصناعة المحرمة في الإسلام (إذا قصد الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية) بأدلّة القرآن والسنّة وإجماع الأمّة الإسلامية ومحرمة في الشرائع السماوية السابقة[2]، والتنجيم لم يكن من معارف المسلمين[3] في الصدر الأول، حيث أدخله علماء أهل الذّمّة، فشاع استخدامه من طرف المسلمين وعلى رأسهم الخلفاء العباسيين كالمنصور الذي قال عنه العلامة الذهبي (ت748هـ/1347م): "وقد كان المنصور يصغي إلى أقوال المنجّمين...، وهذا من هناته مع فضيلته"[4]، وقد أدى هذا الدجل إلى انتشار الخرافات بين المسلمين وركونهم إليها.

ومع هذا العداء وهذه الحرب الفكرية والعسكرية نجد منهم من اهتم بالإسلام وأصوله، حيث اهتموا ببعض كتب المسلمين وتشريعاتهم وخاصة القرآن الكريم فلا يوجد كتاب عند المسلمين أثار العلماء من هذه النحل كالقرآن الكريم، وهذا بشهادة حتى غير المسلمين، فقد أقدم مثلا كثير من علماء النصارى في المشرق الإسلامي منذ الأيام الأولى للإسلام على دراسة القرآن الكريم، ودقّقوا فيه النظر وأخذوا ببعض شرائعه الدنيوية، كما درسوا بعض مدارس الفقه الإسلامي، وفي هذا إقرار مبطن منهم بصحّة التشريعات الواردة في القرآن، بالرغم من جحودهم وإنكارهم لنبوة مُحَمَّد ﷺ، كالجاثليق[5] حننيشوع الأعرج (ت81هـ/701م)، والجاثليق طيماوس الأول (ت207هـ/823م)[6]، وعني البطريرك يوحنا الثالث (286-291هـ/900-905م) بطريريك النصارى في بغداد بدراسة الفقه الحنفيّ، وألّف فيه كتابا بعنوان "جوامع مواريث الإسلام"، وأمر أن يتم تدريسه في مدارس النساطرة الكبرى[7]، أمّا بالنسبة لترجمة القرآن الكريم فيبدوا أنّه لم يكن من اهتمامات المترجمين الأوائل، فالتراجم التي ذكرت والتي

---

(1)- الندوة العالمية للشباب الإسلامي: المرجع السابق، ج2، ص 714.

(2)- ابن تيمية: المصدر السابق، ج35، ص 192.

(3)- بسمة بنت أحمد: المرجع السابق، ص 270.

(4)- الذهبي: سير أعلام النبلاء مصدر سابق، ج7، ص 88.

(5)- جاثليق: وجمعها جثالقة وهي رتبة دينية عند النصارى النساطرة والأرمن وهي الأعلى عندهم؛ ينظر فيليب دي طرازي: خزائن الكتب العربية في الخافقين، دار الكتب، لبنان، (د ت)، ج1، ص 17.

(6)- فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج1، ص 16.

(7)- فيليب دي طرازي: المرجع نفسه، ج2، ص 511.

وصلتنا تعود إلى قرون متأخرة أبرزها أقدم ترجمة جزئية لمطران[1] ديار بكر[2] ابن الصليبيّ (ت نحو566هـ/1171م)[3].

نستشف في ختام المبحث أنّ أهل الذّمّة وقفوا موقفا عدائيا من الإسلام وتشريعاته، ولم يخضعهم إلّا قوة المسلمين التي أجبرتهم على الاستسلام، وهذا بالرغم من السماحة والعدالة التي تمتعوا بها بين ظهراني المسلمين، فقد بقت سرائرهم خبيثة، وضمائرهم خسيسة، فاستعملوا مختلف الوسائل الممكنة لتقويضه من محاربته باللسان بعد أن أعجزتهم السنان، فعمدوا إلى التشكيك في أصوله، والجدل مع أهله بنيّة صدّ النّاس عنه، وتقويض بنيانه، وكان أخطرهم في ذلك المجوس لأنّهم استخدموا أسلوب التوغل بين المسلمين وادّعاء الإسلام فكانت آثارهم أخطر ومواجهتهم أصعب.

المبحث الثاني: دور أهل الذّمّة في الحياة المذهبية.

شهد العالم الإسلاميّ منذ أيامه الأولى فتنا كثيرة، على رأسها فتنة الإمامة التي سبّبت كثيرا من المآسي، والتي زادت تعقيدا مع الوقت مع انقسام المسلمين شيعا ومذاهب، ودخول هذا التفرق في الصراع السياسي، ثمّ تحول هذه المذاهب إلى مذاهب أصولية متناحرة فكريا وماديا، فهل هذا الانقسام والتناحر كان وليد عوامل ذاتية أم بتدخل عوامل وعناصر خارجية معادية عقائديا كأهل الذّمّة؟.

يظهر دون ريب وباتّفاق أكثر الباحثين الدور المباشر وغير المباشر لأهل الذّمّة وأيديهم الطويلة في الإيقاع بين المسلمين، واستحداث بعض المذاهب المنحرفة، والأثر الخطير في الحياة المذهبية عند المسلمين فكان من كيد أعداء الدين التحريض على الفتن المذهبية، وإيقاد نار الفرقة، وتعميق الخلاف بين المسلمين، وإحياء النعرات العرقية، وإذكاء النزعة الشعوبية وبثّ الأفكار والشبهات التي أثّرت في كثير من جهلة المسلمين قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأمّا مشابهة فارس والروم، فقد دخل في هذه الأمّة من الآثار الرومية، قولا وعملا، والآثار الفارسية، قولا وعملا، ما لا خفاء به على مؤمن عليم بدين الإسلام، وبما حدث فيه..."[4]، ويقول العلامة رشيد رضا عن الشيعة: "...وذلك أنّ زعماءهم لم

---

[1]- المطران:رتبة دينية نصرانية وهو رئيس الكهنة عند النصارى وهو فوق الأسقف ودون البطريرك؛ ينظر أحمد مختار وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، 2008، ج3، ص 2107.

[2]- ديار بكر: إقليم واسع شمال العراق ينسب إلى قبيلة عربية من أشهر مدنه ميافارقين (حاليا يتبع دولة تركيا)؛ ينظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص 494.

[3]- فيليب دي طرازي: المرجع السابق، ج1، ص 25.

[4]- ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، ط7، دار عالم الكتب، بيروت، 1999،ج1، ص 91.

لم يكونوا مخلصين لهم، ولا لدينهم، بل كانوا زنادقة من اليهود والفرس يريدون بالغلوّ في التّشيّع تفريق كلمة العرب، وضرب بعضهم ببعض لإسقاط ملكهم..."[1]، ويقول الأديب والمتكلم الجاحظ في نفس الصدد عن النصارى: "على أنّ هذه الأمة لم تبتل باليهود، ولا المجوس، ولا الصابئين كما ابتليت بالنصارى وذلك أنّهم يتبعون المتناقض من أحاديثنا، والضعيف بالإسناد من روايتنا، والمتشابه من آي كتابنا، ثمّ يخلون بضعفائنا، ويسألون عنها عوامنا، مع ما قد يعلمون من مسائل الملحدين، والزنادقة الملاعين، وحتى مع ذلك ربّما تجرّؤوا إلى علمائنا، وأهل الأقدار منا، ويشغبون على القوي، ويلبسون على الضعيف"[2]، ومما يدلّ على مدى أثر هؤلاء في تفرق المسلمين ومدى مسؤوليتهم عن ذلك أنّنا إذا رجعنا إلى أصول كثير من الفرق والبدع تجدها أصولا خارجية[3]، فالاختلاف والانحراف في كثير من القضايا العقدية يرجع إلى التأثّر بمختلف النحل التي دخلت تعاليمها إلى عقول ضعاف المسلمين كقضية القضاء والقدر والصفات الإلهية التي ظهرت بتأثير من النصارى، كالراهب يوحنا الدمشقيّ وتلميذه ثيودور أبو قرة (ت210هـ/826م)، وقد قال بهذا الطرح كبار مصنفي العقائد[4] والتاريخ كالأشعريّ (ت324هـ/936م) والبغداديّ (ت429هـ/1038م) وابن حزم (ت456هـ/1064م) وابن الأثير (ت630هـ/1232م) وابن كثير (ت774هـ/1373م)، فأصل القول بالتعطيل وبخلق القرآن يهودي إذا يرجع إلى لبيد بن الأعصم اليهوديّ، كما ذكر ابن الأثير في خضم ترجمته لأحد شيوخ المعتزلة وابن كثير في ترجمته للأمير الأموي خالد بن عبد الله القسري: حيث قالا: "...وأخذه جهم من الجعد بن درهم، وأخذه الجعد من أبان بن سمعان، وأخذه أبان من طالوت إبن أخت لبيد الأعصم وختنه، وأخذه طالوت من لبيد بن الأعصم اليهوديّ ... وكان لبيد يقول بخلق التوراة، وأول من صنّف في ذلك طالوت وكان زنديقا فأفشى الزندقة"[5]، وأصل القول في القدر يرجع إلى رجل نصراني، فقد أخرج الأصولي والفقيه اللالكائيّ (ت418هـ/1027م) وغيره عن الإمام الأوزاعيّ (ت157هـ/774م) رحمه الله: "أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن، كان نصرانيا فأسلم ثمّ تنصّر، فأخذ عنه مَعْبَد

---

[1]- رشيد رضا: المرجع السابق، ج10، ص 10.

[2]- الجاحظ: المصدر السابق، ص 65.

[3]- مُحَمَّد باكريم مُحَمَّد: وسطية أهل السنة بين الفرق، ط1، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، 1994، ص 301.

[4]- بسمة بنت أحمد: المرجع االسابق، ص 275.

[5]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص 149؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج13، ص 147.

الجُهَنِيُّ، وأخذ غيلان عن معبد"[1]، فغيلان الدمشقيّ ثاني من تكلم في القدر بعد معبد الجهنيّ فقد اتفق على أنّه كان نصرانيا[2] قبطيا لذلك يلقبه الأديب والمؤرخ ابن قتيبة (ت276هـ/890م) بغيلان القبطيّ[3]، وأورد الفقيه والمحدث ابن بطة العكبريّ (ت387هـ/997م) أنّ غيلان الدمشقيّ كان قبطيا ثمّ أسلم وقال بنفي القدر[4] ونقل أيضا ابن بطة عن الإمام عبد الرحمن الأوزاعيّ أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن، كان نصرانيا فأسلم، ثمّ تنصّر فأخذ عنه معبد الجهنيّ وأخذ غيلان عن معبد [5]، وقد أصبح غيلان الدمشقيّ فيما بعد داعية إلى القدر، وجمع بين القدر والإرجاء والخروج كما يورد الشهرستانيّ[6].

وكان تأثيرهم خاصة في غلاة كل فرقة كغلاة الشيعة، يقول عنهم الأصولي والمؤرخ الشهرستانيّ (ت548هـ/1153م): "الغالية: هؤلاء هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقية، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية فربّما شبّهوا واحدا من الأئمّة بالإله وربما شبهوا الإله بالخلق وهم على طرفي الغلو والتقصير وإنّما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية، ومذاهب التناسخية، ومذاهب اليهود والنصارى..."[7]، فقد رأى الذّمّيون وأعداء الإسلام وخاصة المجوس أنّ كيد الإسلام بالحيلة أنجع وأدوم فأظهروا الإسلام وفتنوا جهّال المسلمين كالشيعة بإظهار محبة آل البيت والقول بالغيبة والقول بالحلول إلى غيرها من العقائد الباطلة[8]، فكانت الشيعة من أخطر المذاهب التي أثّروا فيها لما جنته على على الإسلام والمسلمين فظهر منهم الرافضة ومن رحم الرافضة ولدت فرقة الباطنية[9]، والتّي أسّست في عهد الخليفة المأمون على يد الزنادقة، وهدفها الرئيسي إبطال الإسلام، فهم أصحاب نحلة خبيثة قال

(1)- اللالكائي: شرح أصول أهل السنة والجماعة، تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي، ط8، دار طيبة، السعودية، 2003، ج4، ص 827.

(2)- ابن بطة العكبري: الإبانة الكبرى، تحقيق: رضا معطي وآخرين، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، (د ت) ، ج4، ص 217.

(3)- إبن قتيبة: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992، ص 625.

(4)- ابن بطة العكبري: المصدر السابق، ج4، ص 299.

(5)- ابن بطة العكبري: المصدر نفسه، ج4، ص 298.

(6)- الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص 152.

(7)- الشهرستاني: المصدر نفسه، ج1، ص 222.

(8)- ابن حزم: المصدر السابق، ج2، ص 91.

(9)- الباطنية: فرقة دينية من الشيعة الغالية سمّوا بذلك لقولهم بأنّ لظواهر القرآن والأخبار بواطن، ولكل تنزيل تأويلا وعدهم أصحاب كتب الفرق أخطر فرقة منتسبة للإسلام على الإطلاق؛ ينظر الغزالي: فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار الكتب الثقافية الكويت، (د ت)، ص 11؛ الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص 198؛ عبد القاهر البغدادي: المصدر السابق، ص 266.

فيهم الإمام الإسفراييني (ت471هـ/1079م) رحمه الله في كتابه "التبصير في الدين" قال: "وفتنتهم على المسلمين شر من فتنة الدجال فإنّ فتنة الدجال إنّما تدوم أربعين يوما وفتنة هؤلاء ظهرت أيام المأمون وهي قائمة بعد"[1]، وذكر المؤرخون أنّ الذين وضعوا دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس قال البغداديّ عبد القاهر بن طاهر (429هـ/1038م) في الفرق بين الفرق: "وليست الباطنية من فرق ملّة الإسلام، بل هي من فرق المجوس"[2]، وقال البغداديّ أيضا: "اعلموا أسعدكم الله أنّ ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظم من مضرّة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدّجّال الذي يظهر في آخر الزمان، لأنّ الذين ضلوا عن الدّين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال في وقت ظهوره لأنّ فتنة الدّجّال لا تزيد مدتها على أربعين يوما وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر..."[3]، ولكن لما لم لم يقدروا على إظهار الدين المجوسي خوفا من المسلمين وضعوا مذهبهم على مداهنة المسلمين والتظاهر بأنّهم منهم، وتقوّى الفرس في العهد العباسيّ وسعوا لأن تكون الحكومة العباسية فارسية في مظهرها وجوهرها، وعلموا أنّ ذلك لن يتأتّى لهم والإسلام في عزّه فسعوا في نشر المذاهب الهدامة كالمانوية والمزدكية وغيرها[4] من المذاهب المنحرفة المنتسبة إلى الإسلام في صراعهم مع العرب بغرض تحويل الملك عنهم[5]، هذا الملك الذي أساسه الإسلام، وبإسقاطه يُسقطون المسلمين بما فيهم العرب.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت728هـ/1328م): "...كالذي يذكره الفلاسفة وبإزاء النّور والظلمة كالذي يذكره المجوس...ويتكلمون في الباطن والأساس والحجّة والباب وغير ذلك مما يطول وصفهم ومن وصاياهم في "النّاموس الأكبر والبلاغ الأعظم" أنّهم يدخلون على المسلمين من "باب التشيع" وذلك لعلمهم بأنّ الشيعة من أجهل الطوائف وأضعفها عقلا وعلما وأبعدها عن دين الإسلام علما وعملا ولهذا دخلت الزنادقة على الإسلام من باب المتشيّعة قديما وحديثا..."[6]، ويقول المؤرخ المصريّ أحمد شلبي (ت1420هـ/2000م): "...أنّ كثيرين من أعداء الإسلام ومعتنقي

(1)- الإسفراييني: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من فرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط1، عالم الكتب، لبنان، 1983، ص 140.

(2)- عبد القاهر البغدادي: المصدر السابق، ص 16.

(3)- عبد القاهر البغدادي: المصدر السابق، ص 265-266.

(4)- محمّد العبدة وطارق عبد الحليم: المرجع السابق، ص 117.

(5)- حسن الباشا: المرجع السابق، ص 58.

(6)- ابن تيمية: مجموع الفتاوى مصدر سابق، ج35، ص 136.

المذاهب والأديان المختلفة وبخاصة اليهود دخلوا الشيعة وانتسبوا إلى آل البيت بقصد الكيد للإسلام..."[1]، فالمتتبع لعقائد الشيعة الإثنا عشرية في كتبهم المعتمدة لديهم، يجد أنّها تحمل في ثناياها أفكار وأهواء نحل عديدة[2]، فالشيعة هم أول من تهرمس[3] في الإسلام على حد تعبير المستشرق الفرنسي هنري كروبان (ت1398هـ/1978م)[4] المهتم بهذه الفرقة المنحرفة وهذه شهادة من غير مسلم مسلم ولا من مسلم من أهل الأثر حتى لا يقال بأنّ أهل الحديث يفترون على الشيعة، ويقول العلامة رشيد رضا عن الشيعة: "...وذلك أنّ زعماءهم لم يكونوا مخلصين لهم، ولا لدينهم، بل كانوا زنادقة من اليهود والفرس يريدون بالغلوّ في التّشيّع تفريق كلمة العرب، وضرب بعضهم ببعض لإسقاط ملكهم..."[5]، فالباطنية أئمّتهم في مذاهبهم زنادقة تعمّدوا هدم الإسلام بالشّبهات، والتّأويلات المشكّكات في الدين[6]، أما في الفتن المذهبية فيقول العلامة رشيد رضا أيضا: "الرافضة يزعمون أنّ الذين ارتدّوا هم أبو بكر ومن شايعه من الصحابة، وهم السواد الأعظم، فقلبوا الموضوع، ولكنّ عليا كان مع أبي بكر لا عليه، ولم يقتله، هذه دسيسة من زنادقة الفرس وساستهم الذين كانوا يريدون الانتقام من أبي بكر وعمر لفتحهما بلادهم، وإزالتهما لملكهم،..."[7]، فقد ذهب أكثر الباحثين إلى أنّ غرض الباطنية الدعوة إلى دين المجوس بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنة، واستدلوا على ذلك بأنّهم قالوا بقول المجوس في أنّ المبدع الأول أبدع النفس، ثمّ إنّ الأول مدبر العالم بتدبير الكواكب السبعة

---

(1)- أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984، ج2، ص 152.

(2)- بسمة بنت أحمد: أثر الديانات الوثنية في عقائد الرافضة، جامعة أم القرى، مكة، 2004، ص 192.

(3)- هرمس: هو شخصية تاريخية دينية تجاذبها بعض أتباع الديانات السماوية والوضعية، اختلف في طبيعته فاعتبره البعض إله واعتبره البعض نبيا، كما اختلف في موطنه وتاريخ وفاته فقد ظهر ذكره قبل اليهودية (قبل موسى عليه السلام)، وقد ثبت إطلاق الاسم على أكثر من شخص، فقيل هناك ثلاث هرامسة، وفي التوراة هناك اثنين، وهناك من ذهب إلى أنّه النّبي إدريس عليه السلام، ولكن لا دليل على ذلك إلّا ما أوردته الإسرائيليات ونقل عنها (وعموما كيفما كانت حقيقته فقد شاع عنه أفكار منحرفة عن منهج الأنبياء تناقلتها بعض النحل المحرفة والنحل الوضعية والفرق الإسلامية الضالة، كالشيعة والمتصوفة المنحرفون، ولا نجد له ذكرا عند أهل السنة والجماعة)؛ ينظر أحمد غسان سبانو: هرمس الحكيم بين الالوهية والنبوة، ط4، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2010، ص 9-10.

(4)- هنري كروبان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة: نصير مروة وحسن قبيسي، ط2، عويدات للطباعة والنشر، بيروت، 1998، ص 198.

(5)- رشيد رضا: المرجع السابق، ج10، ص 10.

(6)- رشيد رضا: المرجع نفسه، ج6، ص 390.

(7)- رشيد رضا: المرجع نفسه، ج6، ص 361.

والطبائع الأربع، وهذا في التحقيق معنى قول المجوس الثنوية في أنّ أليزدان خلق أهرمن، وإنّه مع أهرمن مدبران للعالم غير أنّ أليزدان فاعل الخيرات وأهرمن فاعل الشرور[1].

ومن أشهر الحوادث الدالّة على هذا قضية الداعي العباسيّ خداش عمار بن يزيد النصرانيّ الذي تشيّع، وذكر ضمن دعاة بني العباس، ففي سنة (118هـ/736م) أثناء التمهيد للدولة العباسية وجّه كبير دعاة العباسيين بُكَيْر بن ماهان عمار بن يزيد إلى خراسان واليا على شيعة بني العباس، فنزل مرو وغيّر اسمه وتسمى بِخِدَاشٍ، ودعا في البداية كما أمر، ثمّ غيّر ما دعاهم إليه ومثّل لهم الباطل في صورة الحق، وأظهر دين الخرمية ودعا إليه، من ذلك ترخيصه لبعضهم في نساء بعض، وقال لهم: "إنّه لا صوم ولا صلاة ولا حج، وإنّ تأويل الصوم أن يصام عن ذكر الإمام فلا يباح باسمه، والصلاة الدعاء له، والحج القصد إليه"، وكان يتأوّل من القرآن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ المائدة 93؛ وهذا أوّل إظهار لمذهب الباطنية في الأرض[2]، وكان خِدَاشٌ هذا نصرانيا من أهل الحيرة ثمّ أسلم وصار معلما بالكوفة ولحق بخراسان، وكان يقول بعد انحرافه بأنّ الإمام يخبره بذلك، فبلغ خبره والي الأمويين أسد بن عبد الله القسريّ فلمّا ظفر به قطع لسانه وسمل عينيه وقال: "الحمد لله الذي انتقم لأبي بكر وعمر منك"، وأمر بقتله فقتل وصلب[3].

فقال في ذلك الشاعر أبو السريّ معدان الأعمى الشُمَيْطيّ (ت بعد160هـ/786م) في ذلك:

وخَداش المحلّ إذا خَدش الـدِي نَ وأوفي بِدعوةِ الضلالِ

دانَ بالـــرفضِ والتـخَرُمِ حينًا وبقتل النِّسَاء والأطفالِ

أيُّ شيءٍ يكونُ أعجبُ من ذا أزرقـي ورافضٌ فِي حـالِ [4]

ولم يقتصر التأثير على الشيعة فقط بل عمّ أغلب المذاهب المنحرفة، فقد ظهر تقديس العقل عند المسلمين بعد ترجمة كتب الفلسفة اليونانية التي قامت عليه، ما أدى إلى ظهور علم الكلام والفلسفة والمنطق بين المسلمين، ومنه ظهور فرق ضالّة أساءت إلى الإسلام وضرّته أكثر مما خدمته، فقد نشرت

---

[1]- رشيد رضا: الباطنية مرجع سابق، مج 13، ص 922.

[2]- المطهر بن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (دت)، ج6، ص 61.

[3]- الطبري: المصدر السابق، ج7، ص 109؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج4، ص 229؛ علي محمّد الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2008، ج2، ص 542.

[4]- البلاذري: أنساب الأشراف مصدر سابق، ج4، ص 118؛ فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، ترجمة: محمود فهمي حجازي، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1991، مج2، ج3، ص 225.

الأفكار المخالفة لأصول الإسلام وشاع بينها الجدل والخلاف[1] واشتد انحراف كثير من المسلمين وظهور البدع والفرق الضالة والمنحرفة[2]، كالمعتزلة والقدرية والجهمية وغلاة المتصوفة، كما دخلت الكثير من الأفكار المنحرفة من فكر اليهود والنصارى والمجوس واليونان، كفكرة وحدة الأديان التي قال بها غلاة الشيعة وإخوان الصفا وكثير من المبتدعة[3]، فاليهود أكثرهم يقول بتشبيه الله تعالى بخلقه[4]، فكانت النبوّة والتشبيه من أكبر المسائل التي أثاروها بين المسلمين[5] من ذلك التأثّر باليهود من خلال شخصية لبيد بن الأعصم اليهودي (ق 1هـ/7م) الذي كان يقول بخلق التوراة، فأخذ ذلك عنه ختنه طالوت (ق 1هـ/7م)، وأخذها عن طالوت أبان بن سمعان (ت بداية ق2هـ/8م)، وعنه أخذها المتكلم المبتدع الجعد بن درهم (ت نحو118هـ/736م)، ثمّ المتكلم الجهم بن صفوان (ت128هـ/745م)، ثمّ المتكلم بشر المريسيّ (ت218هـ/833م) الذي كان أصله يهوديا[6]، قال في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية: "...ثمّ أصل هذه المقالة (مقالة التعطيل للصفات) إنّما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضُلّال الصابئين..."[7]، وتأثّر بعض مبتدعة المسلمين بالهنود فأخذوا عنهم فكرة التناسخ كبعض فرق الشيعة والصوفية[8]، ومن أوجه تأثرهم بالنصرانية فكرة اللاهوت والناسوت والاتحاد بينهما، التي شكلت مبدأ الحلول والاتحاد، الذي قال به بعض الصوفية كالحلاج (ت309هـ/922م) وابن سبعين (ت669هـ/1269م) وابن عربي (ت638هـ/1240م)[9] فيما بعد، كما تأثّر إخوان الصفا[10] بأفكار

---

[1]- غالب بن علي عواجي: المرجع السابق، ج1، ص 77.

[2]- عبد الله بن عبد الرحمن الجلابوع: المرجع السابق، ج1، ص 128.

[3]- عبد الحميد عرفان: نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، ط1، دار الجيل، بيروت، 1993، ص 92.

[4] - فخر الدين الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت)، ص 82.

[5]- جمال المرزوقي: دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001، ص 23.

[6]- غالب بن علي عواجي: المرجع السابق، ج1، ص 82.

[7]- ابن تيمية: مجموع الفتاوى مصدر سابق، ج5، ص 20.

[8]- غالب بن علي عواجي: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، ط4، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، 2001، ج1، ص 81.

[9]- غالب بن علي عواجي: المرجع السابق، ج1، ص 82.

[10]- إخوان الصفا: إخوان الصفاء وخلان الوفاء، مجموعة فلاسفة ظهروا في النصف الثاني من القرن (4هـ/10م) بالبصرة، تميزت بطابعها السري ومذهبها الفلسفي والديني الشيعي الاسماعيلي المنحرف، حيث خلطوا بين أقوال الفلاسفة وتعاليم الإسلام التي شوهوها، أشهر مؤلفاتهم "رسائل إخوان الصفا" الذي سطروا فيه أصول مذهبهم؛ ينظر ابن تيمية: مجموع الفتاوى مصدر سابق، ج4، ص 79؛ عبد الوهاب الكيالي: المرجع السابق، ج1، ص 112.

بأفكار الصابئة الحرانيين مثل روحانية الكواكب وتأثيرها، كما كان منهجهم يهدف إلى الجمع بين الشريعة النبوية الإسلامية والعبادة الفلسفية الإلهية[1] كما يزعمون، وهذا انحراف خطير وعقيدة منحرفة أغلب الظنّ أنّها انتقلت إليهم عبر ترجمة عقيدة الصابئة، وأثّرت الثقافة الفارسية تأثيرا عظيما في الفكر الإسلامي من الناحية الفلسفية والأدبية والدينية فقد كان للمذاهب الدينية الفارسية القائلة بالنور والظلمة تأثيرات بعيدة المدى في بعض الفرق الإسلامية كالمتصوفة[2]، كما تأثّر التصوف بالأفكار الهندية الهندية المتعلقة بالزهد والفقر ووحدة الوجود[3].

وأشهر من تأثّر بالفلاسفة المعتزلة يقول الشهرستانيّ (ت548هـ/1153م): "ثمّ طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين نشرت أيّام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام..."[4]، فقد دخلت الفلسفة إلى علوم المسلمين بفعل الترجمة، فوجد من أخذ بهذه المذاهب الفلسفية، واتّبع فيها رأيه حذو النّعل بالنّعل إلّا في القليل، فلمّا ترجمت كتب الفلسفة من اليونانية إلى العربية، تصفّحها كثير من المسلمين، وأخذ من مذاهبهم من أضلّه الله من منتحلي العلوم، وجادلوا عنها واختلفوا في مسائل من تفاريعها ودام شرها منذ ذلك الحين[5].

وسبب هذا التأثّر والانسياق وراء دسائس الذّمّيين المذهبية هو عدم الالتزام بأصول السلف، الذين ابتعدوا عن المتشابهات وأجروها على ظاهرها دون تأويل لإدراكهم عجز العقل عن ذلك وقالوا: "إنّ العجز عن درك الإدراك إدراك"[6]، والحق الذي يجب أن يتبع هو هدى الإسلام في ترك الاستعانة بالمشركين هو الحصن الذي يحمي المسلمين من سموم هؤلاء[7]، وقال بتحريم علم الكلام والجدال في الدين مالك (ت179هـ/795م) والشافعي (ت204هـ/819م) وأحمد (ت241هـ/855م) وسفيان الثوري (ت161هـ/777م) وكثير من أهل الحديث والسلف[8] يقول ابن تيمية: "...فكان من الأصول

(1)- مُحَمَّد عابد الجابري: المرجع السابق، ص 129.

(2)- محمود حربي عباس وحلاق حسان: العلوم عند العرب أصولها وملامحها الحضارية، دار النهضة العربية، بيروت، 1995، ص 240.

(3)- محمود حربي عباس وحلاق حسان: المرجع السابق، 1995، ص 242.

(4)- الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص 48.

(5)- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة مصدر سابق، ص 553.

(6)- ابن تيمية: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تحقيق: موسى الدويش، ط3، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1995، ص 399.

(7)- مُحَمَّد العبدة وطارق عبد الحليم: المرجع السابق، ص 126.

(8)- عبد الحليم محمود: التفكير الفلسفي في الإسلام، ط2، دار المعارف، القاهرة، (د ت)، ص 93.

الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنّه لا يقبل من أحد قطّ أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده، فإنّهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البيّنات أنّ الرسول ﷺ جاء بالهدى ودين الحق وأنّ القرآن يهدي للتي هي أقوم..."[1]، وقال ابن تيمية أيضا: "والتعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن، أولى من التعبير عنها بغيرها فإنّ ألفاظ القرآن يجب الإيمان بها، وهي تنزيل من حكيم حميد والأمّة متّفقة عليها، ويجب الإقرار بمضمونها قبل أن تفهم، وفيها من الحكم والمعاني ما لا تنقضي عجائبه والألفاظ المحدثة فيها إجمال واشتباه ونزاع، ثمّ قد يُجعل اللفظ حجّة بمجرده، وليس هو قول الرسول الصادق المصدوق، وقد يضطرب في معناه وهذا أمرٌ يعرفه من جرّبه من كلام الناس فالاعتصام بحبل الله يكون بالاعتصام بالقرآن والإسلام..."[2].

نستنتج في الأخير أنّ أهل الذّمّة كان لهم تأثير خطير مباشر وغير مباشر في الحياة المذهبية للمسلمين، فكانوا السبب الرئيسي في ظهور بعض الفرق كالشيعة وتأصيل أصولهم الفاسدة، وساهموا بأعمالهم العلمية المحاربة للإسلام والمسلمين في التّأثير في بعض الفرق الأخرى كالمعتزلة والمتصوفة، واستمروا بعد هذا التأثير الخطير في تأجيج الخلاف والشقاق بين المسلمين.

المبحث الثالث: موقف المسلمين من مكر أهل الذّمّة:

لم يقف المسلمون موقف المتفرج أمام هذه الممارسات العدائية حيث تصدى الحكام والعلماء المسلمون لهذه الأساليب والمظاهر العدائية بكل أوجهها العسكرية والسياسية والمذهبية، مستعملين عدّة وسائل شرعية أملتها الظروف وأعمال الأعداء مدافعين عن الإسلام ونبيه وتشريعاته السّمحة، ففيما تمثلت هذه الأساليب؟.

تمثلت هذه الوسائل في المجابهة الفكرية والعسكرية وتنظيم المؤسسات التي تتولى محاربتها مع دعم العلماء والأدباء والشعراء للرد عليها وتفنيد شبهها والتحذير منها[3].

(1)- ابن تيمية: مجموع الفتاوى مصدر سابق، ج13، ص 28.

(2)- ابن تيمية: النبوات، تحقيق: عبد العزيز الطويان، ط1، أضواء السلف، السعودية، 2000، ج2، ص 876.

(3)- عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 183.

1- الذّم والتحذير:

ذمّ العلماء المسلمون من تأثّر بالذّمّيين وأخذ عنهم وعن أصولهم[1]، وحذّروا منهم قال التابعي الجليل مكحول الشاميّ (ت112هـ/730م) عن غيلان الذي قال بنفي القدر: "حسيب غيلان الله، لقد ترك هذه الأمة في لُجَجٍ مثل لُجَجِ البحار"[2] وقال مَكحول أيضا: "ويحك يا غيلان ركبت بهذه الأمة مضمار الحَرُوريّة[3]، غير أنّك لا تخرج عليهم بالسيف، والله لَأَنَا على هذه الأمة منك أخوف من الْمُزَقِّقِينَ أصحاب الخمر"[4].

وتصدى لهم بعض الخاصة بالتحذير من البدع المستحدثة في الدين كالخليفة الأمويّ هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-743م) الذي قال لبنيه: "تعلّموا الأدب فإنّ إيراثي إياكم الأدب أحب إلي من إيراثي إياكم المال...واذكروا من الحديث ما كان مسندا عن رسول الله ﷺ وإيّاكم أن تجمّعوا منه تجميع حاطب اللّيل فتشكوا في الخالق والمخلوق والصانع والمصنوع والرب والمربوب ولا تجالسوا السفهاء ولا تمازحوهم وإيّاكم وأصحاب الكلام، فإنّ أمرهم لا يؤول إلى الرشاد..."[5].

ورُوي أنّ التابعي الجليل رجاء بن حَيوة الكنديّ (ت112هـ/730م) كتب إلى الخليفة الأمويّ هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-743م): "بلغني يا أمير المؤمنين أنّه وقع في نفسك شيء بأمر قتل غيلان وصالح[6]، فو الله لقتلهما أفضل من قتل ألفين من الروم والترك"[7]، وبلغ التابعي الجليل الجليل نمير بن أوس الأشعريّ (ت122هـ/740م) قاضي دمشق أنّه وقر في صدر الخليفة هشام بن عبد

---

(1)- خالد كبير علال: مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية خلال العصر الإسلامي ق2-13هـ، ط1، دار المحتسب، الجزائر، 2008، ص 21.

(2)- ابن بطة العكبري: المصدر السابق، ج4، ص 300.

(3)- الحرورية: فرقة من فرق الخوارج سموا به بعد خروجهم على علي بن أبي طالب ﷺ بعد وقعة صفين سنة (38هـ/659م) والتجائهم إلى موقع حروراء قرب الكوفة فنسبوا إليه وهي أول فرق الخوارج ظهورا كانت بينة الضلالة فقد كفروا عليا وعثمان وأصحاب الجمل ومن رضي بالتحكيم ويكفرون مرتكب الكبيرة إلى غير ذلك من الضلالات التي جنت على الأمة الويلات منذ ظهورهم إلى يومنا هذا؛ ينظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص 245.

(4)- ابن بطة العكبري: المصدر السابق، ج4، ص 300.

(5)- الهروي: المصدر السابق، ج5، ص 61.

(6)- صالح: المقصود هنا صالح بن سويد القدري، الذي قتله الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-743م) مع غيلان الدمشقي لإنكارهما القدر؛ ينظر ابن عساكر: تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995، ج23، ص 334-337.

(7)- الفريابي: كتاب القدر، تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور ، ط1، أضواء السلف، الرياض، 1997، ص 184.

الملك من قتله غيلان شيء، فكتب إليه نُمير: "لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإنّ قتل غيلان من فتوح الله العظام على هذه الأمة"[1]، والفتوح الكبيرة مردّ كبرها إلى النتائج العظيمة التي تتحقق والأخطار التي تصد، فقتل غيلان على يد الخليفة الأمويّ هشام كان عملا عظيما استفاد منه المسلمون كثيرا، وأغلقوا بابا من أبواب الشر، ولكن للأسف بقيت شبهاته وشبهات باقي الفرق المنحرفة بين المسلمين، وفي تاريخهم الذي لا يزال يستغل من طرف أعداء الإسلام إلى اليوم للطعن فيهم وفي دينهم.

2- الردود العلمية:

فقد انبرى علماء المسلمين للرد عليهم بكل الوسائل المتاحة، وعلى رأسها تصنيف المصنفات للرد عليهم ونصرة الدين، وتدوين كتب العقيدة التي كان من العوامل والمؤثرات في نشأة تدوينها استجابة لضرورة طبيعية ملحّة، تمثّلت في المشكلات السياسية والاجتماعية التي استحدثت في حياة المسلمين، وباتت تهدد باستفحالها الشديد البناء الديني الذي قام عليه المجتمع الإسلامي، والتحديات الدينية والفلسفية مع الأديان والفلسفات القديمة، وباتت تروج بين المسلمين وتهدد بنية العقيدة الإسلامية فهذه المشكلات والتحديات دفعت الفكر الإسلاميّ في سبيل الدفاع عن مرجعيته العقدية إلى أن يتجه إلى معالجة تنظيرية، فكانت نشأة علم العقيدة[2]، كالإمام أحمد بن حنبل (ت241هـ/855م) الذي ألّف بعض الكتب القيّمة للرد على المخالفين والانتصار للإسلام منها كتاب "الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكّوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله"[3]، وهذا ما يفهم منه وجوب تبيين خطر الأعداء والمتربصين قال عزوجل: ﴿وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الأنعام55؛ وسبيل المجرمين هي طريقهم وسيرتهم في الظلم والحسد والكبر واحتقار الناس والتصلب في الكفر فتتضح هذه السبيل فلا تُتبع وَيَنْهى عن اتباعها لأنّها طريق الهلاك والدمار[4]، وكتب أبو الحسن الأشعري (ت324هـ/936م) كتابا في "الرد على الفلكيين"[5]، وكتاب "الرد على ابن

---

[1]- الفريابي: المصدر السابق، ص 185.

[2]- عثمان جمعة ضميرية: المرجع السابق، ع52، 1992، ص 6.

[3]- أحمد بن حنبل: الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القران وتأولوه على غير تأويله، تحقيق: ابن سلامة صبري، ط1، دار الثبات للنشر والتوزيع، الرياض، 2003.

[4]- الطاهر بن عاشور: المصدر السابق، ج7، ص 260؛ الجزائري أبو بكر جابر: المصدر السابق، ج2، ص 67.

[5]- محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الازدهار 02، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2000، ص 26.

الراونديّ[1]"، وكوّن الخليفة المهدي هيئة علمية لمناظرة الزنادقة وتأليف الكتب للرد عليهم[2]، قال المؤرخ المسعوديّ (ت346هـ/957م): "...وكان المهدي أول من أمر الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين ممّن ذكرنا من الجاحدين وغيرهم، وأقاموا البراهين على المعاندين، وأزالوا شبه الملحدين، فأوضحوا الحق للشاكين،..."[3]، كما دافع عن الإسلام ضد شبهات المجوس واليهود والنصارى بعض من أسلم منهم فردّ على حججهم وشبهاتهم[4].

3- إقامة الحدود الشرعية:

فلمّا كثرت الزندقة والانحرافات جرى تتبّعهم والعمل على القضاء عليهم ما أمكن، من طرف العلماء والحكام، فقد كتب التابعي الجليل محمّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى (ت148هـ/765م) إلى الخليفة أبي جعفر المنصور وهو بالمدينة المنورة بأنّ رجلا يقول أنّ القرآن مخلوق وشهادته عليه وإقراره على ذلك، فكتب إليه أبو جعفر: "إن هو رجع وإلّا فاضرب رقبته وأحرقه بالنار"، فتاب ورجع عن قوله في القرآن[5]، وقوي ذلك بشكل خاص في عهد الخليفة المهدي (158-169هـ/775-785م) حيث استحدث ديوان الزندقة، وجعل له رئيسا أطلق عليه اسم "صاحب الزنادقة" وظيفته تتبع الزنادقة والقضاء عليهم، فقد صرف المهدي همّته في تتبّع الزنادقة[6]، وهذا راجع لكثرتهم في عهده، حيث أصبحوا ظاهرة سياسية ودينية تسترعي الاهتمام وتحتّم الوقوف عندها، ومعالجتها بكل السبل، وحذا الهادي والرشيد حذوه، وهناك من يعزو نكبة البرامكة على يد الرشيد إلى اتّهامهم بالزندقة[7].

ويذكر المؤرخ ابن الأثير عن المهدي أيضا: "...وكان المهدي قد قال للهادي يوما، وقد قدم إليه زنديق، فقتله وأمر بصلبه: يا بنيّ، إذا صار الأمر إليك فتجرّد لهذه العصابة، يعني أصحاب ماني

---

[1]- ابن الراوندي: أحمد بن يحيى بن إسحاق (ت298هـ/910م) زنديق وفيلسوف ومتكلم ينتسب إلى قرية راوند بأصبهان نشأ ببغداد اشتهر بالزندقة وإظهار الإلحاد بدأ معتزليا ثم ألحد وكتب في الرد على القران والشريعة وقيل ان والده كان يهوديا وذكر ابن النديم أنّه تاب عند موته؛ ينظر ابن النديم: المصدر السابق، ص 216؛ ابن كثير: المصدر السابق، ط إحياء التراث، ج11، ص 127.

[2]- أحمد أمين: ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي، مصر، (د ت)، ص 138.

[3]- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، إيران، 1988، ج4، ص 224.

[4]- محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الازدهار 04 مرجع سابق، ص 29.

[5]- محمّد المغراوي: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، ط1، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، النبلاء للكتاب، مراكش، (د ت)، ج2، ص 376.

[6]- الذهبي: العبر في خبر من غبر مصدر سابق، ج1، ص 184.

[7]- ابن كثير: المصدر السابق، ط دار هجر، ج13، ص 640؛ الجهشياري: الوزراء والكتاب، تحقيق: السقا مصطفي وآخرين، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1938، ص 206.

(المانوية)، فإنّها تدعو النّاس إلى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش، والزّهد في الدنيا، والعمل للآخرة ثمّ تخرجها من هذا إلى تحريم اللّحوم، ومسّ الماء الطّهور، وترك قتل الهوامّ تحرّجا، ثمّ تخرجها إلى عبادة اثنين: أحدهما النّور، والآخر الظلمة، ثمّ تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات، والاغتسال بالبول، وسرقة الأطفال من الطرق، لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النّور فارفع فيها الخشب، وجرّد السّيف فيها، وتقرّب بأمرها إلى الله...فلمّا وَلِي الهادي قال: لأقتلنّ هذه الفرقة وأمر أن يهيّأ له ألف جذع..."[1].

وكان الخليفة المأمون يتبيّن أمر المتّهمين في عقيدتهم من الزنادقة ويسائلهم عن دينهم وأحوالهم، ويستكشفهم عن مذهبهم، ويدعوهم إلى التوبة والرجوع عنه بامتحانهم بضروب من المحن والاختبارات تتركّز حول مقدّساتهم، فإن تبرّؤوا منها نجوا وإن امتنعوا عوقبوا، كما فعل مع من بعض الزنادقة من المانوية منها إظهار صورة ماني لهم، وأمرهم أن يتفلوا عليها، ويتبرأوا منها، وأمرهم بذبح طائر ماء، وهو الدُّرَّاج، فمن أجابه إلى ذلك نجا، ومن تخلف عنها قتل، وما يدل على أنّ هذا كان منهج المأمون في تمحيص عقائد المتهمين أنّ بعض الزنادقة المانوية من أهل البصرة كانوا على علم بما ينتظرهم من امتحان قبل الوصول إلى المأمون، حيث ذكروا مرة لمرافق لهم: "...وأمّا نحن فمانية غمز بنا إلى المأمون، وسندخل إليه، ويسائلنا عن أحوالنا، ويستكشفنا عن مذهبنا، ويدعونا إلى التوبة والرجوع عنه بامتحاننا بضروب من المحن: منها إظهار صورة ماني لنا، ويأمرنا أن نتْفُلَ عليها، ونتبرأ منها، ويأمرنا بذبح طائر ماء، وهو الدُّرَّاج، فمن أجابه إلى ذلك نجا، ومن تخلف عنها قتل،..."[2]، وادّعى رجل النبوّة في عهد المأمون واستدل ببعض الحيل، فحاوره بحضور العلماء فما زال به المأمون أياما كثيرة حتى أقرّ وتبرأ من دعوة النبوّة ووصف الحيل التي احتالها فوهب له ألف دينار[3]، وكذلك المعتصم الذي اتّهم قائد الجيش الأفشين بالزندقة فلما تبيّن أمره حاكمه وقتله[4].

فكانت عقوبة الزندقة القتل على يد الخلفاء يقول الجاحظ عن النصارى: "...ألا ترى أنّ أكثر من قتل في الزندقة ممن كان ينتحل الإسلام ويظهره، هم الذين آباؤهم وأمهاتهم نصارى على أنّك لو عددت اليوم أهل الظنّة ومواضع التهمة لم تجد أكثرهم إلّا كذلك"[5]، وفي أحداث سنة

---

[1]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج5، ص 272.

[2]- المسعودي: المصدر السابق، ج3، ص 422.

[3]- ابن العبري: المصدر السابق، ص 137.

[4]- حسن الباشا: المرجع السابق، ص 56.

[5]- الجاحظ: المصدر السابق، ص 63.

(168هـ/785م) قال ابن الأثير: " وفيها مات عمر الْكَلْوَذانِيّ، صاحب الزّنادقة، وولي مكانه مُحَّد بن عيسى بن حَمْدَوَيه، فقتل من الزّنادقة خلقا كثيرا"[1]، وقال المسعوديّ عن الخليفة المهدي: "...وأمعن في قتل الملحدين، والمداهنين عن الدين لظهورهم في أيامه، وإعلانهم باعتقاداتهم في خلافته، لما انتشر من كتب ماني وابن ديصان، ومرقيون مما نقله عبد الله بن المقفع، وغيره، وترجمت من الفارسية والفهلوية إلى العربية، وما صنّفه في ذلك ابن أبي العوجاء، وحماد عجردٍ، ويحيى بن زياد، ومطيع ابن إياس من تأييد المذاهب المانية، والدّيصانية والمرقيونية، فكثر بذلك الزنادقة، وظهرت آراؤهم في الناس..."[2].

وكانت كتب الزندقة تتلف[3]، وكانوا كثيرا ما يمنعون تداول ما يسيئ للدين فيورد ابن الأثير في حوادث سنة (279هـ/892م): "وفيها نودي بمدينة السلام أن لا يقعد على الطريق ولا في المسجد الجامع قاض، ولا منجّم، ولا زاجر، وحلف الورّاقون أن لا يبيعوا كتب الكلام والجدل والفلسفة"[4].

يتبيّن لنا في الختام أنّ أهل الذّمّة ناصبوا الإسلام وأهله العداء منذ الأيام الأولى، واستعملوا مختلف الوسائل لمحاربته بدءا بالمواجهة العسكرية، وبعد فشلها انتقلوا إلى معركة أكثر خطورة هي معركة الأفكار، بالطعن في الأصول والشريعة الإسلامية بمختلف الوسائل، والتي تركت آثارا سلبية عظيمة بإفسادها لعقيدة كثير من المسلمين وتأسيس لعقيدة بعض الفرق المنحرفة، وقد واجه علماء وحكام المسلمين واجهوا عداوة وكيد ومكر الذّمّيين الفكري والعسكري بقوة ودون هوادة يتقدمهم علماؤهم وبعض حكامهم بتبيين وتوضيح أصوله، وبالرّد عليهم والانتصار للإسلام وبالقضاء على غلاة المنحرفين كالزنادقة، فلم تمر هذه المواقف والأعمال العدائية دون مجابهة، وبذلك كان تأثيرها محدودا، وزادت الأصول الإسلامية قوة وتماسكا وحصانة، فالمعارك الجدلية التي خاضها الفكر الإسلاميّ زادته خبرة وقوة وعرّفته بأعدائه وأساليبهم[5].

---

[1]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج5، ص 251.

[2]- المسعودي: المصدر السابق، ج4، ص 224.

[3]- الذهبي: العبر في خبر من غبر مصدر سابق، ج1، ص 184.

[4]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص 468.

[5]- عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 186.

الخاتمـــــــــة

الخاتمــــــة:

يتبين لنا في ختام البحث أنّ الإسلام بتشريعاته العظيمة التي جاءت رحمة للعالمين، سمح لجميع النحل أن يكونوا في ذمته وفق شروط في غاية السماحة والرحمة، غايتها الأولى خدمة جوهر الدين وهو التوحيد أملا في إسلام هؤلاء لا طمعا في أموالهم أو استغلالا لضعفهم وخضوعهم، فعاشوا بين المسلمين خاصة وعامة حياة كريمة لا تشوبها شائبة الظلم بأيّ وجه من الوجوه وإن حدثت تجاوزات من بعض المسلمين فقد كانت أفعالا فردية معزولة ولم تمثل الإسلام، فالعبرة بالمنهج لا بالأشخاص، وقد التزم المسلمون بهذه الروح بالرغم من العداء الذي حمله هؤلاء ومحاربتهم للإسلام والمسلمين بكل الوسائل بعد فشل المجابهة العسكرية، حيث عملوا منذ أيّامهم الأولى بين المسلمين على الكيد للإسلام وزرع بذور الانحرافات والشبهات في العقيدة الإسلامية ونشر الشقاق بين المسلمين سياسيا وعقديا عن طريق التركيز على ما يساهم في التشكيك في الأصول من خلال نقل التراث المضاد والمخالف لجوهر الإسلام والتركيز على علوم بعينها مخالفة بغرض ضرب الإسلام الوليد والانتصار لنحلهم ولكن أثرهم في القرن الهجري الأول كان محدودا ليقظة المسلمين ومحدودية تغلغلهم العلمي والسياسي.

واتضح من دورهم في ترجمة العلوم أنّ الترجمة هي نقل الكلام والوثائق من لغة إلى أخرى وقد مارسها بعض المسلمين منذ أيامهم الأولى ميراثا عن العرب، تدفعهم إلى ذلك الحاجة الدينية والدنيوية للتعامل مع غير المسلمين وتراثهم، هذا التراث الذي بدؤوا يهتمون به منذ بداية العهد الأمويّ وازداد الشغف به منذ القرن (2هـ/8م)، يتقدمهم في ذلك بعض حكامهم وطائفة من أهل العلم، ولكنهم استعانوا في فك طلاسمه على مترجمين من أهل الذّمّة، فلعب هؤلاء الذّمّيون الدور البارز والخطير في الجانب العلمي في العالم الإسلاميّ في هذا المجال، فقد قُرّبوا من طرف بعض حكام المسلمين وبالأخص في العصر العباسيّ فوفّروا لهم مختلف الإمكانيات الضرورية للقيام بالعملية على أحسن وجه وتحت أفضل الظروف للمساهمة في النهضة الحضارية للمسلمين، فولجوا العملية بقوة وأدّوا فيها دورا جوهريا، ولكن هذه الإسهامات كانت نتائجها خطيرة منذ أيامها الأولى بالرغم مما وفّرت من مادة علمية وما ساهمت به من قواعد علمية كانت سندا لكثير من العلماء المسلمين فقد بذرت بذور الانحراف في مصادر الكثير من العلوم، فقد كانت الترجمة التي تولّوها من أخطر الحركات والمراحل التي تغلغل بواسطتها الفكر الشركي إلى عقيدة المسلمين، وصارت النواة التي خرجت منها أكثر الأفكار الهدامة التي أجّجت الفتن بين المسلمين وساهمت في تفرقهم فضلا عن إسهامها في إضعافهم مع الوقت، ثمّ شبه انهيار لحضارتهم ووقوعها تحت سيطرة قوى الكفر والإلحاد، ولنكون منصفين فقد أسهم أيضا ما قاموا به من ترجمة للعلوم

المختلفة في تطور بعض العلوم كالطب والحساب، كما وضعوا بواسطتها (الترجمة) كثيرا من القواعد لمختلف العلوم هذه القواعد التي كانت منطلقا لطائفة من علماء المسلمين في رسم معالم علومهم واجتهاداتهم الخاصة فيما بعد، كما زاد رواج سوق العلم أكثر لتزايد التأليف وتعاظم المؤلفات والنسخ والاهتمام بالمصنفات التي غدت في ذروة حركة الترجمة من أهم الممتلكات.

واستنتجنا من دراسة دورهم في العملية العلمية ومختلف العلوم أنّهم ساهموا بقوة بشكل مباشر وغير مباشر في تطور بعض العلوم عن طريق التعليم وتسهيل الوصول إلى العلوم العقلية بشكل خاص، والتي أسهموا فيها وخاصة الطب والفلسفة وخرافات التنجيم، فتتلمذ على أيديهم الكثير من علماء المسلمين في العلوم العقلية والذين لم يكتفوا بالنقل والتعلّم والفهم والتطبيق على أيديهم فقط، بل صحّحوا وطوّروا تلك العلوم بشكل كبير جدا من ذلك ما أنجزه وكتبه علماؤهم الكبار فيما بعد كابن الهيثم، ولكن هذا الدور كان كدورهم في الترجمة جيدا في حينه بتتلمذ كثير من أبناء المسلمين على أيديهم وتسهيلهم للعملية التعليمية ولكنهم زرعوا بذورا فاسدة أينعت فيما بعد، فأثمرت تلامذة أكثرهم منحرفي المنهج كانوا قد درسوا على يد هؤلاء، كما دخل على المسلمين عدة علوم فاسدة اجتهد الذّمّيون في تأصيلها وتطويرها بمختلف الوسائل النظرية والتطبيقية كالتنجيم الذي جلبوا كتبه ونشروا قواعده وشيدوا له المراصد مع ما فيه من مخالفة للعقيدة الإسلامية.

وتبين لنا أيضا بشكل جلي من البحث في موقفهم من الإسلام، أنّهم أضمروا له عداء خفيا شديدا وأسهموا بشكل خطير ومباشر في محاربة تشريعاته، إضافة إلى الدور الفعال في تشكل المذاهب الإسلامية المنحرفة، وإخراج مذاهب أخرى من الإسلام كالشيعة الرافضة، فقد وقفوا موقفا معاديا للإسلام منذ أيامه الأولى مع تفاوت عدائهم من نحلة إلى أخرى، وعملوا على محاولة وأده بكل الوسائل الممكنة بعد فشل الحرب المباشرة ووقوعهم تحت حكم المسلمين، فانتقلوا إلى أساليب جديدة ولكنّها أكثر خطورة، باختراق الإسلام من الداخل عن طريق بث الشبهات في العقيدة وإدخال أفكار خارجة عنها مصدرها نحلهم الفاسدة، زيّنوها بشبهات عقلية فتنت جهلة المسلمين، إضافة العمل على تشويه العبادات والمعاملات الإسلامية.

وتبين لنا أنّ أهل العلم من المسلمين وبعض الحكام وقفوا لهم بالمرصاد للحد من دسائسهم ووقف زرع الشبهات حول الإسلام، مستخدمين في سبيل ذلك مختلف الوسائل الشرعية التي تمثلت في الرد بالمؤلفات والمناظرات والتحذير بالدعوة والخطب وغيرها من وسائل التوعية، إضافة إلى رفع الأمر إلى القضاة والحكام للنظر في القضايا التي احتاجت تدخل الدولة للفصل فيها بحزم كما حصل مع الزندقة

التي جوبهت بكل حزم كونها كانت بيّنة الانحراف ولكن ما دونها صعب تتبعه وخفي أكثره فنتج عنه نتائج خطيرة وتطورت تباعا وبقيت شاخصة إلى يومنا هذا.

واستنتجنا أيضا أنّ الأخطر بين كل هذا هو المساهمة في زرع الشقاق والفتن بين المسلمين وتغذية الصراع المذهبي بينهم، ما ساهم في ظهور الكثير من الفرق المنحرفة عن جادة الدين، والمتناحرة فيما بينها حيث تطور الصراع المذهبي مع الوقت إلى صراع سياسي مسّ جميع الجوانب فانقسم المسلمون على أساسه، فظهرت دول خارجية وأخرى شيعية وغيرها من أوجه الانقسام المذموم الذي كان من أكبر أسباب الضعف والانهيار.

وختاما تبين لنا من البحث بشكل عام الدور السلبي والخطير الذي لعبه أهل الذّمّة في الحياة العلمية في العالم الإسلاميّ بشكل عام والمشرق الإسلاميّ بوجه خاص، وما يروج حول إسهاماتهم الايجابية ودورهم الكبير في دفع العلوم عند المسلمين محض افتراءات وتدليس للحقائق، وهو متمّم لعمل الذّمّيين يتوجب الصدّ عنه، وتبيين نقيضه بالأدلة البيّنة الجلية الثابتة، والتي حرصنا على تبيينها في بحثنا هذا الذي نسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون قد وفّقنا في تذليل إشكالياته وعقباته والوصول إلى النتائج العلمية المرجوّة منه.

تم بحمد الله

الملاحـــــق

الملحق الأول

خلفاء القرنين 2-3هـ/8-9م[1]

الخلفاء الأمويون:

عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/718-720م)

يزيد بن عبد الملك (101-105هـ/720-724م)

هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-743م)

الوليد بن يزيد (125-126هـ/743-744م)

يزيد بن الوليد (126-126هـ/744-744م)

إبراهيم بن الوليد (126-127هـ/744-745م)

مروان بن محمد (127-132هـ/745-750م)

الخلفاء العباسيون:

أبو العباس السفاح (132-136هـ/750-754م)

أبو جعفر المنصور (136-158هـ/754-775م)

محمد المهدي (158-169هـ/775-785م)

موسى الهادي (169-170هـ/785-786م)

هارون الرشيد (170-194هـ/786-808م)

محمد الأمين (193-198هـ/808-813م)

عبد الله المأمون (198-218هـ/813-832م)

محمد المعتصم بالله (218-227هـ/833-842م)

هارون الواثق بالله (227-232هـ/842-847م)

جعفر المتوكل على الله (232-247هـ/847-861م)

محمد المنتصر بالله (247-247هـ/861-861م)

أحمد المستعين بالله (247-252هـ/861-866م)

محمد المعتز بالله (252-255هـ/866-869م)

محمد المهتدي بالله (255-256هـ/870-870م)

أحمد المعتمد على الله (256-279هـ/870-892م)

أحمد المعتضد بالله (279-289هـ/892-902م)

علي المكتفي بالله (289-295هـ/902-908م)

جعفر المقتدر بالله (295-320هـ/908-932م)

[1]- السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، 2004، ص 117-274.

الملحق الثاني

تفسير الآية ﴿49﴾ من سورة المائدة

و تبيين طريقة الحكم بين غير المسلمين

قال تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ المائدة49.

والذي يستخلص من الفقه في مسألة الحكم بين غير المسلمين دون تحكيم أن الأمة أجمعت على أن أهل الذّمّة داخلون تحت سلطان الإسلام، وأنّ عهود الذّمّة قضت بإبقائهم على ما تقتضيه مللهم في الشؤون الجارية بين بعضهم مع بعض بما حددت لهم شرائعهم ولذلك فالأمور التي يأتونها تنقسم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: ما هو خاصّ بذات الذِّمِّيِّ من عبادته كصلاته وذبحه وغيرها مما هو من الحلال والحرام وهذا لا اختلاف بين العلماء في أنّ أئمّة المسلمين لا يتعرضون لهم بتعطيله إلا إذا كان فيه فساد عام كقتل النّفس.

القسم الثاني: ما يجري بينهم من المعاملات الراجعة إلى الحلال والحرام في الإسلام، كأنواع من الأنكحة والطلاق وشرب الخمر والأعمال التي يستحلّونها ويحرمها الإسلام وهذه أيضا يُقرّون عليها، قال مالك: لا يقام حد الزنا على الذّميين، فإن زنى مسلم بكتابية يحد المسلم ولا تحدّ الكتابية قال ابن خُوَيْزِ مِنداد: "ولا يرسل الإمام إليهم رسولا ولا يحضر الخصم مجلسه".

القسم الثالث: ما يتجاوزهم إلى غيرهم من المفاسد كالسرقة والاعتداء على النفوس والأعراض وقد أجمع علماء الأمة على أن هذا القسم يجري على أحكام الإسلام، لِأنا لم نعاهدهم على الفساد، وقد قال تعالى: والله لا يحب الفساد، ولذلك نمنعهم من بيع الخمر للمسلمين ومن التظاهر بالمحرمات.

القسم الرابع: ما يجري بينهم من المعاملات التي فيها اعتداء بعضهم على بعض:

كالجنايات، والديون، وتخاصم الزوجين فهذا القسم إذا تراضوا فيه بينهم لا نتعرض لهم، فإن استعدى أحدهم على الآخر بحاكم المسلمين فقال مالك: يقضي الحاكم المسلم بينهم فيه وجوبا، لأن في الاعْتداء ضربا من الظلم والفساد، وكذلك قال الشافعي، وأبو يوسف، ومُحَمّد، ...وقال أبو حنيفة: لا يحكم بينهم حتى يتراضى الخصمان معا[1].

[1]- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج6، ص 205-206.

الملحق الثالث

وصايا النبي ﷺ لأمراء الجيوش

حدثني عبد الله بن هاشم، واللفظ له، حدثني عبد الرحمن يعني ابن مهدي، حدثنا سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميرا على جيش، أو سرية، أوصاه في خاصّته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ -أَوْ خِلَالٍ- فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا»[1].

---

[1]- مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت)، حديث صحيح، كتاب: الجهاد والسير، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ح1731، ج3، ص 1357.

الملحق الرابع

جــامع الشــروط الــواجبة على أهــل الــذّمّة (الشــروط العمــرية)

أخبرنا عبد الله بن الإمام أحمد قال : حدثني أبو شرحبيل الحمصي عيسى بن خالد قال: حدثني عمي أبو اليمان وأبو المغيرة، قالا: أخبرنا إسماعيل بن عياش قال: حدثنا غير واحد من أهل العلم قالوا: كتب أهل الجزيرة إلى عبد الرحمن بن غنم: "إنّا حين قدمت بلادنا طلبنا إليك الأمان لأنفسنا وأهل ملتنا، على أنّا شرطنا لك على أنفسنا ألّا نحدث في مدينتنا كنيسة ولا فيما حولها ديرا ولا قلاّية ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب من كنائسنا ولا ما كان منها في خطط المسلمين وألا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها في الليل والنهار وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل ولا نؤوي فيها ولا في منازلنا جاسوسا وألا نكتم غشا للمسلمين، وألّا نضرب بنواقيسنا إلّا ضربا خفيا في جوف كنائسنا ولا نظهر عليها صليبا ولا نرفع أصواتنا في الصلاة ولا القراءة في كنائسنا فيما يحضره المسلمون وألا نخرج صليبا ولا كتابا في سوق المسلمين وألا نخرج باعوثاً قال: والباعوث يجتمعون كما يخرج المسلمون يوم الأضحى والفطر ولا شعانين ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران معهم في أسواق المسلمين وألا نجاورهم بالخنازير ولا ببيع الخمور ولا نظهر شركاً ولا نرغِّب في ديننا ولا ندعو إليه أحدا ولا نتخذ شيئاً من الرقيق الذي جرت عليه سهام المسلمين وألا نمنع أحدا من أقربائنا أرادوا الدخول في الإسلام وأن نلزم زينا حيثما كنا وألا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا في مراكبهم ولا نتكلم بكلامهم ولا نكتني بكناهم وأن نجز مقادم رؤوسنا ولا نفرق نواصينا ونشد الزنانير على أوساطنا ولا ننقش خواتمنا بالعربية ولا نركب السروج ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله ولا نتقلد السيوف وأن نوقر المسلمين في مجالسهم، ونرشدهم الطريق، ونقوم لهم عن المجالس إن أرادوا الجلوس ولا نطلع عليهم في منازلهم، ولا نعلم أولادنا القرآن ولا يشارك أحد منا مسلما في تجارة، إلّا أن يكون إلى المسلم أمر التجارة وأن نضيف كل مسلم عابر سبيل ثلاثة أيام ونطعمه من أوسط ما نجد ضمنَّا لك ذلك على أنفسنا وذرارينا وأزواجنا ومساكيننا، وإن نحن غيرنا أو خالفنا عما شرطنا على أنفسنا وقبلنا الأمان عليه فلا ذمة لنا، وقد حل لك منا ما يحل لأهل المعاندة والشقاق".

فكتب بذلك عبد الرحمن بن غنم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه "أن أمض لهم ما سألوا، وألحق فيهم حرفين أشترطهما عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم، ألا يشتروا من سبايانا شيئاً، ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده"، فأنفذ عبد الرحمن

بن غنم ذلك، وأقر من أقام من الروم في مدائن الشام على هذا الشرط[1].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى "وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها، فإن الأئمة تلقوها بالقبول وذكروها في كتبهم، واحتجوا بها، ولم يزل ذكر الشروط العمرية على ألسنتهم وفي كتبهم، وقد أنفذها بعده الخلفاء، وعملوا بموجبها "[2].

---

[1]- الخلال: أحكام أهل الملل من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994 ، ص 357-359 .

[2]- ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذّمّة حققه وعلق: عليه يوسف بن أحمد البكري وشاكر العاروري، ط1، رمادي للنشر، المملكة العربية السعودية، 1997، ج2، ص 1165.

الملحق الخامس
الكنائس والأديرة

"ولما تداني أجل عمر بن الخطاب ﷺ أوصى من بعده وهو على فراش الموت بقوله: (أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذّمّة خيرًا، وأن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وألا يكلفهم فوق طاقتهم) وفي الأخبار النصرانية شهادة تؤيد هذا القول، وهي شهادة (عيثويابه) الذي تولى كرسي البطريركية من سنة 25هـ إلى 36هـ/647 إلى 657م إذ كتب يقول: (إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون، أنهم ليسوا بأعداء للنصرانية بل يمتدحون ملّتنا ويوقرون قسيسينا وقدّيسينا، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا). والظاهر أن الاتفاق الذي تم بين (عيثويابه) وبين العرب كان من صالح النصارى، فقد نص على وجوب حمايتهم من أعدائهم، وألا يحملوا قسرًا على الحرب من أجل العرب، وألا يؤذوا من أجل الاحتفاظ بعاداتهم وممارسة شعائرهم، وألا تزيد الجزية المجباة من الفقير على أربعة دراهم، وأن يؤخذ من التاجر والغني اثنا عشر درهما، وإذا كانت أمة نصرانية في خدمة مسلم فإنه لا يحق لسيدها أن يجبرها على ترك دينها أو إهمال صلاتها والتخلي عن صيامها"[1].

[1]- آرثر ستانلي تريتون: أهل الذّمّة في الإسلام، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1967، ص 158.

الملحق السادس

الأقباط في صدر الإسلام

إمارة عمرو بن العاص

ولما ثبت قدم العرب بمصر شرع عمرو بن العاص في تطمين خواطر الآهلين واستمالة قلوبهم إليه واكتساب ثقتهم به وقرّب سراة القوم عقلاؤهم منه وإجابة طلباتهم وأول شيء فعله من هذا القبيل استدعاء بنيامين البطريك الذي سبق القول أنه اختفى من أمام هرقل ملك الروم وذلك أنه كان بين رؤساء الأقباط المتقربين من عمرو واحد يسمى شنوتي (شنودة) فتقدم إليه وأعلمه بخبر البطريك وما كان من أمر هروبه واختفائه وطلب منه أن يأمر بعودته فلبى طلبه وكتب أمانا وأرسله إلى جميع الجهات يدعو فيه البطريك للحضور ولا خوف عليه ولا تثريب ولما حضر وذهب لمقابلته ليشكره على هذا الصنيع أكرمه وأظهر له الولاء وأقسم له بالأمان على نفسه وعلى رعيته وعزل البطريك الذي كان أقامه هرقل ورد بنيامين إلى مركزه الأصلي معززا مكرما وهكذا عادت له المياه إلى مجاريها وبعد اختفائه مدة طويلة قاسى فيها ما قاسه من الشدائد وكان بنيامين هذا موصوفا بالعقل والمعرفة والحكمة حتى سماه بعضهم (بالحكيم) وقيل أنّ عمرا لما تحقق ذلك منه قربه إليه وصار يدعوه في بعض الأوقات ويستشيره في الأحوال المهمة المتعلقة بالبلاد وخيرها وقد حسب الأقباط هذا الالتفات منّةً عظيمة وفضلا جزيلا لعمرو وأمر عمرو بان من لا يرغب من الروم البقاء في مصر فليخرج منها بأمان ومن يفضل البقاء تضرب عليه الجزية ويكون له ما للأقباط وعليه ما عليهم وكل عدد الروم بمصر ينوف عن ثلثمائة ألف نفس فهاجر أغلبهم ولم يبق منهم إلا من كانت له علاقات ومصالح لا تسمح له بالخروج منها والابتعاد عنها وانتهز القبط خروج الروم فرصة مناسبة فوضعوا يدهم على كثير من كنائسهم وأديرتهم وملحقاتها بدعوى أنها كانت في الأصل ملكا لهم والروم نزعوها من يدهم قوة واقتدارا بسبب ما كان بينهم من الشقاق ومن ذلك الحين عاش الروم بالحسنى وانتهت من بينهم المنازعات والمخاصمات التي كانت تقضي إلى قتل الألوف المؤلفة لزوال أسبابها[1].

---

[1]- يعقوب نخلة روفيلة: تاريخ الأمة القبطية، تقديم: جودت جبرة، ط2، مطبعة متروبول، مصر، 2000، ص 54.

الملحق السابع

الفوائد التي جناها الأقباط

الأقباط يحتكرون الأعمال الإدارية

إنّ الأحداث التي ذكرناها لا تعني بأنّ الأقباط كانوا تعساء تحت حكم الولاة العرب، بل كانوا أسعد كثيرا مما كانوا عليه أيام البيزنطيين وبالرغم من جهود الخلفاء واهتمامهم بتطبيق تعاليم القرآن، فإن الأقباط لم يقتصروا على شغلهم معظم الوظائف الإدارية فحسب، بل كان لهم الأمر والنهي في بعض الأحيان وبقي نظام الضرائب والحسابات بين أيديهم مما أتاح لهم الفرصة لتحقيق مكاسب كبيرة ....

وكذلك اكتفى عمر بن عبد العزيز والمنصور والمهدي وهارون الرشيد والمأمون والمتوكل والمقتدر بالله بأن يعزلوا إسميا النصارى من الوظائف العامة ولكنهم في الواقع تركوهم في مراكزهم[1].

[1]- جاك تاجر: أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام 1922، الهيئة القبطية، جيرسي، أمريكا، 1984، ص 105.

الملحق الثامن

خطر النصارى

"على أنّ هذه الأمة لم تبتل باليهود، ولا المجوس، ولا الصابئين كما ابتليت بالنصارى وذلك أنّهم يتبعون المتناقض من أحاديثنا، والضعيف بالإسناد من روايتنا، والمتشابه من آي كتابنا، ثم يخلون بضعفائنا، ويسألون عنها عوامنا، مع ما قد يعلمون من مسائل الملحدين، والزنادقة الملاعين، وحتى مع ذلك ربما تجرؤوا إلى علمائنا، وأهل الأقدار منّا، ويشغبون على القوي، ويلبسون على الضعيف.

ومن البلاء أنّ كل إنسان من المسلمين يرى أنّه متكلم، وأنّه ليس أحد أحق بمحاجّة الملحدين من أحد.

وبعد فلولا متكلمو النصارى وأطباؤهم ومنجموهم ما صار إلى أغبيائنا وظرفائنا ومجاننا وأحداثنا شيء من كتب المنانية، والديصانية، والمرقونية، والفلانية، ولما عرفوا غير كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، ولكانت تلك الكتب مستورة عند أهلها، ومخلاة في أيدي ورثتها فكل سخنة عين رأيناها في أحداثنا وأغبيائنا فمن قبلهم كان أولها.

وأنت إذا سمعت كلامهم في العفو والصفح، وذكرهم للسياحة، وزرايتهم على كل من أكل اللحمان، ورغبتهم في أكل الحبوب وترك الحيوان، وتزهيدهم في النكاح، وتركهم لطلب الولد، ومديحهم للجاثليق والمطران والأسقف والرهبان بترك النكاح وطلب النسل، وتعظيمهم الرؤساء علمت أن بين دينهم وبين الزندقة نسبا، وأنهم يحنون إلى ذلك المذهب.

والعجب أنّ كل جاثليق لا ينكح، ولا يطلب الولد وكذلك كل مطران، وكل أسقف وكذلك كل أصحاب الصوامع من اليعقوبية، والمقيمين في الديارات والبيوت من النسطورية وكل راهب في الأرض وراهبة، مع كثرة الرهبان والرواهب، ومع تشبه أكثر القسيسين بهم في ذلك، ومع ما فيهم من كثرة الغزاة، وما يكون فيهم مما يكون في الناس، من المرأة العاقر، والرجل العقيم على أنّ من تزوج منهم امرأة لم يقدر على الاستبدال بها، ولا على أن يتزوج أخرى معها، ولا على التسري عليها وهم مع هذا قد طبقوا الأرض، وملؤوا الأفاق، وغلبوا الأمم بالعدد، وبكثرة الولد وذلك مما زاد في مصائبنا، وعظمت به محنتنا ومما زاد فيهم، وأنمى عددهم، أنّهم يأخذون من سائر الأمم، ولا يعطونهم، لأنّ كل دين جاء بعد دين، أخذ منه الكثير، وأعطاه القليل[1].

---

[1]- الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، ط1، تحقيق: محمّد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت،1991، ص 65-66-67.

والنصراني وإن كان أنظف ثوبا، وأحسن صناعة، وأقل مساخة، فإنّ باطنه ألأم وأقذر وأسمج، لأنّه أقلف، ولا يغتسل من الجنابة، ويأكل لحم الخنزير، وامرأته جنب لا تطهر من الحيض، ولا من النفاس، ويغشاها في الطمث، وهي مع ذلك غير مختونة.

وهم مع شرارة طبائعهم، وغلبة شهواتهم ليس في دينهم مزاجر كنار الأبد في الآخرة، وكالحدود والقود والقصاص في الدنيا فكيف يجانب ما يفسده ويؤثر ما يصلحه من كانت حاله كذلك وهل يصلح الدنيا من هو كما قلنا؟ وهل يهيج على الفساد إلّا من وصفنا؟!.

ولو جهدت بكل جهدك، وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم في المسيح، لما قدرت عليه، حتى تعرف به حد النصرانية، وخاصة قولهم في الإلهية.

وكيف تقدر على ذلك وأنت لو خلوت ونصراني نسطوري فسألته عن قولهم في المسيح لقال قولا، ثم إن خلوت بأخيه لأمه وأبيه وهو نسطوري مثله فسألته عن قولهم في المسيح لأتاك بخلاف أخيه وصنوه وكذلك جميع الملكانية واليعقوبية ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية، كما نعرف جميع الأديان.

على أنّهم يزعمون أنّ الدين لا يخرج في القياس، ولا يقوم على المسائل، ولا يثبت في الامتحان؛ وإنّما هو بالتسليم لما في الكتب، والتقليد للأسلاف ولعمري إنّ من كان دينه دينهم ليجب عليه أن يعتذر بمثل عذرهم.

وزعموا أنّ كل من اعتقد خلاف النصرانية من المجوس والصابئين والزنادقة فهو معذور، ما لم يتعمد الباطل ويعاند الحق فإذا صاروا إلى اليهود قضوا عليهم بالمعاندة، وأخرجوهم من طريق الغلط والشبهة"[1].

[1]- الجاحظ: المصدر السابق، ص 68-69.

الملحق التاسع

ذكر الحال في عقائد أهل الإسلام، منذ ابتداء الملة الإسلامية إلى أن انتشر مذهب الأشعرية

"فمضى عصر الصحابة ﷺ على هذا إلى أن حدث في زمنهم القول بالقدر، وأنّ الأمر أنفة، أي أنّ الله تعالى لم يقدّر على خلقه شيئا مما هم عليه وكان أوّل من قال بالقدر في الإسلام، معبد بن خالد الجهنيّ، وكان يجالس الحسن بن الحسين البصري، فتكلم في القدر بالبصرة، وهلك أهل البصرة مسلكه لما رأوا عمرو بن عبيد ينتحله، وأخذ معبد هذا الرأي عن رجل من الأساورة يقال له أبو يونس سنسويه ويعرف بالإسواريّ، فلما عظمت الفتنة به عذبه الحجاج وصلبه بأمر عبد الملك بن مروان سنة ثمانين، ولما بلغ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما مقالة معبد في القدر تبرّأ من القدرية، واقتدى بمعبد في بدعته هذه جماعة، وأخذ السلف رحمهم الله في ذمّ القدرية، وحذروا منهم كما هو معروف في كتب الحديث، وكان عطاء بن يسار قاضيا يرى القدر، وكان يأتي هو ومعبد الجهنيّ إلى الحسن البصريّ فيقولان له: إنّ هؤلاء يسفكون الدماء و يقولون: إنما تجري أعمالنا على قدر الله فقال: كذب أعداء الله فطعن عليه بهذا ومثله وحدث أيضا في زمن الصحابة ﷺ مذهب الخوارج، وصرّحوا بالتكفير بالذنب والخروج على الإمام وقتاله، فناظرهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فلم يرجعوا إلى الحق، وقاتلهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ، وقتل منهم جماعة كما هو معروف في كتب الأخبار، ودخل في دعوة الخوارج خلق كثير، ورمى جماعة من أئمة الإسلام بأنّهم يذهبون إلى مذهبهم، وعدّ منهم غير واحد من رواة الحديث كما هو معروف عند أهله، وحدث أيضا في زمن الصحابة ﷺ مذهب التشيع لعليّ بن أبي طالب ﷺ، و الغلوّ فيه، فلما بلغه ذلك أنكره وحرّق بالنار جماعة ممن غلا فيه وأنشد:

لما رأيت الأمر أمرا منكرا   أجّجت ناري ودعوت قنبرا

وقام في زمنه ﷺ عبد الله بن وهب بن سبأ، المعروف بابن السوداء السبأي، وأحدث القول بوصية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعليّ بالإمامة من بعده، فهو وصيّ رسول الله ﷺ وخليفته على أمّته من بعده بالنص، وأحدث القول برجعة عليّ بعد موته إلى الدنيا، وبرجعة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أيضا، وزعم أنّ عليا لم يقتل، وأنّه حيّ وأنّ فيه الجزء الإلهيّ، وأنه هو الذي يجيء في السحاب، وأنّ الرعد صوته والبرق سوطه وأنه لا بدّ أن ينزل إلى الأرض فيملأها عدلا كما ملئت جورا ومن ابن سبأ هذا تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة، وصاروا يقولون بالوقف، يعنون أنّ الإمامة موقوفة على أناس معينين، كقول الإمامية بأنّها في الأئمة الاثني عشر، وقول الإسماعيلية بأنّها في ولد إسماعيل بن جعفر

الصادق، وعنه أيضا أخذوا القول بغيبة الإمام، والقول برجعته بعد الموت إلى الدنيا، كما تعتقده الإمامية إلى اليوم في صاحب السرداب، وهو القول بتناسخ الأرواح، وعنه أخذوا أيضا القول بأنّ الجزء الإلهيّ يحلّ في الأئمة بعد عليّ بن أبي طالب، وأنّهم بذلك استحقوا الإمامة بطريق الوجوب، كما استحق آدم عليه السّلام سجود الملائكة، وعلى هذا الرأي كان اعتقاد دعاة الخلفاء الفاطميين ببلاد مصر، وابن سبأ هذا هو الذي أثار فتنة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ حتى قتل كما ذكر في ترجمة ابن سبأ من كتاب التاريخ الكبير المقفى وكان له عدّة أتباع في عامّة الأمصار، وأصحاب كثيرون في معظم الأقطار فكثرت لذلك الشيعة وصاروا ضدّا للخوارج، وما زال أمرهم يقوى وعددهم يكثر ثم حدث بعد عصر الصحابة ﷺ، مذهب جهم بن صفوان ببلاد المشرق، فعظمت الفتنة به فإنّه نفى أن يكون لله تعالى صفة، وأورد على أهل الإسلام شكوكا أثر في الملة الإسلامية آثارا قبيحة، تولد عنها بلاء كبير وكان قبيل المائة من سني الهجرة، فكثر أتباعه على أقواله التي تؤول إلى التعطيل، فأكبر أهل الإسلام بدعته وتمالؤا على إنكارها وتضليل أهلها وحذروا من الجهمية وعادوهم في الله وذمّوا من جلس إليهم، وكتبوا في الردّ عليهم ما هو معروف عند أهله، وفي أثناء ذلك حدث مذهب الاعتزال، منذ زمن الحسن بن الحسين البصريّ رحمه الله، بعد المائتين من سني الهجرة، وصنفوا فيه مسائل في العدل والتوحيد وإثبات أفعال العباد، وأن الله تعالى لا يخلق الشرّ وجهلوا بأن الله لا يرى في الآخرة، وأنكروا عذاب القبر على البدن، وأعلنوا بأن القرآن مخلوق محدث، إلى غير ذلك من مسائلهم، فتبعهم خلائق في بدعهم، وأكثروا من التصنيف في نصرة مذهبهم بالطرق الجدلية، فنهى أئمة الإسلام عن مذهبهم، وذمّوا علم الكلام، وهجروا من ينتحله، ولم يزل أمر المعتزلة يقوى وأتباعهم تكثر ومذهبهم ينتشر في الأرض.

ثم حدث مذهب التجسيم المضادّ لمذهب الاعتزال، فظهر مُحَمَّد بن كرّام...، زعيم الطائفة الكرّامية ...، وأثبت الصفات حتى انتهى فيها إلى التجسيم والتشبيه وحج وقدم الشام ومات بغزة...سنة ست وخمسين ومائتين، فدفن بالمقدس، وكان هناك من أصحابه زيادة على عشرين ألفا على التعبد والتقشف، سوى من كان منهم ببلاد المشرق، وهم لا يحصون لكثرتهم، وكان إماما لطائفتي الشافعية والحنفية، وكانت بين الكرّامية بالمشرق وبين المعتزلة مناظرات ومناكرات وفتن كثيرة متعدّدة أزمانها هذا وأمر الشيعة يفشو في الناس حتى حدث مذهب القرامطة، المنسوبين إلى حمدان الأشعث المعروف بقرمط...، وكان ابتداء أمر قرمط هذا في سنة أربع وستين ومائتين، وكان ظهوره بسواد الكوفة فاشتهر مذهبه بالعراق، وقام من القرامطة ببلاد الشام صاحب الخال والمدّثر والمطوّق، وقام بالبحرين منهم أبو سعيد الجنابيّ من أهل جنابة، وعظمت دولته ودولة بنيه من بعده، حتى أوقعوا بعساكر بغداد وأخافوا

خلفاء بني العباس، وفرضوا الأموال التي تحمل إليهم في كل سنة على أهل بغداد وخراسان والشام ومصر واليمن، وغزوا بغداد والشام ومصر والحجاز، وانتشرت دعاتهم بأقطار الأرض، فدخل جماعات من الناس في دعوتهم ومالوا إلى قولهم الذي سموه علم الباطن، وهو تأويل شرائع الإسلام وصرفها عن ظواهرها إلى أمور زعموها من عند أنفسهم، وتأويل آيات القرآن ودعوا هم فيها تأويلا بعيدا انتحلوا القول به بدعا ابتدعوها بأهوائهم، فضلّوا وأضلوا عالما كثيرا هذا وقد كان المأمون ...سابع خلفاء بني العباس ببغداد، لما شغف بالعلوم القديمة بعث إلى بلاد الروم من عرّب له كتب الفلاسفة وأتاه بها في أعوام بضع عشرة سنة ومائتين من سني الهجرة، فانتشرت مذاهب الفلاسفة في الناس، واشتهرت كتبهم بعامّة الأمصار، وأقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها، وأكثروا من النظر فيها والتصفح لها، فانجرّ على الإسلام وأهله من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من البلاء والمحنة في الدين، وعظم بالفلسفة ضلال أهل البدع وزادتهم كفرا إلى كفرهم فلما قامت دولة بني بويه ببغداد في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة واستمرّوا إلى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، وأظهروا مذهب التشيع، قويت بهم الشيعة وكتبوا على أبواب المساجد في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة لعن الله معاوية بن أبي سفيان، ولعن من أغضب فاطمة، ومن منع الحسن أن يدفن عند جدّه، ومن نفى أبا ذر الغفاريّ، ومن أخرج العباس من الشورى.

فلما كان الليل حكه بعض الناس، فأشار الوزير المهلبيّ أن يكتب بإذن معز الدولة، لعن الله الظالمين لأهل البيت، ولا يذكر أحد في اللعن غير معاوية، ففعل ذلك، وكثرت ببغداد الفتن بين الشيعة والسنية، وجهر الشيعة في الأذان بحيّ على خير العمل في الكرخ، وفشا مذهب الاعتزال بالعراق وخراسان وما وراء النهر، وذهب إليه جماعة من مشاهير الفقهاء، وقوى مع ذلك أمر الخلفاء الفاطميين بأفريقية وبلاد المغرب، وجهروا بمذهب الإسماعيلية وبثوا دعاتهم بأرض مصر، فاستجاب لهم خلق كثير من أهلها، ثم ملكوها سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وبعثوا بعساكرهم إلى الشام فانتشرت مذاهب الرافضة في عامّة بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والكوفة والبصرة وبغداد، وجميع العراق، وبلاد خراسان وما وراء النهر مع بلاد الحجاز واليمن والبحرين، وكانت بينهم وبين أهل السنّة من الفتن والحروب والمقاتل ما لا يمكن حصره لكثرته، واشتهرت مذاهب الفرق من القدرية والجهمية والمعتزلة والكرّامية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية، حتى ملأت الأرض، وما منهم إلّا من نظر في الفلسفة وسلك من طرقها ما وقع عليه اختياره، فلم تبق مصر من الأمصار ولا قطر من الأقطار إلّا وفيه طوائف كثيرة ممن ذكرنا"[1].

[1]- المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ج4، ص 188-191.

الملحق العاشر

كيد غير المسلمين للإسلام

"لما بعث الله تعالى سيّد الأولين والآخرين مُحَمَّدا ﷺ عظم ذلك على اليهود والنصارى والروم والفرس وقريش، وسائر العرب، لأنّه سفّه أحلامهم، (وَعَابَ) أديانهم وآلهتهم، وفرّق جمعهم، فاجتمعوا يدا واحدة عليه، فكفاه الله كيدهم، ونصره عليهم، فأسلم منهم من هداه الله تعالى، فلمّا قبض ﷺ نجم النّفاق، وارتدّت العرب، وظنّوا أن الصحابة يضعفون بعده، فجاهد أبو بكر رضي الله عنه، في سبيل الله، فقتل مسيلمة، وردّ الرّدّة، وأذلّ الكفر، ووطّأ جزيرة العرب، وغزا فارس والروم، فلما حضرته الوفاة ظنّوا أنّ بوفاته يَنتقِص الإسلام فاستخلِف عمر بن الخطاب، فأذلّ فارس والروم، وغلب على ممالكها، فدسّ عليه المنافقون أبا لؤلؤة فقتله، ظنّا منهم أنّ بقتله ينطفئ نور الإسلام فوِلّي بعده عثمان، فزاد في الفتوح، واتسعت مملكة الإسلام، فلمّا قُتل ووِلّي بعده أمير المؤمنين علي قام بالأمر أحسن قيام فلما يئس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة، وتشكيك ضعفة العقول في دينهم، بأمور قد ضبطها المحدِّثون، وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن عليه فكان أول من فعل ذلك أبو الخطاب مُحَمَّد بن أبي زينب مولى بني أسد وأبو شاكر ميمون بن ديصان صاحب كتاب "الميزان" في نصرة الزندقة، وغيرهما، فألقوا إلى من وثقوا به أنّ لكل شيء من العبادات باطنا وأنّ الله تعالى لم يوجب على أوليائه، ومن عرف الأئمة والأبواب، صلاة ولا زكاة، ولا غير ذلك، ولا حرم عليهم شيئا، وأباحوا لهم نكاح الأمهات والأخوات، وإنّما هذه قيود للعامة ساقطة عن الخاصة وكانوا يظهرون التشيع لآل النّبيّ ﷺ ليستروا أمرهم، ويستميلوا العامة، وتفرّق أصحابهم في البلاد، وأظهروا الزهد والعبادة، يغرون الناس بذلك وهم على خلافه..."[1].

[1]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997، ج6، ص 580.

الملحق الحادي عشر
من أصول مذهب التشيع وخطره على الأمّة

"إنّ أكثر الشيعة الصّادقين من المتقدّمين والمتأخّرين لم يكونوا يعرفون أنّ فكرة الرفض وبغض أبي بكر وعمر هي من مكر المجوس ولو فكّروا فيه لعرفوه وعرفوا بمعرفته كيف جرفهم تيار دسائس المجوس أصحاب الجمعيات السّرّيّة العاملة للانتقام للمجوسية من الإسلام الذي أطفأ نارها وثلّ عرش ملكها على يد أبي بكر وعمر، اللّذين كانا يفضّلان آل بيت رسول الله ﷺ على آلهما، فتلك الجمعيات المجوسيّة بثّت دسائسها في الشيعة لأجل التّفريق بين المسلمين وإزالة ذلك الاتّحاد الذي بني على أساسه مجد الإسلام من حيث لا يشعرون.

لم توجد في الدنيا جمعيّات أدقّ نظاما وأنفذ سهاما من جمعيّات الباطنيّة الّتي أسّسها عبد الله بن سبإ اليهودي ومجوس فارس لإفساد الدين الإسلامي وإزالة ملك دعاته العرب فقد راجت دسائسها في شيعة آل بيت الرسول من المسلمين الذين كانوا يرون أنّهم أحقّ بملك الإسلام، بل راج بعضها في سائر المسلمين أيضا، ولكنّ الإسلام كان أقوى في نفسه فبينما كانت تلك الدّسائس تعمل عملها في الحجاز والمغرب وغيرهما من بلاد العرب والبربر كان الإسلام ينتشر في أمّة الفرس النّبيلة، وكتب السّنّة والتفسير وفنون العربية تدوّن في مدنها بأقلام أبناء فارس ومن استوطن من العرب، وتنشر في مشارق الأرض ومغاربها تؤيّد هذا الدين القويم ولغته، وقد صار لأولئك الباطنية دولة عربية في مصر ولم يكن لهم دولة في بلاد الفرس، ولم تستطع دولتهم في مصر أن تقضي على الإسلام ولا أن تعيد المجوسيّة وتجعل لها ملكا لأنّها لما كان لها ظاهر هو الإسلام على مذهب الشّيعة الّذي كان مذهبا سياسيا فصار مذهبا دينيا، ولها باطن سرّيّ لا يعرفه إلّا رؤساء الدعاة – ولما كان المنتحلون لها من العرب والبربر جاهلين بأصلها وبما وضعت له – غلبت الصّبغة الدينية فيها على الصّبغة السياسية، وكان عاقبة دعوتها أن مرق بعض الشيعة من الإسلام في الباطن، واتخذوا التعاليم الباطنيّة دينا يدينون به فيقولون بألوهيّة بعض آل البيت ويعبدونهم بضروب من العبادات، ويتأوّلون آيات القرآن تأوّلا يحتجّون به على تلك التّعاليم، وهم لا يدرون أنّ الغرض الأول من القول بعصمة بعض آل البيت ثمّ القول بألوهيّة بعضهم هو إبطال دين جدّهم وإزالة ملكه من آله وسائر قومه، ومن الغريب أنّ الباطنيّة تجدّد لها دين جديد في هذا العصر مبني على القول بألوهيّة رجل من غير آل البيت وهو البهاء الإيراني والد "عباس عبد البهاء" وبقي سائر الشّيعة مسلمين يؤمنون بالله وبأنّ محمّدا خاتم رسل الله، ويصلّون ويصومون ويؤدون زكاة أموالهم ويحجّون

البيت من استطاع منهم إليه سبيلا، وَمِنْهُمْ مَنْ لا يزال يغلو في آل البيت غلوّا يختلف حكم الشرع فيه، ويطعن في أبي بكر وعمر وجمهور الصحابة ظنّا منه أنّه ينتصر بذلك لآل البيت، غافلا عن كون أئمّة آل البيت علي وأولاده كانوا أولياء وأنصارا لأبي بكر وعمر، فإن صحّ أنّ هذا كان تقيّة منهم لأجل مصلحة الإسلام فلماذا لا يكفّون هم عن الشّقاق والتّفريق بين المسلمين بالطّعن فيهما لأجل مصلحة الإسلام؟.

أضعفوا الإسلام بهذا التّفرّق الذي نهى عنه القرآن، وجعل الرسول ﷺ بريئا من أهله، وكلّ شيعة وفرقة تظنّ أنّها بهذا التّفرّق والخلاف تنصر الإسلام وتؤيّده، فكانت عاقبة أمر المسلمين أن ضعف ملكهم على اختلاف مذاهبهم، وكادت الإفرنج تستعبد الدول والإمارات الإسلامية كلها، ومنها ما يعدّ سنّيّا وما يسمّى شيعيّا إماميّا وما يدعى شيعيّا زيديّا، ونحمد الله أن عرف جمهورهم بهذا الخطر حقّيّة ما بيّنّاه مرارا، وهو أنّ ذلك التفرّق كان من فساد السياسة، وستجمعهم السياسة كما فرّقتهم السياسة، إلّا من ارتدّوا بالعصبية القومية الجاهلية"[1].

[1]- رشيد رضا: تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990، ج8، ص 198-199.

قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا- المصادر:

1_ الإدريسي مُحَّد بن مُحَّد الشريف الإدريسي (ت560هـ/1165م):

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1989.

2_ ابن الأثير علي بن مُحَّد بن عبد الكريم الجزري (ت630هـ/1232م):

الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997.

وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: عبد الله القاضي، ط2، (د ت).

3_ الإسفراييني أبو المظفر طاهر بن مُحَّد (ت471هـ/1079م):

التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من فرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط1، عالم الكتب، لبنان، 1983.

4_ الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل البصري البغدادي (324هـ/936م):

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تصحيح: هلموت ريتر، ط3، دار فرانز شتايز، ألمانيا، 1980.

5_ الأصبهاني المديني أبو موسى مُحَّد بن عمر (ت581هـ/1185م):

المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، ط1، دار المدني، جدة، 1988.

6_ الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن مُحَّد الفارسي (ت346هـ/957م):

المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 2004.

7_ ابن أبي أصيبعة أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي(ت668هـ/1270م):

عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د ت).

8_ البخاري أبو عبد الله مُحَّد بن إسماعيل (ت256هـ/870م):

التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، الهند، (د ت).

9_ البخاري أبو عبد الله مُحَّد بن إسماعيل (ت256هـ/870م):

صحيح البخاري، تحقيق: الناصر مُحَّد، ط1، دار طوق النجاة، بيروت، 2001.

10ــ ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف البكري القرطبي البلنسي (ت449هـ/ 1058م):

شرح صحيح البخاري، علق عليه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، 2003.

11ــ ابن بطة العكبري أبو عبد الله عبيد الله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد (ت387هـ/997م):

الإبانة الكبرى، تحقيق: رضا معطي وآخرين، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، (د ت).

12ــ البغدادي عبد القاهر بن طاهر بن مُحَمَّد التميمي الاسفراييني (429هـ/1038م):

الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1977.

13ــ البغوي أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود الشافعي (ت516هـ/1122م):

شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومُحَمَّد الشاويش، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1983.

14ــ البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت487هـ/1094م):

المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

15ــ أبو بكر بن العربي الاشبيلي المالكي (ت543هـ/1149م):

أحكام القرآن، علّق عليه: مُحَمَّد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

16ــ البلاذري أبو العباس أحمد بن يحيى (ت279هـ/892م):

فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988.

17ــ البلاذري أبو العباس أحمد بن يحيى (ت279هـ/892م):

أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط1، دار الفكر، بيروت، 1996.

18ــ البهُوتى منصور بن يونس بن صلاح الدين الحنبلى (ت1051هـ/1641م):

كشاف القناع عن متن الإقناع، عالم الكتب، بيروت، 1983.

19ــ البيروني أبو الريحان مُحَمَّد بن أحمد الخوارزمي (ت439هـ/1048م):

الآثار الباقية من القرون الخالية، إعداد: الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008.

20ــ البيروني أبو الريحان مُحَمَّد بن أحمد الخوارزمي (ت439هـ/1048م):

تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1983.

21_ البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين الخراساني (ت 458هـ/1066م):

السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

22_ البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين الخراساني (ت 458هـ/1066م):

مناقب الشافعي، تحقيق: السيد محمد صقر، ط1، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1970.

23_ الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن الضحاك (ت279هـ/892م):

السنن، تحقيق: أحمد شاكر وآخران، ط2، شركة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1975.

24_ ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف الحنفي (ت874هـ/1470م):

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر، (د ت).

25_ التطيلي بنيامين (ت569هـ/1173م):

رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة: عزرا حداد، دراسة وتقديم: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002.

26_ التنوخي أبو المحاسن المفضل بن محمد المعري (ت442هـ/1051م):

تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ط2، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، 1992.

27_ التهانوي محمد بن علي ابن القاضي الفاروقي الحنفي (ت بعد 1158هـ/1745م):

موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، ترجمة: عبد الله الخالدي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996.

28_ ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي الدمشقي (ت728هـ/ 1328م):

بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تحقيق: الدويش موسى، ط3، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1995.

29_ ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي الدمشقي (ت728هـ/ 1328م):

مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1995.

30_ ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحنبلي الحراني الدمشقي (ت728هـ/1328م):

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن وآخرين، ط2، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، 1999.

31_ ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحنبلي الحراني الدمشقي (ت728هـ/1328م):

الرد على المنطقيين، تحقيق: عبد الصمد الكتبي، ط1، مؤسسة الريان، بيروت، 2005.

32_ ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحنبلي الحراني الدمشقي (ت728هـ/1328م):

الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق، تحقيق: العمران علي بن مُحَمَّد، ط1، دار عالم الفوائد، مكة، 2008.

33_ الثعلبي أبو مُحَمَّد عبد الوهاب البغدادي المالكي (ت422هـ/1031م):

المعونة على مذهب عالم المدينة، تحقيق: حميش عبد الحقّ، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، (د ت).

34_ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني (ت255هـ/869م):

البخلاء، ط2، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1998.

35_ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني (ت255هـ/869م):

البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2002.

36_ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني (ت255هـ/869م):

الحيوان، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

37_ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني (ت255هـ/869م):

رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964.

38_ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي (ت255هـ/869م):

المختار في الرد على النصارى، ط1، تحقيق: مُحَمَّد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت،1991.

39_ ابن جماعة بدر الدين (ت733هـ/1333م):

تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، ط1، لرئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، 1985.

40_ ابن جلجل أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت383هـ/994م):

طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985.

41_ ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ/1201م):

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.

42_ ابن الجوزي جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ/1201م):

تلبيس إبليس، دار الجيل، بيروت، (د ت).

43_ ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ/1201م):

غريب الحديث، تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985.

44_ الجهشياري أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبدوس (ت331هـ/943م):

الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأبناؤه، القاهرة، 1938.

45_ ابن حزم أبو مُحَمَّد علي بن أحمد القرطبي الظاهري (ت456هـ/1064م):

الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: مُحَمَّد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، (د ت).

مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ت).

46_ ابن حزم أبو مُحَمَّد علي بن أحمد القرطبي الظاهري (ت456هـ/1064م):

المحلى بالآثار، دار الفكر، بيروت، (د ت).

47_ الحصني تقي الدين أبو بكر بن مُحَمَّد بن عبد المؤمن الحسيني الشافعي (ت829هـ/1426م):

كفاية الأخيار في حل غاية الإختصار، تحقيق: علي عبد الحميد بلطجي ومُحَمَّد وهبي سليمان، ط1، دار الخير، دمشق، 1994.

48_ ابن حنبل أحمد أبو عبد الله بن مُحَمَّد الشيباني (ت241هـ/856م):

الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القران وتأولوه على غير تأويله، تحقيق: ابن سلامة صبري، ط1، دار الثبات للنشر والتوزيع، الرياض، 2003.

49_ ابن حنبل أحمد أبو عبد الله بن هلال بن أسد الشيباني (ت241هـ/856م):

مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001.

50_ ابن حوقل أبو القاسم النصيبي (ت367هـ/977م):

صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992.

51_ ابن خرداذبه أبو القاسم عبيد الله بن أحمد البغدادي (ت نحو 280هـ/893م):

المسالك والممالك، دار صادر، ليدن، بيروت، 1889.

52_ الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي (ت463هـ/1071م):

تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002.

53_ الخلال أبو بكر أحمد بن مُحَمَّد (ت311هـ/924م):

أحكام أهل الملل من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994.

54_ ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن مُحَمَّد (ت808هـ/1406م):

تاريخ ابن خلدون، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1992.

55_ ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن مُحَمَّد (ت808هـ/1406م):

المقدمة ، اعتنى به: هيثم جمعة هلال، ط1، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 2007.

56_ ابن خلكان أبو العباس أحمد بن شمس الدين (ت681هـ/1282م):

وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994.

57_ الخوارزمي أبو عبد الله مُحَمَّد بن موسى (ت بعد 232هـ/847م):

الجبر والمقابلة، تقديم وتعليق: مشرفة علي وأحمد مُحَمَّد موسى، مطبعة بول باربيه، مصر، 1937.

58_ الخوارزمي أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد البلخي (ت387هـ/997م):

مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت).

59_ الدارمي أبو مُحَمَّد عبد الله بن عبد الرحمن التميمي السمرقندي (ت255هـ/869م):

سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم الداراني، ط1، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 2000.

60_ أبو داود سليمان بن الأشعث الازدي السجستاني (ت275هـ/889م):

السنن، تحقيق: مُحَمَّد عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د ت).

61_ ابن دحية أبو الخطاب عمر بن الحسن الكلبي (ت633هـ/1236م):

النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تحقيق: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية 2001.

62_ الذهبي شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت748هـ/1347م):

العبر في خبر من غبر، تحقيق: مُحَمَّد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت).

63_ الذهبي شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت748هـ/1347م):

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993.

64_ الذهبي شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت748هـ/1347م):

زغل العلم، تحقيق: العجمي مُحَمَّد بن ناصر، مكتبة الصحوة الإسلامية، الكويت، (د ت).

65_ الذهبي شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت748هـ/1347م):

سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، 2006.

وطبعة مؤسسة الرسالة، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، بيروت، 1985.

66_ الرازي فخر الدين أبو عبد الله مُحَّد بن عمر التيمي (ت606هـ/1210م):

اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق:علي سامي النشار،دار الكتب العلمية،بيروت،(د ت).

67_ الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن مُحَّد (ت502هـ/1109م):

المفردات في غريب القران، تحقيق: صفوان الداودي، ط1، دار القلم والدار الشامية، دمشق بيروت، 1991.

68_ ابن الرومي أبو الحسن علي بن العباس البغدادي (ت283هـ/896م):

ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسج، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000.

69_ ابن زنجويه أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة الخرساني (ت251هـ/865م):

الأموال تحقيق: شاكر فياض، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1986.

70_ السرخسي مُحَّد بن أحمد (ت490هـ/1097م):

شرح السير الكبير، تحقيق: مُحَّد إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت).

71_ ابن سعد أبو عبد الله مُحَّد بن سعد بن منيع البصري البغدادي (ت230هـ/845م) :

الطبقات الكبرى، تحقيق: مُحَّد عبد القادر عطا، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.

72_ السعدي جلال الدين أبو مُحَّد عبد الله المالكي(ت616هـ/1219م):

عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، تحقيق: حميد بن مُحَّد لحمر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.

73_ السفاريني شمس الدين أبو العون مُحَّد بن أحمد الحنبلي (ت 1188هـ/1774م):

لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، ط2، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، 1982.

74_ السكوني أبو علي عمر بن مُحَّد (ت717هـ/1317م):

عيون المناظرات، تحقيق: سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1976.

75_ ابن سلام أبو عبد الله مُحَمَّد الجمحي (ت232ﻫ/847م):

طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني، جدة، (د ت).

76_ ابن سينا أبو علي شرف الملك الحسين بن عبد الله (ت428ﻫ/1037م):

القانون في الطب، وضع حواشيه: مُحَمَّد أمين الضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999.

77_ السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (ت911ﻫ/1505م):

تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، 2004.

78_ السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (ت911ﻫ/1505م):

تدريب الراوي في شرح تقريب الناواوي، تحقيق: مُحَمَّد الفاريابي، دار طيبة، (د ت).

79_ السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (ت911ﻫ/1505م):

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ط1، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1967.

80_ السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (ت911ﻫ/1505م):

صون المنطق، تحقيق: النشار علي سامي وسعاد علي عبد الرزاق، مجمع البحوث الإسلامية، مصر، (د ت).

80_ الشافعي أبو عبد الله مُحَمَّد بن إدريس (ت204ﻫ/820م):

الأم، دار المعرفة، بيروت، 1990.

81_ الشهرستاني أبو الفتح مُحَمَّد بن عبد الكريم (ت548ﻫ/1153م):

الملل والنحل، تحقيق: مُحَمَّد بن فريد، دار التوفيقية للطباعة، مصر، 2003.

82_ صاعد الأندلسي أبو القاسم بن أحمد (ت462ﻫ/1070م):

طبقات الأمم، تعليق: لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912.

83_ الصفدي صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن أيبك الدمشقي الشافعي (ت764ﻫ/1363م):

الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000.

84_ الصفدي صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن أيبك الدمشقي الشافعي (ت764ﻫ/1363م):

شرح لامية العجم، ط1، المطبعة الأزهرية، مصر، 1889.

85_ الصنعاني محمد بن اسماعيل (ت1182هـ/1768م):

سبل السلام شرح بلوغ المرام، تعليق: الألباني، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، 2006.

89_ الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الشامي (ت360هـ/971م):

المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1994.

90_ الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م):

تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط2، 1967.

91_ الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م):

جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000.

92_ الطحاوي أبو جعفر احمد بن محمد (ت321هـ/933م):

مختصر اختلاف العلماء، تحقيق: عبد الله نذير أحمد، ط2، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1996.

93_ عبد الحق الإسلامي المغربي أبو محمد السبتي (ت ق8هـ/14م):

الحسام الممدود في الرد على اليهود، تحقيق: عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.

94_ ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله المصري (ت257هـ/871م):

فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1994.

95_ ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله المصري (ت257هـ/871م):

سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تحقيق: أحمد عبيد، ط6، عالم الكتب، بيروت، 1984.

96_ ابن عبد ربه أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي (ت328هـ/940م):

العقد الفريد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984.

97_ ابن العبري أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون الملطي (ت685هـ/1286م):

تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط2، دار الشرق، بيروت، 1992.

98_ ابن أبي العز الحنفي صدر الدين بن علاء الدين الدمشقي (ت792هـ/1390م):

شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد الله التركي، ط10، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997.

99_ ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن (ت571هـ/1176م):

تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995.

100_ العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر (ت852هـ/1448م):

فتح الباري شرح صحيح البخاري، إخراج وتصحيح: الخطيب محب الدين، دار المعرفة، بيروت، 1959.

101_ العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر (ت852هـ/1448م):

لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند، ط2، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971.

102_ العقيلي أبو جعفر مُحَّد بن عمرو المكي (ت322هـ/934م):

الضعفاء الكبير، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984.

103_ ابن عماد أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد العَكري الحنبلي (ت1089هـ/1678م):

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: مُحَّد الارناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1986.

104_ العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي (ت749هـ/1348م):

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط1، 2002.

105_ الغزالي أبو حامد مُحَّد بن مُحَّد الطوسي (ت505هـ/1112م):

فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار الكتب الثقافية الكويت، (د ت).

106_ الفريابي أبو بكر جعفر بن مُحَّد (ت301هـ/914م):

كتاب القدر، تحقيق: المنصور عبد الله بن حمد، ط1، أضواء السلف، الرياض، 1997.

107_ القاسم بن سلاّم أبو عُبيد بن عبد الله الهروي البغدادي (ت224هـ/839م) :

الأموال، تحقيق: خليل مُحَّد هراس، دار الفكر، بيروت، (د ت).

108_ ابن قتيبة أبو مُحَّد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت276هـ/890م):

المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992.

109_ ابن قتيبة أبو مُحَّد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت276هـ/890م):

عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

110_ ابن قدامة أبو مُحَّد عبد الله بن أحمد المقدسي (ت620هـ/1223م):

المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ط1، دار الفكر، بيروت، 1985.

111_ القرافي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي (ت684هـ/1285م):

الفروق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.

112_ القرشي يحيى بن آدم (ت203 هـ/819م):

الخراج، تحقيق: حسين مؤنس، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1987.

113_ القرطبي أبو العباس أحمد بن عمر(ت656هـ/1258م):

المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق وتعليق: محي الدين مستو وآخرين، ط1، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، 1996.

114_ القرطبي شمس الدين أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد الأنصاري الخزرجي (ت671هـ/1273م):

الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة 1964.

115_ القرطبي شمس الدين أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد الأنصاري الخزرجي(ت671هـ/1273م):

الجامع لإحكام القران، تحقيق: احمد البردوني وإبراهيم اطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة 1964.

116_ القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت646هـ/1248م):

إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.

117_ القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري (ت821هـ/1418م) :

صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت).

118_ ابن قيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر (ت751هـ/1350م) :
أحكام أهل الذمة، حققه وعلق: عليه يوسف بن أحمد البكري وشاكر العاروري، ط1، رمادي للنشر، المملكة العربية السعودية، 1997.
119_ ابن قيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر (ت751هـ/1350م):
زاد المعاد في هدي خير العباد، ط27، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994.
120_ ابن قيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر (ت751هـ/1350م):
هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق: مُحَمَّد أحمد الحاج، ط1، دار القلم، جدة، 1996.
122_ ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي (ت774هـ/1373م):
تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مُحَمَّد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن مُحَمَّد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1999.
123_ ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي (ت774هـ/1372م):
البداية والنهاية، تحقيق عبد الله التركي، ط1، دار هجر، بيروت، 1997.
124_ الكيا الهراسي الشافعي عماد الدين أبو الحسن علي بن مُحَمَّد الطبري (ت504هـ/1111م):
أحكام القرآن، تحقيق: موسى مُحَمَّد علي وعزة عبد عطية، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985.
125_ الكاساني أبو بكر علاء الدين بن مسعود الحنفي (ت587هـ/1191م):
بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986.
126_ اللالكائي أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري الرازي (ت418هـ/1027م):
شرح أصول أهل السنة والجماعة، تحقيق: الغامدي أحمد بن سعد، ط8، دار طيبة، المملكة العربية السعودية، 2003.
127_ الماوردي أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حبيب البصري البغدادي (ت450هـ/1058م):

الأحكام السلطانية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، ط1، مكتبة ابن قتيبة، الكويت، 1989.

128_ ابن ماجة أبو عبد الله مُحَمَّد بن يزيد القزويني (ت273هـ/887م):

السنن، تحقيق: مُحَمَّد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، (د ت).

129_ مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت179هـ/795م):

الموطأ، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985.

130_ مسلم أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ/875م):

صحيح مسلم، تحقيق: مُحَمَّد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت).

131_ المحلي جلال الدين مُحَمَّد بن أحمد (ت864هـ/1460م) والسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1505م):

تفسير الجلالين، ط1، دار الحديث، القاهرة، (د ت).

132_ المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين (ت346هـ/957م):

التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، (د ت).

133_ المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين (ت346هـ/957م):

مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: داغر أسعد، دار الهجرة، إيران، 1989.

134_ المغيلي عبد الكريم التلمساني (ت909هـ/1504م):

مصباح الأرواح في أصول الفلاح، دراسة وتحقيق: عبد المجيد الخيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.

135_ المقدسي المطهر بن طاهر (ق4هـ/10م):

البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د ت).

136_ المقريزي أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي الحسيني العبيدي (ت845هـ/1441م):

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

137_ المقريزي أبو العباس تقي الدين احمد بن علي (ت845هـ/1441م):

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.

138_ ابن المنذر أبو بكر مُحَّد بن إبراهيم النيسابوري (ت319هـ/931م):

الإجماع، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، ط1، دار المسلم للنشر والتوزيع، 2004.

139_ ابن النديم أبو الفرج مُحَّد بن إسحاق البغدادي (ت بعد400هـ/1009م):

الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1997.

140_ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت430هـ/1039م):

معرفة الصحابة، تحقيق: عادل العزازي، ط1، دار الوطن للنشر، الرياض، 1998.

141_ الهروي أبو إسماعيل عبد الله بن مُحَّد الأنصاري (ت481هـ/1088م):

ذم الكلام وأهله، تحقيق: الشبل عبد الرحمن، ط1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1998.

142_ ابن هشام أبو مُحَّد جمال الدين عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري (ت213هـ/828م):

السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخران، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1955.

143_ ابن الوردي زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر المعري الكندي (ت749هـ/1348م):

تاريخ ابن الوردي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.

144_ ابن الوزير أبو عبد الله مُحَّد بن إبراهيم عز الدين (ت840هـ/1437م):

إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

145_ ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت626هـ/1229م):

معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977.

وط2، دار صادر، بيروت، 1995.

146_ ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت626هـ/1229م):

معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.

147_ اليعقوبي أبو يعقوب أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت بعد 292هـ/905م):

البلدان، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.

148_ أبو يعلى الفراء مُحَّد بن الحسين (ت458هـ/1066م) :

الأحكام السلطانية، تصحيح وتعليق: مُحَّد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000.

149_ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت182هـ/798م):

كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت، 1979.

ثانيا- المراجع:

1_ إبراهيم خليل أحمد:

مُحَّد في التوراة والإنجيل والقرآن، دار المنار، مصر، 1989.

2_ أحمد عبد الباقي:

من أعلام القرن الثالث الهجري: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1990.

3_ أحمد عبد الرزاق:

الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1991.

4_ أحمد عبد الرزاق:

العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2012.

5_ أحمد عبد الرزاق:

الفنون الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، ط2، دار الحريري، القاهرة، 2006.

6_ الأحمدي عبد العزيز بن مبروك:

اختلاف الدارين وآثاره في أحكام الشريعة الإسلامية، ط1، بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 2004.

7_ أحمد عيسى:

تاريخ النبات عند العرب، مؤسسة هنداوي للثقافة والعلوم، القاهرة، 2013.

8_ أحمد عيسى:

تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، 1981.

9_ آدم متز:

الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1999.

10_ آرثر ستانلي تريتون:

أهل الذمة في الإسلام ، ترجمة وتعليق حسن حبشي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1967.

11_ آرثر كريستنسن:

إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، (د ت).

12_ إقبال مُحَمَّد:

تجديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة: عباس محمود، ط2، دار الهداية، مصر، 2000.

13_ آل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن:

مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، جمع: سليمان بن سحمان، تصحيح وتعليق: رشيد رضا، ط1، مطبعة المنار، مصر، 1926.

14_ أمين أحمد:

ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي، مصر، (د ت).

15_ أمين أحمد:

ظهر الإسلام،كلمات عربية للترجمة و النشر، القاهرة، (د ت).

16_ ألدو ميلي:

العلم عند العرب و أثره في تطور العلم العالمي، ترجمة، النجار عبد الحليم ومُحَمَّد يوسف موسى، ط1، دار القلم، مصر، 1962.

17_أيوب حسن:

الحديث في علوم القرآن والحديث، ط2، دار السلام، الإسكندرية، 2004.

18_ بدوي عبد الرحمن:

التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1940.

19_ بدوي عبد الرحمن:

الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1954.

20_ بدوي عبد الرحمن:

الفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987.

21_ بدوي عبد الرحمن:

دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981.

22_ برو توفيق:

تاريخ العرب القديم، ط2، دار الفكر، بيروت، 2001.

23_ بروكلمان كارل:

تاريخ الأدب العربي، ترجمة: السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، ط3، دار المعارف، القاهرة، (د ت).

24_ التليسي بشير رمضان والذويب جمال هاشم:

تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط1، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2000.

25_ التميمي حيدر قاسم:

بيت الحكمة العباسي ودوره في ظهور مراكز الحكمة في العالم الإسلامي ط1، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، 2011.

26_ توماس أرنولد:

الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرين، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1971.

27_ التويجري مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الله:

مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، 2010.

28_ دونالد هيل:

العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، ترجمة: أحمد فؤاد باشا، سلسلة عالم المعرفة، مطابع السياسة، الكويت، 2004.

29_ دي طرازي فيليب:

خزائن الكتب العربية في الخافقين، دار الكتب، لبنان، (د ت).

30_ دي لاسي أوليري:

علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة: وهيب كامل، مراجعة: زكي علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962.

31_ الديوه جي سعيد:

بيت الحكمة، ط2، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، 1972.

32_ ديورانت ول:

قصة الحضارة، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت، 1988.

33_دي بور:

تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة مُحَمَّد عبد الهادي أبو ريدة، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، (د ت).

34_ الرباصي مفتاح يونس:

المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول، ط1، منشورات جامعة 07 أكتوبر، ليبيا، 2010.

35_ الزركلي خير الدين:

الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002.

36_ الجابري مُحَمَّد عابد:

نحن والتراث، ط6، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1993.

37_ جاك تاجر:

أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام 1922، الهيئة القبطية، جيرسي، أمريكا، 1984.

38_ جان موريس فييه:

أحوال النصاري في خلافة بني العباس، ترجمة: حسني زينه، ط1، دار المشرق، بيروت، 1990.

39_ ابن جبريل حياة بن مُحَمَّد:

الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 2002.

40_ الجبوري يحيى وهيب:

الكتاب في الحضارة الإسلامية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

41_ الجزائري أبو بكر جابر:

أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط5، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2003.

42_ الجلعود محماس بن عبد الله:

الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، ط1، دار اليقين، مصر، 1987.

43_ جورج خضر وآخرين: المسيحيون العرب دراسات ومناقشات، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1971.

44_ الجندي أنور:

الإسلام والدعوات الهدامة، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972.

45_ الجندي أنور:

المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية، ط2، دار الاعتصام، مصر،1977.

46_ جواد علي:

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، دار الساقي، بيروت، 2001.

47_ جوناثان ليونز:

بيت الحكمة كيف أسس العرب لحضارة الغرب، ترجمة: مركز البابطين للترجمة، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، (د ت).

48_ أبو الحسن الندوي:

السيرة النبوية، ط8، دار الشروق، جدة، 1989.

49_ الحسني عبد الحي:

الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1999.

50_ الحسني عبد الرزاق:

الصابئة قديما وحديثا، ط1، مطبعة الخانجي، مصر، 1931.
51_ حميد الله مُحَّد:
مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط6، دار النفائس، بيروت، 1987.
52_ الخازن وليم:
الحضارة العباسية، المكتبة الشرقية، بيروت، 1984.
53_ خالد كبير علال:
نقض الخرافات القائلة بتأثر القرآن الكريم بالكتاب المقدس والافستا الزرادشتي، دار المحتسب، الجزائر، (د ت).
54_ خالد كبير علال:
مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية خلال العصر الإسلامي ق2-13ھ، ط1، دار المحتسب، الجزائر، 2008.
55_ الخربوطلي علي حسن:
الإسلام وأهل الذمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1969.
56_ الخربوطلي علي حسن:
الحضارة العربية الإسلامية، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994.
57_ خضر أحمد عطا الله:
بيت الحكمة في عصر العباسيين، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ت).
58_ الخلف سعود بن عبد العزيز:
دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ط4، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 2004.
59_ خليفة حاجي:
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، 1941.
60_ خليل عبد الرحمن:
أقِستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، ط2، روافد للثقافة والفنون، دمشق، 2008.
61_ الخليل نمر مُحَّد:

أهل الذمة والولايات العامة في الفقه الإسلامي، المكتبة الإسلامية، عمان، (د ت).
62_ خياطة ناهد:
الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دار الاوائل، (د ت).
63_ الدوري عبد العزيز:
تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995.
64_ ربحي مصطفى عليان:
المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1999.
65_ روفيلة يعقوب نخلة:
تاريخ الأمة القبطية، تقديم: جودت جبرة ، ط 2،مطبعة متروبول، مصر، 2000.
66_ أبو ريان مُحَمَّد:
تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000.
67_ الزحيلي وهبة:
التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2 دار الفكر المعاصر، دمشق، 1996.
68_ أبو زهرة مُحَمَّد:
محاضرات في النصرانية، الرئاسة العامة للدراسات والبحوث، الرياض، 1981.
69_ زيدان جرجي:
تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، (د ت).
70_ سابق سيد:
فقه السنة، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1977.
71_ سالم كمال بن السيد:
صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، مع تعليقات فقهية معاصرة: فضيلة الشيخ ناصر الدين الألباني فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز فضيلة الشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2003.

72_ السامرائي عبد الله سلوم:

الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980.

73_ السامرائي كمال:

مختصر تاريخ الطب العربي، دار النضال، لبنان، (د ت).

74_ سبانو احمد غسان:

هرمس الحكيم بين الالوهية والنبوة، ط4، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2010.

75_ السرجاني راغب:

العلم وبناء الأمم، ط1، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 2007.

76_ سزكين فؤاد:

تاريخ التراث العربي، ترجمة: محمود فهمي حجازي وعبد الله حجازي، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1991.

77_ السعدي عبد الرحمن:

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000.

78_ سعيد خير الله:

موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2011.

79_ السقار منقذ بن محمود:

الله ﷻ واحد أم ثلاثة، ط1، دار الإسلام للنشر والتوزيع، مصر، 2007.

80_ السقار منقذ بن محمود:

هل افتدانا المسيح على الصليب، ط1، دار الإسلام للنشر والتوزيع، مصر، 2007.

81_ سميح دغيم:

أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995.

82_ شحاتة مُحَمَّد صقر:

الرد على اللمع، دار الخلفاء الراشدين، الإسكندرية، (د ت).

83_ الشريف عامر مُحَمَّد الهادي:

أحوال غير المسلمين في بلاد الشام حتى نهاية العصر الأموي، دار اليازري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2007.

84_ الشكعة مصطفى:

إسلام بلا مذاهب، ط11، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1996.

85_ الشكعة مصطفى:

مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين، بيروت، (د ت).

86_ شوقي ضيف:

تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ط8، دار المعارف، القاهرة، (د ت).

87_ صابر طعيمة:

التاريخ اليهودي العام، ط3، دار الجيل، بيروت، 1991.

88_ الصلابي علي مُحَمَّد:

الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ط2، دار المعرفة، بيروت، 2008.

89_ الصلابي علي مُحَمَّد:

معاوية بن أبي سفيان شخصيته وعصره، ط1، دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، 2008.

90_ الصولة الدمشقي سليمان بن إبراهيم:

منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب، تحقيق:سيد كسروي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

91_ الصولة الدمشقي سليمان بن إبراهيم:

المذمة في استعمال أهل الذمة، تحقيق: سيد كسروي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

92_ الصولة الدمشقي سليمان بن إبراهيم:

حصن الوجود الواقي من خبث اليهود، تحقيق: سيد كسروي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

93_ ضميرية عثمان جمعة:

أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام مُحَمَّد بن الحسن الشيباني دراسة فقهية مقارنة، ط1، دار المعالي، الأردن، 1999.

94_ ضميرية عثمان جمعة:

مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ط2، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، 1996.

95_ الطريقي عبد الله:

التعامل مع غير المسلمين أصول معاملتهم واستعمالهم دراسة فقهية، ط1، دار الفضيلة، الرياض، 2007.

96_ الطهراني آغا بزرگ:

الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط2، دار الأضواء، بيروت، (د ت).

97_ طوقان قدري حافظ:

تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ط2، لجنة التأليف والترجمة والنشر لجامعة الدول العربية، القاهرة، 1954.

98_ ابن عاشور الطاهر:

تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

99_ عامرى سامى:

مُحَمَّد ﷺ في الكتب المقدسة، ط1، مركز التنوير الإسلامي، بالقاهرة، 2006.

100_ عبد الحليم محمود:

التفكير الفلسفي في الإسلام، ط2، دار المعارف، القاهرة، (د ت).

101_ عبد الحليم محمود:

موقف الإسلام من الفن العلم والفلسفة، ط2، دار الرشاد، القاهرة، 2003.

102_ عبد الراضي بن مُحَمَّد عبد المحسن:

الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، 2000.

103_ عبد الشافى مُحَمَّد عبد اللطيف:

السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ط1، دار السلام، القاهرة، 2007.

104_ عبد المنعم أحمد بركة:

الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، ط1، 1990.

105_ عبد الفتاح الزيات:

المسيحية، ط3، مركز الراية للنشر والإعلام، مصر، 2001.

106_ عبد الكريم زيدان:

أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982.

107_ عرفان عبد الحميد فتاح:

النصرانية نشأتها التاريخية وأصولها وعقائدها، ط1، دار عمار للنشر، عمان، 2000.

108_ عرفان يلماز:

مكتشف الكنز المفقود فؤاد سَزْكِين، ط1، دار النيل، القاهرة، 2015.

109_ العروي عبد الله:

العرب والفكر التاريخي، ط5، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2006.

110_ عزيز سوريال عطية:

تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة: إسحاق عبيد، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.

111_ العسيري مريزن سعيد مريزن:

تعليم الطب في المشرق الإسلامي نظمه ومناهجه حتى نهاية القرن السابع الهجري، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، السعودية، 1991.

112_ عطية فياض:

فقه المعاملات المالية مع أهل الذمة دراسة فقهية مقارنة، ط1، دار النشر للجامعات، مصر، 1999.

113_ العقاد عباس محمود:

إبراهيم أبو الأنبياء، المكتبة العصرية، بيروت، (د ت).

114_ عصام الدين مُحَمَّد علي:

بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة -من أواخر القرن الأول وحتى منتصف القرن الرابع الهجري-، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1986.

115_ علي أكبر فياض:

تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، ترجمة: عبد الوهاب علوب، ط1، جامعة القاهرة، القاهرة، 1993.

116_ علي منصور:

الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1971.

117_عماد الدين خليل:

مدخل الى التاريخ الإسلامي، ط1، المركز الثقافي العربي والدار العربية للعلوم، المغرب بيروت، 2005.

118_ عمر أحمد مختار:

البحث اللغوي عند العرب، ط8، عالم الكتب، القاهرة، 2003.

119_ العمري أكرم ضياء:

عصر الخلافة الراشدة، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2009.

120_ العمري أكرم ضياء:

السيرة النبوية الصحيحة، ط6، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1994.

121_ عواجي غالب بن علي:

فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، ط4، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، 2001.

122_ عوض مُحَمَّد مؤنس:

في رحاب الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط1، دار العلم العربي، القاهرة، 2011.

123_غنيمة يوسف رزق الله:

نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ط1، مطبعة الفرات، بغداد، 1924.

124_ غوستاف لوبون:

حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، (د ت).

125_ فاطمة مصطفى عامر:

تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، الهيئة العامة للكتاب، مصر، (د ت).

126_ فان فولتن:

السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات في ظل خلافة بني أمية، ترجمة: إبراهيم بيضون، دار النهضة العربية، بيروت، 1996.

127_ فان فولتن:

السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن ومُحَمَّد زكي إبراهيم، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1934.

128_ فروخ عمر:

تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1983.

129_ فروخ عمر:

تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت، 1970.

130_ الفقي عصام الدين عبد الرؤوف:

الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999.

131_ فيليب حتي:

العرب تاريخ موجز، دار العلم للملايين، بيروت، 1991.

132_ الفيومي مُحَمَّد إبراهيم:
تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ط4، دار الفكر العربي، القاهرة، 1994.
133_ القحطاني مُحَمَّد بن سعيد:
الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، تقديم: عبد الرزاق عفيفي، ط1، دار طيبة، الرياض، (د ت).
134_ القنوجي صديق بن حسن:
أبجد العلوم، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2002.
135_ الكتاني جعفر:
أحكام أهل الذمة، تحقيق: مُحَمَّد الكتاني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.
136_ الكتاني عبد الحي:
نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية تحقيق: عبد الله الخالدي، ط2، دار الأرقم، بيروت، (د ت).
137_ كحالة عمر:
معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، (د ت).
138_ كرد علي:
القديم والحديث، ط1، المطبعة الرحمانية، مصر، 1925.
139_ كرد علي:
خطط الشام، ط3، مكتبة النوري، دمشق، 1983.
140_ كرلو نلينو:
علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، ط2، أوراق شرقية، بيروت، 1993.
141_ كوركيس عواد:
خزائن الكتب القديمة في العراق من أقدم العصور حتى سنة 1000هـ، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، 1986.
142_ الليدي دراوور:

الصابئة المندائيون، ترجمة: نعيم بدوي وغضبان الرومي، ط2، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 2006.

143_ مامون كيوان:

اليهود في الشرق الاوسط، ط1، الاهلية للنشر والتوزيع، مصر، 1996.

144_ المخزومي صادق:

الإسلام والمسيحية سوسيولوجيا العصور التأسيسية، ط1، دار الرافدين، بيروت، 2016.

145_ مراد كامل وآخران:

تاريخ الأدب السرياني من نشأته إلى العصر الحاضر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987.

146_ مُحَّد باكريم مُحَّد:

وسطية أهل السنة بين الفرق، ط1، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، 1994.

147_ مُحَّد جمال الدين سرور:

الحضارة الإسلامية في المشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ت).

148_ مُحَّد العبده وطارق عبد الحليم:

مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم، ط2، دار الأرقم، الكويت، 1986.

149_ محمود حربي عباس وحلاق حسان:

العلوم عند العرب أصولها وملامحها الحضارية، دار النهضة العربية، بيروت، 1995.

150_ محمود إسماعيل:

سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2000.

151_ محمود حربي عباس وحلاق حسان:

العلوم عند العرب أصولها وملامحها الحضارية، دار النهضة العربية، بيروت، 1995.

152_ المسيري عبد الوهاب:

موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط1، دار الشروق، مصر، 1999.

153_ المشعبي عبد المجيد:

التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام، ط1، مكتبة الصديق، المملكة العربية السعودية، 1994.

154_ المصري جميل عبد الله:

أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري، مكتبة الدار، المدينة المنورة، (د ت).

155_ مصطفى مُحَمَّد حلمي:

منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.

156_ معدى حسين:

الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق، 1998.

157_ المغراوي مُحَمَّد:

موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، ط1، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، النبلاء للكتاب، مراكش، (د ت).

158_ مكاريوس شاهين:

تاريخ الإسرائيليين، ترجمة: فليكس سوارس، مطبعة المقتطف، مصر، 1904.

159_ المودودي أبو الأعلى:

حقوق أهل الذمة ،كتاب المختار، (د ت).

160_موريس أسون ديموند:

الفنون الإسلامية، ترجمة: أحمد مُحَمَّد عيسى، دار المعارف، القاهرة، (د ت).

161_ ناصر مُحَمَّدي مُحَمَّد جاد:

التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي، ط1، دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض، 2009.

162_ النشار علي سامي:

نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط9، دار المعارف، القاهرة، (د ت).

163_ نعيم فرح:

الحضارة الاوروبية في العصور الوسطى، ط2، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2000.

164_ نقولا زيادة:

الجغرافية والرحلات عند العرب، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1987.

165_ النملة علي بن إبراهيم:

النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، ط3، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2006.

166_ نور الدين عادل:

مجادلة أهل الكتاب في القران الكريم والسنة النبوية، ط1، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، 2007.

167_ هالة شاكر:

الورق والوراقون في العصر العباسي، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة، 2004.

168_ هاملتون جب:

دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة: إحسان عباس ومُحَّد يوسف نجم ومحمود زايد، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1979.

169_ هربرت جورج ويلز:

موجز تاريخ العالم، ترجمة: عبد العزيز جاويد مُحَّد نجا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د ت).

170_ هنري دي كاستري:

الإسلام خاطر وسوانح، ترجمة: أحمد فتحي زغلول، ط1، دار طيبة، مصر، 2008.

171_ هنري كوربان:

تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة: نصير مروى وحسن قبيسي، ط2، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 1998.

172_ يوليوس فلهاوزن:

تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة وتعليق: مُحَّد عبد الهادي أبو ريدة، ط2، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، 1968.

173_ مُحَمَّد عبد الرحمن مرحبا:

من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2007.

174_ لويس شيخو:

شعراء النصرانية، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1926.

175_ الوكيل مُحَمَّد السيد:

العصر الذهبي للدولة العباسية، دار العلم، دمشق، ط1، 1998.

176_ يونغ وآخران:

الدين والتعليم والعلم في العصر العباسي، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016.

ثالثا– المعاجم والقواميس:

1_ ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد الشيباني الجزري (ت606هـ/1209م):

النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود مُحَمَّد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979.

2_ أحمد رضا:

معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958.

3_ ابن الأزهري الهروي أبو منصور مُحَمَّد بن أحمد (ت370هـ/981م):

تهذيب اللغة، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001.

4_ الأنباري أبو بكر مُحَمَّد بن القاسم بن مُحَمَّد (ت328هـ/940م):

الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992.

5_ البغدادي عبد القادر بن عمر (ت1093هـ/1682م):

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997.

6_ ابن حماد الجوهري أبو نصر إسماعيل الفارابي (ت393هـ/1003م):

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1987.

7_ الحميري نشوان بن سعيد اليمني (ت573هـ/1178م):

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين العمري وآخرين، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1999.

8_ الرازي أبو عبد الله زين الدين مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت666هـ/1268م):

مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ مُحَمَّد، ط5، المكتبة العصرية، بيروت، 1999.

9_ الزَّبيدي مرتضى أبو الفيض مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت1205هـ/1791م):

تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين ،دار الهداية، الإسكندرية، (د ت).

10_سعدي أبو حبيب:

القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، ط 2، دار الفكر، دمشق، 1988.

11_ ابن سيده المرسي أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت458هـ/1066م):

المحكم والمحيط الأعظم تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2000.

12_ الصحاري العوتبي أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم (ت511هـ/1117م):

الإبانة في اللغة العربية، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط1، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1999.

13_ عبد الحميد أحمد مختار وآخرين:

معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، بيروت، 2008.

14_ الفيروزآبادي أبو طاهر مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب (ت817هـ/1414م):

القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005.

15_ ابن منظور أبو الفضل جمال الدين (ت711هـ/1312م):

لسان العرب، ط2، دار صادر، بيروت، 1994.

رابعا- الموسوعات:

1_ التويجري مُحَّد بن إبراهيم بن عبد الله:

موسوعة الفقه الإسلامي، ط1، بيت الأفكار الدولية، الأردن، 2009.

2_ الكيالي عبد الوهاب:

موسوعة السياسة، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990.

3_ الندوة العالمية للشباب الإسلامي:

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف ومراجعة: مانع الجهني، ط4، دار الندوة العالمية، الرياض، 1999.

4_ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية:

الموسوعة الفقهية، ط 2، ذات السلاسل، الكويت، 1976.

ط1، مطابع دار الصفوة، مصر، 1976.

خامسا- الأطالس:

1_ سامي بن عبد الله المغلوث: أطلس الأديان، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2007.

سادسا- الدوريات المجلات:

1_ الأطرقجي رمزية مُحَّد:

بيت الحكمة البغدادي وأثره في الحركة العلمية، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1980.

2_ البابا مُحَّد زهير:

تأثير الحضارتين واللغتين اليونانية والسريانية في العلوم العربية، مجلة التراث العربي، دمشق، 1998.

3_ بوجمعة جهيدة:

رحمة بني أمية بأهل الذمة، مجلة عصور جديدة، مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران، الجزائر، 2016.

4_ بولس بهنام:

كيف انتقلت الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية، مجلة الأديب، ألبير أديب، مطابع دار الأحد، لبنان، 1944.

5_ التكريتي سليم:

أثر الترجمة في تطور الفكر العربي الإسلامي، مجلة الأقلام، 1965، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، 1974.

6_ جمعة عبد الله ياسين:

إهتمام العلماء بالحركة العلمية في العراق (232-334هـ/847-946م)، مجلة آداب الفراهيدي، جامعة تكريت، العراق، 2016.

7_ جواد مصطفى:

الصابئة المندائيون أيضا، مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، 1968.

8_ خالد يوسف صالح:

حركة الترجمة في بلاد الشام في العصر الأموي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، 2011.

9_ رشيد رضا:

الباطنية وآخر فرقهم البابية البهائية، ط1، مطبعة المنار، مصر، 1910.

10_ رشدي عليان:

أصحاب الروحانيات أو الصابئة المندائيون، مجلة المورد، وزارة الثقافة والفنون، العراق، 1976.

11_ السامرائي عبد الجبار:

حركة التعريب في عصر عبد الملك بن مروان (65-86هـ/684-705م)، مجلة سر من رأى، جامعة تكريت، العراق، 2007.

12_ سيف شاهين:

تجارة الكتب عند العرب المسلمين في القرنين 3و4هـ 9و10م، مجلة حولية التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية الآداب، جامعة عين شمس، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006-2007.

13_ الشقيقي عبد الرزاق:

عصر الترجمة والعصر الذهبي للطب العربي، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1991.

14_ عبد العال الشامي:

جهود الجغرافيين في رسم الخرائط، دورية الجمعية الجغرافية الكويتية، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، 1981.

15_ عمر فروخ:

الترجمة أو نقل الكلام من لغة إلى أخرى، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، 1979.

16_ الكردي سعد مُحَّد:

نظرة في حركة الترجمة ونقل العلوم عند العرب في القرنين الأول والثاني الهجريين، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، سوريا، 1996.

17_ لويس شيخو:

أثر جديد لقدماء النصارى في الصين، مجلة المشرق، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، لبنان، 1922.

18_ ميخائيل عواد:

حنين بن إسحاق، المورد، وزارة الإعلام العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1974.

19_ اليوزبكي توفيق سلطان:

التعريب في العصرين الأموي والعباسي، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، 1976.

الفهارس

أولا: فهرس الآيات

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
المائدة	﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ﴾	47	23
التوبة	﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾	29	23
آل عمران	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	71	24
الحج	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾	17	27
البقرة	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	62	28
الشورى	﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾	15	30
آل عمران	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾	64	30
البقرة	﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾	256	30
التوبة	﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾	06	30
الأنبياء	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	107	30
البقرة	﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ	190	30

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
	الْمُعْتَدِينَ﴾		
النساء	﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً﴿105﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللّهَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴿106﴾ وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً﴿107﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴿108﴾ هَاأَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴿109﴾﴾	105 – 109	32
الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	13	34
النجم	﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾	38	35-187
العلق	﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴿1﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴿2﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴿3﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴿4﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴿5﴾﴾	5-1	65
المائدة	﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾	14	109
المائدة	﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء﴾	14	109
المائدة	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾	03	109
البقرة	﴿آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾	136	159 –

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
159			
168	120	﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾	البقرة
168	186	﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾	آل عمران
168	109	﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	البقرة
169	82	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾	المائدة
170	08	﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾	الصف
185 – 186	171	﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾	النساء
186	13	﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ﴾	الجاثية
195	93	﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾	المائدة
200	55	﴿وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾	الأنعام

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
المائدة	﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾	49	211

ثانيا: فهرس الأحاديث

الصفحة	طرف الحديث
35-187	«أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»
60	«تُحْسِنُ السُّرْيَانِيَّةَ إِنَّهَا تَأْتِينِي كُتُب...»
149	«مَا اقْتَبَسَ رَجُلٌ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، إِلا اقْتَبَسَ بِهَا شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، مَا زَادَ زَادَ»
159	«لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ البقرة 136»
212	«اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ...حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا»

ثالثا: فهرس الأعلام

رابعا: فهرس الأماكن والبلدان

خامسا: فهرس الأديان والفرق والمذاهب والجماعات

سادسا: فهرس الموضوعات